جامعـــــــــــة دمشـــــــــــق
كليـــــة الآداب والعلـــــوم الانســـــانية
قســـــــــــم التـــــــــــاريخ

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في قسم التاريخ بعنوان:

الحركة التأريخية في مملكة حماه
(٥٧٣-٧٤٢هـ/١١٧٨-١٣٤١م)

إشراف الأستاذة الدكتورة

اكتمال اسماعيل

إعداد

زينب خير الدين

١٤٣٢هـ/٢٠١١م

الإهداء

إلى من يمنحني الأمل في المصاعب والملمات . . .

فأرى فيهم السند والعون . . .

أبي ــ أمي

إلى جسور تواصلي مع الحياة . . .

أخوتي

بطاقة شكر وتقدير

يسرني أن أقدم أسمى آيات الشكر والعرفان

للأستاذة الدكتورة اكتمال اسماعيل

التي تكرمت بالإشراف على هذه الرسالة، وقد منحتني الكثير

من وقتها الثمين وعلمها الغزير، وقدمت لي العديد من الملاحظات المهمة

والتوجيهات القيمة فكان لذلك الأثر الأمثل في إخراج هذه الرسالة

في صورتها الحالية.

المحتوى

	الصفحة
ــ مقدمة :	٧-١٠
ــ دراسة المصادر والمراجع :	١١-١٧
الفصل الأول ــ حماه جغرافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً في العصر الأيوبي :	١٨-٤٤
١ ــ الموقع الجغرافي لحماه وأهم أعمالها .	١٩-٢٠
٢ ــ الأوضاع السياسية في مملكة حماه حقبة الحكم الأيوبي	٢١-٢٧
٣ ــ الأوضاع الاقتصادية في // // // // //	٢٨-٣٢
٤ ــ الأوضاع الاجتماعية / / // // // //	٣٣-٣٦
٥ ــ الحياة الفكرية // // // // //	٣٧-٤٤
الفصل الثاني : الملامح العامة للحركة التأريخية	**٤٥-٧٥**
١ ــ نشأة الحركة التأريخية	٤٦-٥٢
٢ ــ ملامح الإنتاج التاريخي	٥٣-٦٠
أ ــ وفرة المادة	٥٣-٥٥
ب ــ مجالات التأليف	٥٦-٥٧
ح ــ المؤلفات التاريخية	٥٨-٦٠
٣ ــ مناهج التأليف	٦١-٧٥
أ ــ في مصادر المعلومات	٦١-٦٧
ب ــ في طريقة التأليف	٦٨-٧١
ت ــ تنظيم المادة	٧٢
ث ــ في الأساليب الأدبية	٧٣-٧٤
الفصل الثالث : رواد الحركة التأريخية في مملكة حماه (٥٧٣ ــ ٧٤٢ هـــ /١١٧٨ ــ ١٣٤١ م) :	**٧٦-١٢١**
١ ــ ابن شاهنشاه الأيوبي ٥٦٧ ــ ٦١٧ هـ / ١١٧١ ــ ١٢٢٠ م	**٧٧-٨٥**
أ ــ شيوخه وتلامذته	٧٨-٧٩
ب ــ مصنفاته	٧٩-٨٢
ت ــ منهجه في التأريخ	٨٣-٨٥
٢ ــ ابن أبي الدم ٥٨٣ ــ ٦٤٢ هـ / ١١٨٧ ــ ١٢٤٤ م	**٨٦-٩٥**
أــ شيوخه وتلامذته	٨٧-٨٩

ب ــ مصنفاته	٨٩-٩٣
ت ــ منهجه في التأريخ	٩٣-٩٥
٣ ــ ابن واصل ٦٠٤ ــ ٦٩٧ هـ / ١٢٠٧ ــ ١٢٩٧ م	**٩٦-١٠٨**
أ ــ شيوخه وتلامذته	٩٧-٩٩
ب ــ مصنفاته	١٠٠-١٠٥
ت ــ منهجه في التأريخ	١٠٥-١٠٨
٤ ــ أبو الفداء ٦٨٢ ــ ٧٣٢ هـ / ١٢٨٣ ــ ١٣٣١ م .	**١٠٩-١٢٠**
أ ــ شيوخه وتلامذته	١١١
ب ــ مصنفاته	١١٢-١١٨
ت ــ منهجه في التأريخ	١١٨-١٢٠
الفصل الرابع : نماذج من المؤرخين الحمويين والوافدين	**١٢٢-١٥٦**
١ ــ ابن الوردي ٦٨٨ ــ ٧٤٩ هـ / ١٢٨٩ ــ ١٣٤٨ م	**١٢٣-١٣١**
أ ــ شيوخه وتلامذته	١٢٤
ب ــ مؤلفاته	١٢٥-١٢٨
ت ــ منهجه في التأريخ	١٢٨-١٣١
ث ــ مقارنة بين موارد ومنهج أبو الفداء وابن الوردي	١٣٢-١٣٤
٢ ــ ابن جماعة ٦٩٤ ــ ٧٦٧ هـ / ١٢٩٤ ــ ١٣٦٥ م .	**١٣٥-١٤٢**
أ ــ شيوخه وتلامذته	١٣٦-١٣٨
ب ــ مؤلفاته	١٣٨-١٤٠
ت ــ منهجه	١٤٠-١٤٢
٣ ــ المؤرخون الوافدون إلى حماه	**١٤٣-١٥٦**
البرزالي ٦٦٥ ــ ٧٣٩ هـ / ١٢٦٦ ــ ١٣٣٨ م نموذجاً	**١٤٣-١٥٥**
أ ــ شيوخه	١٤٤-١٤٥
ب ــ تلامذته	١٤٦-١٤٨
ت ــ مؤلفاته	١٤٨-١٥٢
ث ــ منهجه في التأريخ	١٥٣-١٥٥
خاتمة	**١٥٧-١٦٠**
جريدة المصادر والمراجع	**١٦١-١٧٨**

الرموز الاصطلاحية

ت = توفى أو المتوفى

ج = جزء

(د. ت) = دون تاريخ

(د . م) = دون مكان النشر

(د . ن) = دون نشر

ص = صفحة

ط = طبعة

ق = قسم

مج = مجلد

هـ = هجري

م = ميلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ مقدمة :

تشعبت الدراسات التاريخية ، لتشمل عدة جوانب اجتماعية ، اقتصادية ، فكرية، إذ لم تبقَ أسيرة الحوادث، أو أخبار المعارك، أو التأريخ للسلطة الحاكمة وذلك لاقتراب الكتابة التاريخية إلى حد كبير مما هو معروف اليوم بالتاريخ الحضاري ، وقد أسهم في ذلك جيل من المؤرخين : كالطبري ، البلاذري ، اليعقوبي وغيرهم ، ممن عدهم ابن خلدون من رواد علم التاريخ في الإسلام ، ولم يقتصر التطور في الكتابة على هؤلاء فقط بل ساهم فيه آخرون غيرهم ومنهم على سبيل المثال لا الحصر مؤرخو العصر الأيوبي ويأتي على رأس القائمة ابن شاهنشاه الأيوبي ، ابن أبي الدم، ابن واصل ، أبو الفداء ، ابن جماعة وغيرهم كثر ، بحيث يعد العصر الأيوبي من العصور الزاهية ، والمشرقة في التاريخ الإسلامي ، فقد كان النتاج الفكري ضخماً ، غزيراً ، والعلماء الذين أسهموا في هذا النتاج عددهم كبير ، وإبداعاتهم متنوعة ، في التاريخ ، والأدب ، والجغرافية ، والفلك والطب وغير ذلك ، فالعصر الأيوبي كان عصر ازدهار فكري ورقي حضاري .

وإذا كانت قد تحددت بالفعل معالم علم التأريخ الإسلامي في القرن الرابع للهجرة / العاشر الميلادي فهذا لا يعني أنه دخل عليها تعديلات كثيرة بل تعديلات بسيطة إن كانت في مستوى المادة أم المنهج أم الأسلوب وفي أواسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، ظهرت تواريخ عامة خصت البلاد والمناطق والحكام بشكل عام ، وكانت حصة حماه لا بأس بها من تلك التواريخ ، فهي عبرت عن شعور حماه بارتباطها مع العالم العربي الإسلامي ، وارتباط العالم العربي الإسلامي بها خلال الحروب الصليبية ، وعن اتصالها أيضاً بماضي الإسلام كله في الوقت الذي تدافع عن حاضره ، وأهم ما كتب من التواريخ العامة تاريخ لابن أبي الدم الحموي عنوانه (التاريخ المظفري) ، وتاريخ لأبي الفداء بعنوان (المختصر في أخبار البشر) وغيرها الكثير .

إن هذا البحث هو محاولة لبيان دور أعلام حماه ومشاركتهم الفاعلة ، ومواقفهم من الأحداث التاريخية التي شكلت تهديدات خطيرة في عصرهم محاولين التنبيه على ما أصاب الأمة وما ينتظرها من أخطار بسبب هذه الظروف ، فكثرت المؤلفات التاريخية التي تبين دور هؤلاء المؤرخين في كتابة التاريخ ، و هذا يعني أن مؤلفاتهم حوت مادة تاريخية غنية ومهمة ، تمثلت في رصدهم لتفاصيل الحياة اليومية والأحداث السياسية وغيرها .

فالمؤرخون هم الأشخاص الذين يروون الأحداث ، ويدونون الأخبار ، ويرتبون الروايات ، التي تتعامل مع الإنسان في حياته الخاصة والعامة ، ويلجؤون إلى تحليل الأسباب التي أدت إلى عمل معين ، وقد يعللون ويدونون ما يستخرجونه من الوثائق ، والمدونات ، بحيث أن التراث الإسلامي هذا قد أصبح مصدراً هاماً من مصادر حضارة الأمة العربية الإسلامية هذه الأمة التي عُرفت دائماً بحبها وشغفها للعلم والمعرفة .

وتنبثق أهمية البحث في رصد دور حماه في هذه الحقبة ، وهي التي تعد من أهم مدن الشام وأقدمها ، وغالباً ما تنافست مع حمص ، ولكنها وقفت في مركز الصدارة ، كما أنها كانت تمارس دور الحاجز بين دمشق في الجنوب ، وحلب في الشمال ، وبين قلاع جبل بهراء ، والبادية أي بين الشرق والغرب ، إلى جانب هجرة الكثير من العلماء إليها سواء من العراق أو الأندلس ، نتيجة تشجيع ملوكها للعلم ، والعلماء ، مما جعلها ساحة لتمازج الحضارات وتلاقي الثقافات، حيث قدمت إسهامات فكرية متعددة .

وقد جاء اختيار البحث انطلاقاً من عظمة الدور الذي شغلته حماه حضارياً وفكرياً وسياسياً على مسرح الأحداث ، فقد أهلها موقعها الجغرافي لأن تكون بمثابة الكتاب الذي يضم أنواع المعرفة ، وهذا الدور الذي شغلته حماه كان الدافع الأكبر للكتابة عنها . ولعل هذا الجهد المتواضع يكون ضمن الأبحاث التي أظهرت عظمة هذه المدينة . وعظمة تاريخها على الصعد كافة . ويضاف إلى ما سبق دافع آخر جعل هناك اهتمام باختيار هذا الموضوع وهو أن الدراسات التي كتبت عن العصر الأيوبي ركزت على مصر مقر السلطنة ، بينما بقيت مناطق السلطنة بعيدة عن الدراسة . وإذا وجدت هذه الدراسات في بلاد الشام فهي تركز على دمشق باعتبارها أكبر النيابات في بلاد الشام ، أو على النيابة الثانية من حيث الأهمية ألا وهي حلب ، لذلك كان هناك إصرار واهتمام في الكتابة عن حماه . والبحث في حركة تأريخها خلال العصر الأيوبي .

وتعد حقبة البحث من أخصب عصور الإسلام حيوية وازدهاراً ، ففيها نضجت ملكات المسلمين في البحث والتأليف ، وفيها نشطت الحركة الفكرية في حماه ، وتنوعت وازدهرت ازدهاراً شمل معظم الجوانب الفكرية من دينية ، وأدبية واجتماعية وعلمية .... مما جعلها مركزاً لاستقطاب عدد كبير من رجال العلم والفكر ، والشعر والأدب الذين جاؤوا إليها لتلقي العلم أو للاستقرار فيها .

وقد مثلت الحركة التأريخية بمختلف نواحيها الجانب الأكثر رقياً ، والأشد تعبيراً عن الحضارة العربية الإسلامية . مما حفَّز على تسليط الضوء على المساهمات الفكرية لرواد الفكر والأدب وإنجازاتهم بهدف إبراز تلك المرحلة من مراحل الحضارة العربية الإسلامية ، والحفاظ عليها من خلال ربط الأجيال الجديدة بتاريخها ، وتعميق انتمائها لوطنها وثقافتها .

ويتجلى الهدف الرئيسي للدراسة في توضيح منهجية حركة التدوين التأريخية في حماه ، والتطرق إلى طبيعة الحقبة الأيوبية . وتأثيرها على حركة التأريخ . إضافةً إلى ذكر أهم رواد هذه الحركة ، لتبيان جهودهم التأريخية ، ومناهجهم البحثية ، والتأريخية ، والكشف عن الأثر الفكري الذي تركه العلماء ، والأدباء الوافدين إليها ، واستقصاء التيارات الفكرية التي عمتها أنذاك، وإظهار مزاياها ، ودورها في التراث العربي الإسلامي ، ولا يخفى على أي باحث ، أو مؤرخ ما تتطلبه دراسة الحركة التأريخية في حماه في المدة المذكورة من إطلاع واسع ، .... وبحثٍ عميق في أمهات الكتب والمصادر ، وما تحتاج إليه من عناية وجهد كبيرين لرسم صورة واضحة وشاملة تلم بكل جوانب النشاط التأليفي للمؤرخين ، وتبرز إسهامهم في الإرث الثقافي والإنساني للحضارة العربية الإسلامية .

وقد قام منهج البحث على استقصاء المادة العلمية من المصادر والمراجع وعرضها ، ونقد الآراء التي كتبت حول موضوع الدراسة ، والمقارنة بينهما بهدف استجلاء الحقيقة التاريخية واستخلاص النتائج ، كما اعتمد المنهج على استقراء بعض الأخبار والأحداث ، واستخلاص ما يمكن استخلاصه والإفادة منها قدر الإمكان في البحث .

وقد حاول البحث تتبع حركة التأليف في علم التأريخ من خلال التراجم لبعض رجالات العلم والأدب الذين برزوا فيها ، ورصد مؤلفاتهم في العلوم المختلفة ، مُظهراً دورهم الفكري ، هذا مع العلم أن بعضهم لم يوجد لهم مؤلفات .

وأظهرت هذه الدراسة صورة واضحة عن الحركة التأريخية في مملكة حماه خلال المدة المذكورة سابقاً خلال العصر الأيوبي ، ما أمكن مع توضيح أسباب ازدهار هذه الحركة والعوامل التي ساعدت العلماء على الإسهام فيها ، وعلى هذا يقع البحث ، في مقدمة ، وأربعة فصول ، وخاتمة ، أما المقدمة فخصصت للحديث عن أهمية البحث وإشكاليته ، وأسباب الاختيار ، وصعوباته ، وخطة البحث ثم تمت دراسة أهم المصادر المعتمد عليها .

تناول الفصل الأول الموقع الجغرافي لمدينة حماه ، وأهم أعمالها ، كما أشار إلى الظروف السياسية التي جعلت حماه من أكبر النيابات ثم لمحة سريعة عن بعض مظاهر الحياة الاجتماعية ، وعن الزراعة ، الصناعة ، التجارة ، والمنشآت التعليمية .

كما درس الفصل الثاني موضوعات أساسية في تطور حركة التأريخ ، بدءاً بنشأة الحركة التأريخية ، وتطور التدوين التأريخي عند العرب ، ثم ذكر ملامح الإنتاج التأريخي من وفرة المادة وأسباب ازديادها . إضافة إلى المؤلفات التاريخية المتنوعة من تاريخ عالمي ، وإسلامي عام ، وتاريخ ديني ، وتاريخ دول وغير ذلك ، وأخيراً التعمق في دراسة مناهج التأليف من مصادر المعلومات وطريقة التأليف . إضافةً إلى تنظيم المادة والأساليب الأدبية التي اتبعها

المؤرخون الحمويون فقيمة هذا البحث تتجلى بتبيان أهم الملامح العامة للحركة التأريخية ، والخصائص التي تميزت بها بحيث شكلت قيمة معيارية .

وبحث الفصل الثالث في رواد الحركة التأريخية في مملكة حماه الذين برزوا وفقاً للفنون التاريخية التي دونت فيها (التاريخ الحولي ، تاريخ الدول ، التاريخ الديني وغيرهم) مع دراسة لحياتهم ، ومصنفاتهم التاريخية وأثرها في كتابات المؤرخين اللاحقين ، ومناهجهم ، وشيوخهم ، وتلامذتهم .

أما الفصل الرابع فأظهر صورة عن نماذج من المؤرخين الحمويين . إضافة إلى بعض المؤرخين الوافدين إلى حماه ، متناولاً حياتهم ، ودراسة مصنفاتهم ، ومناهجهم ، وشيوخهم وتلامذتهم .

وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها .

وأخيراً أتوجه بالشكر الكبير والامتنان العميق للأستاذة الدكتورة اكتمال اسماعيل التي تكرمت بقبول الإشراف على البحث ، وقد منحتني الكثير من وقتها الثمين وعلمها الغزير ، وقدمت لي العديد من الملاحظات المهمة والتوجيهات القيّمة حتى تمكنت من إنجاز هذا البحث كما أوجه شكري إلى كل من ساعدني .

وختاماً آمل أن يكون هذا البحث قد أسهم إسهاماً جاداً في إحياء جوانب مهمة من تاريخنا ، وأن يكون قد كشف عن بعض جوانب الحركة التأريخية في الحضارة العربية الإسلامية ، وجلُّ أملي أن أكون قد وفّقت في إنجازه ، وإن قصّرت في بلوغ الهدف ، فحسبي أني سعيت صادقة واجتهدت مخلصة ، والله وليّ التوفيق .

دراسة المصادر والمراجع :

اهتم العرب المسلمون بالتأريخ كثيراً ، وذلك لشغفهم بمعرفة مصائر الأمم السالفة . وقد اتسم العصر الأيوبي في حماه بغزارة الكتابات التاريخية . فقد ظهر فيه عدد كبير من المؤرخين الذين وقفوا جهودهم إما على كتابة التاريخ العام ، أو الخاص ، أو السير ، والتراجم وغير ذلك ، وعند متابعة العرب في كتاباتهم للتاريخ وتدوينهم للأحداث ، وجد أنهم قد اهتموا بهذه المادة وشغفوا بها وتعددت أصنافها ، وتباينت أنواعها، فالباحث الذي يستعين بمثل هذه الكتابات ويستقي من هذه المدونات ليروي أخباره ، ويدون أحداث الأزمنة التي يتحدث عنها لابد أن يشير إليها ، متحدثاً عن أهميتها وتسهم هذه الدراسة في إبراز المصادر التي تتصل موادها اتصالاً مباشراً بموضوع البحث حسب أهميتها :

تعد كتابات المؤرخين الحمويين المصدر الرئيسي للبحث ، فقد وصلت كتابة التاريخ في حماه الذروة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، إذ عاش فيها عدد من المؤرخين الكبار الذين تركوا عدداً من المؤلفات الهامة ، والتي لا غنى عنها عند كتابة تاريخ حماه ومنهم :

ابن شاهنشاه الأيوبي (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) :

ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، كان ملكاً ، جليلاً، مؤرخاً أديباً له عدة كتب . أهمها مصنفه (مضمار الحقائق وسر الخلائق) إن القسم الأكبر من هذا الكتاب مفقود حيث لم يبق منه سوى قطعة هامة حققها حسن حبشي ، ويبدو مما بقي أن أسلوب المؤلف بسيط موجز ، بعيد عن الصنعة ويعد من المصادر المهمة نظراً لما يتميز به ابن شاهنشاه من الأمانة والنزاهة والدقة ، وتميزه أيضاً بروح المؤرخ الناقد وعرضه الأخبار بعد محاكمة وتمحيص وقد اشتمل هذا الكتاب على معلومات هامة للبحث حيث تمت الاستفادة منه في الفصل الثالث أثناء الحديث عن منهج المؤرخ ودراسة مصنفه .

ابن أبي الدم (٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) :

شهاب الدين ، أبو اسحاق ، ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم المشهور بابن أبي الدم كان عالماً ، واسع الإطلاع ، غزير الثقافة ، عارفاً بأكثر العلوم إضافةً إلى التاريخ ، ألف مجموعة من الكتب أبرزها (التاريخ الإسلامي المعروف بالتاريخ المظفري) وتبرز أهمية هذا المصنَّف كونه أرخ لحقبة هامة من تاريخ الأمة الإسلامية وقد تمت الاستفادة منه في الفصل الثالث أثناء دراسة منهج المؤرخ فكان من المصادر المهمة للبحث

ابن نظيف الحموي (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) :

أبي الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي له مجموعة من المصنفات أهمها (التاريخ المنصوري) وقد اشتمل هذا الكتاب على معلومات مهمة للبحث ، حيث تمت الاستفادة منه أثناء الحديث عن الأوضاع الاقتصادية لمملكة حماه .

ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) :

جمال الدين محمد بن سالم بن نصر بن سالم المشهور بابن واصل ، العلامة ، المؤرخ القاضي ، له العديد من الكتب أهمها (التاريخ الصالحي) وهو مخطوط و(مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) ، الذي يعد من أهم الكتب في التاريخ الأيوبي وأحداثه ، فقد أرخ فيه للأيوبيين ، وتتبعهم حتى صدر الدولة المملوكية ، واتبع الأسلوب السردي في الجزئين الأول والثاني ، والأسلوب الحولي في الأجزاء المتبقية ، ونُشر هذا الكتاب في ستة أجزاء ، وكانت الفائدة عظيمة منه حيث شكلت المعلومات الموجودة في مفرج الكروب مادة أساسية وهامة للبحث نظراً لما تميز به ابن واصل من سعة الإطلاع والمعرفة والدقة والتمحيص في الروايات ، ويعد كتابه هذا من أهم الكتب التراثية التي تحدثت عن تاريخ الأيوبيين ، كتبه بأسلوب المؤرخ الناقد ، الدقيق ، فهو يوثق كل ما ينقله بأمانة علمية شأن كل مؤرخ ومحدث ثقة ، كما أن استناده إلى رصيد ثقافي غني مكّنه من تمحيص النصوص وضبطها وترجيح الصحيح منها ، وتوثيقها لا بل والاستدراك عليها أيضاً ، وقد قدم هذا المصدر معلومات في غاية الأهمية للبحث سواء أثناء دراسة الوضع السياسي والاقتصادي أو عند دراسة النشاط التعليمي ، ورصد النتاج الفكري في ميادين العلوم المختلفة كما كانت الفائدة العظيمة منه في الفصل الثالث أثناء الحديث عن منهج ابن واصل إضافةً إلى معرفة شيوخه وتلامذته من خلال هذا المصنف .

ابن المغيزل (ت ٧٠١ هـ / ١٣٠١ م) :

نور الدين علي بن عبد الرحيم بن أحمد المعروف بابن المغيزل الحموي ، الكاتب الشاعر ، اشتهر من مصنفاته (ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) وتمت الإفادة منه في تراجم الأعلام .

أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :

الملك المؤيد صاحب حماه اسماعيل بن علي بن محمود بن المنصور الذي كان أميراً لدمشق ، وخدم الملك الناصر وهو في الكرك ، وبالغ في ذلك فأعطاه حماه ، وجعله سلطاناً عليها ، وقد درس الفقه والطب والفلسفة ، وبذلك فهو حاكم ، ومؤرخ ، كتب في مجالات متعددة تاريخية وجغرافية ، وأهم كتبه (المختصر في أخبار البشر) ، و(تقويم البلدان) وهو جغرافي أما كتابه المختصر فقد شغل دوراً كبيراً في هذه الدراسة وأمد البحث بمادة علمية لقربها من

مسرح الأحداث ، وقد قُسمَ لقسمين الأول حقبة ما قبل الإسلام ، والثاني الحقبة الإسلامية ورتب تاريخه على نهج ابن الأثير وفق السنين ، وتضمن أخبار أدبية وعلمية واجتماعية وكانت الفائدة الكبيرة منه في الفصل الثالث أثناء دراسة منهج أبو الفداء في التدوين التاريخي ومعرفة شيوخه وتلامذته .

ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) :

أبو حفص البكري ، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ، كان إماماً ، فقيهاً ، بارعاً أديباً، نحوياً ، مؤرخاً ، شاعراً له العديد من المصنفات منها (صفو الرحيق في وصف الحريق) ، كما قام أيضاً بتدوين تاريخ هو عبارة عن تذييل على كتاب المختصر وصل به إلى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م ، وأسماه (تتمة المختصر في أخبار البشر) ، انتزع مادته واستخلصها من المختصر ، وزاد عليها وعرضها على أساس التاريخ الحولي ، وقد كانت الفائدة من هذا الكتاب في الفصل الرابع عند تدوين منهج ابن الوردي ، ودراسة مصنفه إضافةً إلى معرفة شيوخه وتلامذته من خلاله ، كما تضمن بعض المعلومات القيمة عن بعض الجوانب السياسية والفكرية ولاسيما مجالس الأدب والشعر التي عقدها الأمراء الأيوبيين .

البرزالي (ت ٧٣٩ هـ /١٣٣٨ م) :

القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي ، كان خيّراً متواضعاً ، فصيح القراءة عالماً بالأسماء والألفاظ ، صنف العديد من الكتب أشهرها (المقتفى على كتاب الروضتين) ، وهو من المصادر الرئيسة للبحث ، مرتب وفقاً للمنهج الحولي أي على السنوات حيث تناول في بداية كل سنة الأحداث التي جرت فيها ، ثم ذكر الوفيات في تلك السنة ويُظهر الكتاب امتلاك المؤلف لناصية التحليل والنقد وحس المؤرخ ، وقد اشتمل هذا الكتاب على تراجم لكثير من رجال الفكر والأدب الذين برزوا في حماه ، خلال المدة المدروسة ومما زاد من أهميته أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث فطبعت روايته بطابع الصدق، والدقة، وقد تمت الإفادة منه في الفصل الرابع أثناء الحديث عن منهج البرزالي في التدوين التاريخي ، ومعرفة أهمية كتاب المقتفى إضافةً إلى معرفة شيوخه وتلامذته .

ابن جماعة (ت ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م) :

عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ، كان إماماً ، عالماً ، محدثاً ، حافظاً، ورعاً ، ديناً ، لين الجانب ، حسن السيرة والأخلاق والطريقة .

شكلت كتبه مصادر مهمة للبحث ، فكان منها (المختصر الكبير في سيرة النبي محمد (ص) ، و(المختصر النّدي في سيرة النبيّ محمد (ص) ، وفي هذه الكتب التاريخية قدم ابن جماعة معلومات مهمة عن حياة الرسول (ص) ، ومما زاد من أهميتها أن المؤرخ عرض مادته

الخبرية في وضوح وبساطة ، وإيجاز ، وكانت الفائدة منها كبيرة في الفصل الرابع، أثناء الحديث عن منهج ابن جماعة في التدوين .

ولقد تطلبت هذه الدراسة الإفادة من عدد كبير من المصادر ، سواء منها المطبوعة والمخطوطة والتي تتحدث عن العصر الأيوبي بشكل عام ، أو عن موضوع خاص يتعلق بطبيعة البحث ومن أهم مصادر البحث كانت كتب التراجم ، التي كانت الركيزة والمقصد والأساس ، وهي من بين الكتب الأكثر توافراً وتأليفاً في العصر الأيوبي ، وهي التي أغنت البحث ، بمعلومات هامة تتعلق بالخلفاء والملوك والسلاطين والعلماء والأدباء ، ورجال السياسة والدين ، بل وفي مختلف المجالات والاختصاصات ومن أهم كتب التراجم التي تمت الاستفادة منها في البحث هي مصنفات :

أبو شامة (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) :

شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن إبراهيم المقدسي له العديد من المؤلفات أهمها كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين) و (ذيل الروضتين) وقد اتبع المؤلف فيهما فن الترتيب الحولي وذكر وفيات كل سنة ، وتمت الاستعانة به في ضبط تراجم القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر ، والثاني عشر الميلاديين ، ولم تقتصر ترجمته على أبناء حماه بل شملت معظم العالم الإسلامي . وإن كانت تراجمه قصيرة في أكثر الأحيان إلا أنها كانت عظيمة الفائدة بالنسبة للبحث .

ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) :

شمس الدين أحمد بن إبراهيم من بيت كبير في العراق ، تولى القضاء ، ودرّس في مدارس عدة ، ورحل إلى الإسكندرية ومصر ، ثم عاد إلى الشام ، واستقر بدمشق حتى وفاته ، وقد اشتهر بكتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) وهو كتاب أدب وتاريخ . وقد اهتم فيه بالضبط والتحقيق ، ورتب الكتاب على حروف المعجم ، ويلاحظ أن ترجماته تركزت على العلماء والملوك والأمراء وقد استفيد من التراجم التي أوردها لملوك وأمراء البيت الأيوبي .

الذهبي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :

شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان شيخ الجرح والتعديل والقائم بأعباء علم الرجال، ومؤرخ الشام فكان لمؤلفاته في علم الرجال النصيب الوافر ، واستفيد منها الشيء الكثير ،وأهم مؤلفاته التي أغنت البحث (سير أعلام النبلاء) والواقع في أكثر من عشرين مجلداً ، مرتباً تراجمه بحسب الوفيات ترجم فيه الأعلام النبلاء في العالم الإسلامي، وله أيضاً كتاب (العبر في خبر من غبر) الذي جعل فيه لب تاريخه الكبير (تاريخ الإسلام) سواء في الحوادث أو الوفيات ، وقد تناول الذهبي في كتابه هذا تراجم العلماء والملوك والسلاطين والأمراء ، وقادة الجيش والأطباء ، والجغرافيين والرحالة وتناول وفيات كل عام ، بدءاً من

العام الهجري الأول وكان يشير في كل ترجمة إلى نبذة موجزة عن سيرة المترجم له ، وكانت الفائدة كبيرة من هذا ومن بين كتبه الهامة أيضاً (معجم شيوخه) .

الصفدي (٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) :

صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي ألف مجموعة من الكتب الهامة في علم التراجم ، لعل أهمها كتاب (الوافي بالوفيات) الذي يعد من أهم كتب تراجم العالم الإسلامي وأوسعها مادة وأجملها ، ترجم فيه للصحابة والتابعين والملوك والأمراء ، والقضاة والأدباء والشعراء إلى غير ذلك . وهذا الكتاب مرتب ترتيباً أبجدياً أنيقاً وقد استفاد البحث منه في ضبط تراجم لعدد من الأعلام الحمويين. وتتضمن التراجم معلومات مباشرة عن الإدارة والنشاط العلمي في مملكة حماه . كما ترجم المؤلف لأشخاص يعرفهم معرفة مباشرة ، لأنه كان كثير الترحال ، وتولى عدة وظائف في بلاد الشام . أما كتابه الآخر (أعيان العصر وأعوان النصر) والذي قصره على أعيان عصره حتى وفاته ، وكتب فيه ترجمات رائعة قدم الكتاب فائدة كبيرة في ضبط بعض التراجم المعاصرة لابن أيبك الصفدي ، والتي استفاض في ترجمتها أما كتابه (نكت الهميان في نكت العميان) الذي يعد كتاباً فريداً من نوعه ولم يسبقه إليه أحد هذا الكتاب الذي يختص بتراجم مشاهير علماء الأمة من العميان ، فكان لمؤلفه النصيب الوافر في هذه الدراسة .

الكتبي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) :

محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر الكتبي الملقب بصلاح الدين كان إماماً ، عالماً ، مؤرخاً ، صنف العديد من الكتب أهمها (فوات الوفيات والذيل عليهما) وقد رتب كتابه هذا على حروف المعجم ، حيث بلغت تراجمه قرابة ثمانمئةٍ وستين ترجمة ، واستفيد من هذا المصنف كثيراً ، فهو كتاب هائل وشامل لتراجم كثيرة .

واعتمد البحث على عدد من المصادر الهامة مثل كتاب محمد بن علي الحسيني (ت ٧٦٥ هـ / ١٣٦٣ م) (ذيل العبر في أخبار من غبر)

محمد بن رافع السلامي (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) :

كان كتابه (الوفيات) من مصادر البحث المعتمدة . وهو غني بمادته ، وتراجمه مرتبة على السنين (حولي) وكان يذكر الشهر والسنة ويذكر ضمنها وفيات كل ترجمة حسب تاريخ وفاته وحسب التسلسل الزمني للسنة والشهر . وقد تمت الاستفادة منه في الفصل الرابع أثناء الحديث عن شيوخ البرزالي .

ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م)

أحمد بن علي بن محمد العسقلاني له العديد من المصنفات . ولاشك في أن كتاب (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) يعد من أهم مصادر البحث . وهو ركيزة عصب لأي بحث

وباحث ، لما يحتويه من ترجمات عامة لعلماء ، وأعيان القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، فقد أورد ابن حجر في كتابه الدرر معلومات عن رجال حماه ممن كان لهم معرفة ودراية بالعلوم والمعارف الإسلامية كالفقهاء ، والمحدثين ، والشعراء ، والأدباء والعلماء والأطباء .

ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) :

كان لكتابه (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) أهمية كبيرة حيث تمت الاستفادة منه في تراجم الأعلام .

محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م) :

تمت الإفادة من كتابه (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) والذي اشتغل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم .

بالإضافة إلى هذه المصادر فإن هناك مصادر لا تقل أهمية عن تلك المصادر ، أغنت البحث هي تراجم رجال الطبقات ، والتي اختص كل منها بالترجمة لأعلام برزوا في فرع من فروع العلوم الإنسانية ومن أهمها :

السبكي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م) :

عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي شيخ الإسلام العلامة ، قاضي القضاة ، تاج الدين أبو نصر القاهري ثم الدمشقي الشافعي له العديد من الكتب أهمها (طبقات الشافعية الكبرى) الذي يعد من أشهر الكتب في طبقات الشافعية وكذلك كتاب أبي بكر بن أحمد المعروف بابن قاضي شهبة (ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٨ م) (طبقات الشافعية) الذي ترجم فيه لأعيان المذهب بشكل موجز ووافي .

ومن بين أهم كتب الطبقات كتاب **عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) :** الشيخ ، الإمام ، العلامة ، شيخ الإسلام ، جلال الدين أبو الفضل ، القاهري ، الشافعي صاحب المؤلفات العديدة والتي من أشهرها (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) الذي ترجم فيه لـ (٢٢٠٩) شخصية وهو كتاب من أشمل وأعظم الكتب في هذا الفن .

كما شكلت المصادر الجغرافية ، وكتب الرحلات مصادر مهمة للبحث ، إذ تمت الإفادة منها في تحديد موقع حماه وحدودها ، كما استفيد منها عند دراسة الأوضاع الاقتصادية ، وحوى قسم منها بعض الإشارات المهمة عن الجوانب الاجتماعية والفكرية ومن هذه المصادر

ابن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) :

أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكاتب ، الرحالة كان عربياً ، أندلسياً قام بثلاث رحلات زار فيها مصر والشام والحجاز والعراق ، وأصبح كتابه (رحلة ابن جبير) من المصادر

الهامة التي أعطت معلومات واضحة وقد استفيد مما كتبه عن حماه من معلومات جغرافية واقتصادية وما ذكره من منشآت تعليمية .

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) :

شهاب الدين بن أبي عبد الله ، كان مؤرخاً وجغرافياً ، صنف في مجالات عدة أما أشهر كتبه فهي (معجم البلدان) حيث كان من المصادر الجغرافية المهمة للبحث ، وهو لا يعد معجماً جغرافياً فقط بل خزانة علم وأدب وتاريخ وجغرافية ، وقد عرف فيه الأماكن الجغرافية مرتباً إياها على حروف المعجم ، وكان إذا ذكر بلداً أورد شيئاً من تاريخه ، ثم ذكر من اشتهر فيه أو نسب إليه من الأدباء والشعراء ، والفقهاء والمحدثين ، وهكذا فقد وردت فيه مادة غزيرة عن حماه وأعمالها وجبالها وأنهارها ، وقد كانت الاستفادة من هذا الكتاب عند الحديث عن جغرافيا حماه ، وعند التعريف ببعض الأماكن والمواضع ، وكذلك عند عرض الأوضاع الاقتصادية .

أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) [1]:

الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل المشهور بأبي الفداء ، وكانت الفائدة من هذا المصدر (تقويم البلدان) تعريف عدد من الأعمال الحموية بمادة جغرافية ، وكان المؤلف مؤرخاً ومعاصراً للأحداث وشارك في جانب منها كإسهامه في فتح عكا سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م .

ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م):

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابراهيم اللواتي ، المشهور بابن بطوطة ، بدأ ابن بطوطة رحلته سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م فدون مصنفه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف بـ (رحلة ابن بطوطة) بشكل أدبي ، تأثر فيه كثيراً بابن جبير ، فترك وصفاً طبيعياً لبعض المواقع التي أشار إليها ، ويبدو من ملاحظاته أنه زار هذه المواقع وكتب ما شاهده ، وعلى هذا الأساس ينظر إلى معلوماته بشيء من الأهمية حيث يمكن الاستشهاد بها عن أحوال المملكة الحموية وأعمالها .

أما المراجع العربية والمترجمة فهي كثيرة ، ومتعددة ،أغنت البحث . ومنها ما تناول تاريخ الدولة الأيوبية بصورة عامة مثل كتاب غسان سبانو (مملكة حماه الأيوبية) وأحمد الصابوني (تاريخ حماه) وبعض المراجع العربية والمترجمة التي تناولت علم التاريخ بصورة خاصة وقدمت معلومات هامة ككتاب فرانز روزنثال (علم التأريخ عند المسلمين) ومحمد أحمد ترحيني (المؤرخون والتأريخ عند العرب) ، وعبد العزيز سالم (التاريخ والمؤرخون العرب) وشاكر مصطفى (التاريخ العربي والمؤرخون) ، وعبد العليم عبد الرحمن خضر (المسلمون وكتابه التاريخ) كما استخدم في البحث مصادر ومراجع أخرى كثيرة أشير إليها في الحواشي ، وأثبتت في جريدة المصادر والمراجع في آخر البحث .

---

[1] - تمت الإشارة إليه في ص ١٢ ـ ١٣

الفصل الثاني

الملامح العامة للحركة التأريخية :

١. نشأة الحركة التأريخية .

٢. ملامح الإنتاج التاريخي :

أ. وفرة المادة .

ب. مجالات التأليف .

ت. المؤلفات التاريخية .

٣. مناهج التأليف :

أ. في مصادر المعلومات .

ب. في طريقة التأليف .

ت. تنظيم المادة .

ث. في الأساليب الأدبية .

- الملامح العامة للحركة التأريخية :

تنطوي دراسة حركة التأريخ ، على أهمية بالغة ، بما تحمله من فوائد جليلة ومعطيات هامة إضافة إلى ما تتضمنه من إثارات متنوعة ، وتوظيفات هادفة ، وتحليلات هامة ، حيث بلغ علم التاريخ في العصر الأيوبي حداً من الإشباع والغنى ، مما جعله يتفوق على عصور سبقته ، كما نال هذا العلم من الرعاية والإقبال ما قد نال ، فأصبح عبارة عن صورة ومرآة عكست طبيعة العصر بجميع جوانبه حيث اختلف المؤرخون في تصويرهم للتاريخ متأثرين بالنزاعات والأهواء والمذاهب ، ولم تقتصر أعمالهم على فن في التاريخ دون فن ، بل دونوا في فنونه المتعددة ومجالاته المختلفة ، واختلفوا تارةً من ناحية الأسلوب الذي دونوا فيه التاريخ ، وتارة بحسب الموضوع ، أو طريقة التأليف ، والدليل على غنى وتطور علم التاريخ هو ظهور المختصرات والذيول بكثرة ، فهذا الإشباع وتلك الكثرة كانت ثمرة الفكر الجديد الذي ولد نتيجة لظروف المرحلة / الداخلية والخارجية / وتمازج جميع المدارس المصرية والشامية ، والعراقية والحجازية والمغربية وغيرها.

١. نشأة الحركة التأريخية :

للتدوين أهميته ، ذلك أن المادة المدونة ، هي الأساس الذي يهتدى من خلاله المرء إلى ضوء المعرفة يثقف بها نفسه ويروض بها عقله ، ثم تختمر فيه لكي يجعل منه بعد ذلك منبعاً معطاء سواء في مجال التصنيف ، أو في فن التأليف وهنا يمكن طرح العديد من الأسئلة متى بدأ العرب يدونون تاريخهم ، وكيف نشأ التدوين ؟ هل نشأ نشأة طبيعية ؟ أم هناك أسباب ودوافع ساعدت على هذه النشأة وطورتها فيما بعد ؟ وهل كان هناك تدوين قبل الإسلام ؟ يعود اهتمام العرب بالتاريخ إلى ما قبل الإسلام ، ومع ذلك فإن التدوين التاريخي كان قليلاً جداً باستثناء بعض النقوش النادرة الموجودة على الآثار الباقية في اليمن [١]، وشمال شبه الجزيرة العربية ولكن العرب عرفوا نوعاً من التاريخ الشفهي الذي اعتمد على رواة هم أقرب إلى القصاص كانوا يروون أخبار القبائل وأيامها التي تدور حول غزواتهم ومعاركهم .

---

[١] - اليمن : سميت اليمن لتأمينهم إليها لما تفرقت العرب من مكة ، والبحر محيط بأرض اليمن من المشرق إلى الجنوب، تفصل بينها وبين باقي جزيرة العرب خطٌّ يأخذ من بحر الهند إلى بحر اليمن عرضاً في البرية من المشرق إلى جهة الجنوب؛ البغدادي : مراصد الإطلاع ، جـ٣، ص١٤٨٣.

إضافةً إلى أن كل قبيلة كانت تحفظ أنسابها ، لتبقى نقية من كل شائبة ولتفاخر بها أمام القبائل الأخرى ، لكن الوضع تغير بعد ظهور [١] الإسلام ، حيث ازداد اهتمام العرب بالتأريخ بسبب ظهور عوامل جديدة وهنا يمكن التساؤل ماالمقصود بالحركة التأريخية ؟ وماهو التأريخ بشكل عام ؟ وكيف نشأت هذه الحركة ؟ ومن بدأ بتدوين التاريخ عند العرب ؟ وكيف تطور هذا التدوين حتى وصل إلى ما وصل إليه في العصر الأيوبي ؟ وما العوامل التي أثرت في الكتابة التاريخية ؟

يمكن القول بأن العناية بدراسة الحديث وسيرة الرسول (ص) كانت من أهم تلك العوامل يضاف إليها الاهتمام بالقضايا السياسية والإدارية والإجتماعية الأخرى التي ظهرت على مسرح الأحداث ولاسيما مسألة الخلافة ، وإدارة المناطق المحررة ، وطرق تنظيمها وحكمها[٢] . هي التي دفعت إلى الإهتمام بالتأريخ قدماً إلى الأمام .

ويعد الخليفة عمر بن الخطاب [٣] (رضي الله عنه) من المساهمين في تطوير عملية التأريخ حيث قال :((ضعوا للناس تاريخاً يتعاملون عليه وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه عن معاملاتهم...)) . [٤]

ثم قام بوضع تقويم ثابت ، هو التاريخ الهجري . فكان لهذا العمل أثر كبير في نشأة الفكرة التاريخية عند العرب ، حيث أصبح توقيت الأحداث هو العمود الأساسي للدراسات التاريخية. إضافةً إلى اهتمامه بتأسيس السجل (الديوان) الذي يدون فيه أسماء المقاتلين وآهليهم بحسب قبائلهم مما أعطى للأنساب أهمية جديدة ، وكان دافعاً إضافياً للأهتمام بدراسة الأنساب.[٥]

---

[١]- طه (عبد الواحد ذنون) : أصول البحث التاريخي ، ليبيا – بنغازي ، دار المدار الإسلامي ، ٢٠٠٤ م ، ط١، ص٧٧

[٢]- أمين (أحمد) : فجر الإسلام ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦١م، ط٨ ،ص١٧٨-١٨٠

[٣]- عمر بن الخطاب : أمير المؤمنين ، أبو حفص العدوي ، الفاروق ، ثاني الخلفاء الراشدين هو الذي فتح الأمصار والمحدث الملهم ، والذي سن للمحدثين التثبت في النقل توفي سنة ٢٣هـ /٦٤٣م ، وعاش نحو ستين عاماً؛ يعزى إلى أبو الفداء : التبر المسبوك ، ص ٣١.

[٤]- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ) : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت ، مصر ، مكتبة ابن سينا ، د.ت ، ص ٩٨ .

[٥]- الدوري (عبد العزيز) : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، بيروت،المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠،ص١٩٠.

وفي حدود منتصف القرن الأول للهجرة / السابع للميلاد جرت محاولات أولية تركزت على العناية بجمع وتدوين أخبار العرب قبل الإسلام ، والأقوام المجاورة لهم ، والقصص والأنساب والمغازي والسير ، حيث أشارت المصادر التاريخية إلى أن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (٤١-٦٠هـ / ٦٦١-٦٧٩م) كان أول من اهتم بهذه المعرفة التاريخية في العصر الأموي وشجعها [١] واستعان ببعض العلماء اليمانيين لتحقيق هذه الغاية، ومن أشهرهم وهب[٢] ابن منبه .[٣] وعندما أصبحت الكتابة التاريخية منظمة عند المسلمين، فإنها تأثرت بدراسات الحديث النبوي الشريف الذي اهتم المحدثون كثيراً بجمعه ، ومعرفة رواته والتأكد من صدقهم، نظراً لأهمية ذلك في تحقيق الحديث سواء في رواياته أو في مصطلحه ، إضافةً إلى عناية علماء الحديث في وضع قواعد نظرية وتطبيقية تتصف بالدقة ،والإتقان للتأكد من متن الحديث وإسناده . [٤] وعلى الرغم من أن هذه الدراسات في الأساس من عمل المحدثين ، فإنها كانت على علاقة وثيقة بالتاريخ ، لأن دراسة المتن والإسناد ، هي من صميم الدراسات التاريخية لأنها تبحث في الماضي، إضافة إلى أن كثيراً من المحدثين كانوا مؤرخين أيضاً فباستخدامهم هذه الطريقة جنوا الفائدة من دراسة التاريخ ، ويسمى العلم الذي وضعه علماء الحديث لنقد الرواة بعلم الجرح والتعديل .[٥]

من خلال ما تقدم يتضح أن بدايات علم التاريخ عند العرب المسلمين سار في اتجاهين أساسين متميزين ، أحدهما ديني : قوامه دراسة الحديث ومركزه المدينة ، والثاني قبلي كان استمرارياً لبعض الأيام وروايات الإسلام ، إذ تناول من الموضوعات المعارك والفتوح الإسلامية ، وكان مركز هذا الاتجاه في البصرة والكوفة . [٦]

---

[١] - طه : أصول البحث التاريخي ، ص ٧٨ .

[٢] - وهب بن منبه : أبو عبدالله وهب بن منبه بن كامل الأنباري الصنعاني الأخباري ، عالم اليمن ولد سنة ٣٤ هـ/٦٥٤م ، صنف العديد من الكتب أهمها : (أخبار الملوك المتوجه من حمير)،(الإسرائيليات) (تفسير القرآن)،(فتوح البلاد) توفي سنة ١١٤هـ/٧٣٢م؛ ابن الغزي: ديوان الاسلام ، ج٤، ٣٦٧.

[٣] - طه: المرجع السالف ، ص ٧٨.

[٤] - الصالح (صبحي) : علوم الحديث ومصطلحه ، مطبعة جامعة دمشق ، ط١ ،١٣٧٩هـ -١٩٥٩م ،ص ١٢٦ فما بعد .

[٥] - طه : المرجع السالف ، ص ٧٩.

[٦] - سالم (السيد عبد العزيز) : التاريخ والمؤرخون العرب ، الإسكندرية ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٦٧م ، ص ٦٦ - بيضون (ابراهيم) : مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية ، بيروت ، دار المؤرخ العربي ، ط١ ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ، ص١٥-١٧ .

ومن أسباب ظهور التدوين التاريخي بشكل منظم اهتمام المسلمين بجمع أحاديث الرسول (ص) منذ نهاية القرن الأول الهجري / السابع للميلاد ، لأن علم التاريخ العربي الإسلامي كان يقوم عند نشأته على دراسة سيرة النبي العربي ، وأخبار الغزوات ومن أسهم فيها وقد سميت الدراسات الأولى لحياة الرسول (ص) باسم المغازي،وقد دونها نخبة من المسلمين البارزين أشهرهم إبان ابن عثمان [١] ، وعروة بن الزبير [٢] ، ومنهم أيضاً ابن اسحق ، والواقدي الذين كانوا علماء . مؤرخين أولاً ، ثم محدثين بالدرجة الثانية [٣] . وهذا يؤكد أنَّ دراسة السيرة قد قطعت مرحلة كبيرة من التقدم . ومن ناحية أخرى فقد تطور أيضاً الاتجاه الثاني للكتابة التاريخية ، والذي يعني بالمآثر والأنساب القبلية . حيث كان لحروب التحرير دور كبير في إضافة أمجاد جديدة إلى الموضوعات القبلية ولقيت هذه الدراسات تشجيعاً من الخلفاء الأمويين ، ولاسيما الأنساب حيث شهد القرن الثاني للهجرة / الثامن للميلاد [٤] عدداً كبيراً من الأخباريين ، والنسابين ، واللغويين الذين عملوا بنشاط في الحقول التي اختصوا بها، فمثَّل الإخباريون خطَّ الدراسات التاريخية ، ومن أهمهم في هذا المجال عوانة بن الحكم [٥] ، أما أشهر النسابين الذين ظهروا في هذا العصر محمد بن السائب الكلبي [٦] لكن تغير الوضع عند مؤرخي القرن الثالث للهجرة /التاسع للميلاد حيث اعتمدوا في مصادرهم لكتابة التاريخ على موارد عديدة وهي السيرة النبوية ، والسجلات الرسمية ، والكتب المنقولة من اللغات الأجنبية والمشاهدة ، والمشافهة . وحاولوا الاستفادة أيضاً من كتب الإخباريين وكتب

---

[١]- إبان بن عثمان : الإمام ، الفقيه ، الأمير ، أبو سعد ، الأموي ، المدني ، كان ثقة وله أحاديث قليلة أخذ بعضها عن أبيه ، كما كانت ولاية أبان بن عثمان على المدينة سبع سنين وتوفي سنة ١٠٥هـ /٧٢٣م . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٤ ، ٣٥١-٣٥٣ .

[٢]- عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب : الإمام ، عالم المدينة ، أبو عبدالله القرشي الأسدي المدني ، الفقيه ولد سنة ٢٣هـ / ٦٤٣م ، وهو أحد الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنة ، وعروة هذا هو الذي حفر بئر عروة بالمدينة ، وهي منسوبة إليه ، وليس بالمدينة بئر أعذب منها وتوفي عروة سنة ٩٤هـ /٧١٢م؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص ٢٥٥ .

[٣]- الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ،ص٢٨-٢٩ ، الجمل (شوقي): علم التأريخ نشأته وتطوره، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط١، ١٩٨٢م، ص ٤١-٤٣ .

[٤]- السيوطي (جلال الدين ت ٩١١هـ) : الشماريخ في علم التاريخ ، تحقيق أنور محمود زناتي ، محمد سالم صقر، القاهرة ، دار الأفاق العربية ، ط، ، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م ، ص ٥٠.

[٥]- عوانة بن الحكم بن عياض بن وزر الكلبي ، العلامة ، الأخباري ، أبو الحكم الكوفي ، الضرير أحد الفصحاء ، له كتاب (التاريخ) ، وكتاب (سير معاوية وبني أمية) ، توفي سنة ١٤٧هـ /٧٦٤م؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٧ ،ص ٢٠١ .

[٦]- محمد بن السائب الكلبي : أبو النصر محمد بن السائب بن بشار بن عمرو الكلبي ، كان إماماً في التفسير والأخبار ، وعلم النسب ، حضر معركة دير الجماجم ، توفي سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م بالكوفة؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص ٣٠٩-٣١١.

الأنساب، والمصادر الأخرى المتوفرة واعتمد عملهم على انتقاء المادة بعد النقد ، وامتازوا باتساع مداركهم ، ونظرتهم الشمولية العالمية . [١]

ويأتي البلاذري [٢] في مقدمة المؤلفين الذين ساروا على النهج . ويمثل كتاباه (فتوح البلدان) و (أنساب الأشراف) تطوراً كبيراً في هذا الإتجاه . حيث يعد كتابه الأول سجلاً للفتوحات الإسلامية أما كتاب الأنساب فهو تاريخ عام اتخذ من النسب إطاراً تاريخياً لتناول تاريخ الدولة العربية الإسلامية في عصورها الأولى [٣] .

ومثّل أبو جعفر محمد بن جرير الطبري قمة ما وصل إليه تدوين التاريخ عند العرب بحيث يعد كتابه (تاريخ الملوك) أهم المصادر ، وأغزرها مادة بالنسبة إلى القرون الأولى للعلم في المجتمع الإسلامي[٤] ويقسم هذا الكتاب إلى قسمين أساسين الأول ما قبل الإسلام ، والثاني الحقبة الإسلامية . وظهرت ابتداء من منتصف القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد تواريخ محلية نتيجة لاعتزاز المؤرخين بأقاليمهم وّأمصارهم التي عاشوا فيها . حيث جمع علماء الأقاليم الروايات التاريخية الخاصة ببلدهم فأثر ذلك في كتابة التاريخ عند العرب تأثيراً كبيراً وقد اتضح ذلك من كثرة المؤلفات ، وأشهرها (تاريخ بغداد وأعلامها) للخطيب البغدادي [٥] (ت ٤٦٣هـ /١٠٧٠م) و (تاريخ دمشق وأعلامها) لابن عساكر[٦] (ت٥٧١هـ/١١٧٥م).

وإلى جانب هذه التواريخ المحلية ، لم ينقطع المؤرخون العرب عن التأليف في التواريخ العامة، فبعد الطبري دون المسعودي (ت ٣٤٦هـ /٩٥٧م) كتابة الشهير (مروج الذهب

١- الدوري : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص٤٨ - ضومط (أنطوان) : التأريخ في العصور الوسطى الإسلامية ، بيروت ، دار الحداثة ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص ٢١-٢٥ .

٢- البلاذري : أبو بكر ، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي البلاذري الكاتب ، كان علامة وأديباً ومصنفاً وشاعراً محسناً ، كان يكنى أبا الحسن وقيل أبا جعفر ، صاحب (التاريخ الكبير) توفي سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، جـ١٣ ، ص ١٦٢-١٦٣

٣- طه : أصول البحث التاريخي ، ص٨٧ - كب : علم التأريخ ، ترجمة ابراهيم خورشيد ، عبد الحميد يونس ، حسن عثمان ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨١م ، ط١ ، ص ٧٣ .

٤- طه : المرجع السالف ، ص ٩١ .

٥- الخطيب البغدادي : أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي ، الإمام ، الأوحد ، ، العلامة المفتي ، الحافظ، الناقد ، محدث الوقت ، صاحب التصانيف ومن مصنفاته (تاريخ بغداد) ولد سنة ٣٩٢هـ /١٠٠١م وتوفي سنة ٤٦٣هـ /١٠٧٠م؛ الذهبي: المصدر السالف،جـ١٨،ص٢٧٠٢٩٧.

٦- ابن عساكر : أبو القاسم الدمشقي الشافعي ، العلامة ، الحافظ الكبير، المجود ، محدث الشام ، ثقة الدين ولد سنة ٤٩٩هـ /١١٠٥م ، صاحب (تاريخ دمشق)، الذي وضعه في ثمانين مجلدة ، كان إماماً في الحديث ومن أعيان الفقهاء توفي ٥٧١هـ /١١٧٥م ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٣ ،ص ٣٠٩-٣١١ .

ومعادن الجوهر) وألف ابن الأثير (الكامل في التاريخ)[١] ، وكتب أبو الفداء (المختصر في أخبار البشر) .....الخ [٢] وقد تطور تدوين التاريخ نتيجة للوقائع التاريخية التي حدثت للأمة العربية الإسلامية ، من العدوين الداهمين اللذين عملاً على تقويضها / الصليبين (الفرنجة) والمغول/ فهذه الوقائع شكلت دوافع لتدوين الأحداث ضمن أسفار التاريخ. ففتح المؤرخون لها أبواب التاريخ مدخلين إياها في ذاكرة البشرية ، مخلدين انتصاراتهم ، وأمجادهم ، متفاخرين ومعتزين بها .

وبعد هذا انتقل علم التاريخ إلى مرحلة أخرى من التطور ، حيث أصبح مكرساً للبحث والاستقصاء. فوضع العلماء المسلمون مصنفات في علم التاريخ . ومن الأمثلة على ذلك الصفدي[٣] في مقدمة كتابه (الوافي بالوفيات) . يتضح مما سبق مدى الإنجاز الذي حققه المؤرخون لتطوير التدوين التاريخي حيث نما علم التاريخ وتفرع وبلغ مرحلة عظيمة من التطور والإزدهار .

أما من حيث الطريقة العلمية التي سار عليها المؤرخون العرب فقد اعتمدت على التنوع أيضاً، فبداية اعتبروا التاريخ فرعاً من علوم الحديث ، وتأثروا بطريقة المحدثين في جمع الروايات ونقدها واهتمامهم بالإسناد إلى المصدر الأصلي ، وقد ضمنت لهم هذه الطريقة إلى حد بعيد صحة الأخبار المتصلة بالسيرة النبوية وأحداث [٤] الدول العربية الإسلامية ، وكان أساس ضبط الأخبار عندهم هو توقيتها الدقيق بالأيام والشهور والسنين والمؤرخون سلكوا في عرض الحوادث طرقاً مختلفة . منها ترتيب الحوادث على السنين . والطريقة الثانية هي تدوين الحوادث كالقصة المرتبة على العصور، أمثال ابن خلدون وغيره . وقد آثر بعضهم تدوين الحوادث حسب الأسر الحاكمة ، الطبقات ، التراجم ، الأنساب وغيرها .

ومما امتازت به الحركة التأريخية قيام المؤرخين في تسجيل الحوادث ، وصحة الأخبار التي أوردوها ولاسيما الأحداث الإسلامية . وقد جاءت هذه الصحة من الطريقة التي عالجوا فيها الأحداث، واعتمادهم على مبدأ النقد وعدم أخذهم إلا عن العدول الثقات ، متبعين في ذلك

١- الكامل في التاريخ : كتاب لـ علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ط١، ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .

٢- طه : أصول البحث التاريخي ، ص٩١.

٣ -الصفدي : خليل بن أيبك بن عبدالله ، صلاح الدين أبو الصفا الشافعي ولد سنة ٦٩٦هـ /١٢٩٦م ، الإمام، الأديب ، الناظم ، الناثر ، المؤرخ ، القاضي ، صاحب المؤلفات الكثيرة منها : (الوافي بالوفيات) و (التذكرة) ، توفي سنة ٧٦٤هـ /١٣٦٢م؛ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، جـ٢ ، ص١٧٦-١٧٧ .

٤ - طه : المرجع السالف ، ص٩١.

علماء الحديث في نقدهم لسلسلة الرواة ، وتطبيق مبدأ الجرح والتعديل عليهم . كما كان هناك بشكل عام عناية بالموضوعات التاريخية نفسها [١] كما فعل المسعودي [٢] وغيره ، وقد أتت صحة الأخبار لديهم من ابتكارهم للتوقيت الكامل من حيث ذكر الأيام والشهور والسنين ، الأمر الذي يدعو إلى التدقيق في الأخبار وصحتها [٣] ولكن كان هناك مآخذ على المؤرخين في طرق تدوينهم هو أن اهتمامهم كان منصباً بالدرجة الأولى على الحكام والحروب دون الإلتفات إلى المجتمع وما يقتضيه تسلسل الأحداث من تعليل وتفسير باستثناء بعض المؤرخين الكبار أمثال الطبري ، وابن عذارى ، والمقريزي[٤] ، وابن خلدون [٥] ، وذلك أن معظم المؤرخين لم يعتنوا بأحوال المجتمع والشؤون العامة للجماعات ، ولم يفردوا موضوعاتٍ خاصة بالتطورات الإقتصادية ، والإجتماعية والحضارية بوجه عام ، ومع ذلك فهذه الموضوعات ليست مفقودة تماماً من كتب التاريخ لكنها إن وجدت تأتي بشكل عرض سريع[٦].

١- طه: أصول البحث التاريخي ، ص ٩١.

٢-المسعودي : علي بن الحسين بن علي من ذرية ابن مسعود ، كان أخبارياً ، صاحب تصانيف من أهمها كتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) ، وله غيره العديد من التواريخ توفي سنة ٣١٠هـ /٩٢٢م ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ١٥ ، ص ٥٦٩

٣- طه: المرجع السالف ، ص ٩٧ .

٤- المقريزي : أحمد بن علي بن عبد القادر الإمام ، المؤرخ ، الأخباري ، الشيخ تقي الدين أبو العباس ، القاهري، الشافعي ولد سنة ٧٦٦هـ /١٣٦٤م ، اشتغل في العلوم التي كانت معروفة في عصره وتولى حسبة القاهرة ، ونظم ونثر وألف كتباً كثيرة منها (درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة) و (السلوك لمعرفة دول الملوك) توفي سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م؛ السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢ هـ) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، لبنان ــ بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د. ط ، د. ت ، ج٢ ، ص ٢١ ــ٢٥ .

٥- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن خلدون الإشبيلي ، ولي الدين ، المؤرخ الملكي ، ولد سنة ٧٣٢هـ /١٣٣١م بتونس ، له كتاب في طبيعة العمران وعنوانه (العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر) في التاريخ توفي بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ /١٤٠٥م؛ ابن الغزي: ديوان الاسلام، ج٢، ص٢٤٩-٢٥٠ .

٦- طه : المرجع السالف ، ص٩٧-٩٨ .

٢. ملامح الإنتاج التاريخي :

إن النجاح والإبداع والنضج الذي نعم به علم التاريخ في العصر الأيوبي والحاصل على التزايد أكثر من أي وقت مضى فتجلى هذا الإبداع ، وذاك النضج أكثر ما تجلى بغزارة المادة التاريخية وتنوع أصنافها وموضوعاتها ، حيث لم يدع مؤرخو العصر الأيوبي باباً من فنون[١] الكتابة التاريخية إلا وتناولوه وولجوا فيه وعالجوه ومنها :

أ. وفرة المادة :

التاريخ في مقدمة الفنون التي شملت بالعناية في العصر الأيوبي ، فقد تضافرت الجهود ، وتضاعفت الهمم ، وتنافست العقول والأيدي على إخراج كتب تاريخية حافلة فامتلأت بها خزانات الكتب ، وتعددت أنواعها ، وتكاثرت مزاياها ، حتى أصبحت ذخيرة نفيسة عظيمة القيمة لاغنى عنها ومن أسباب ازدياد المادة التاريخية في أصقاع العالم الإسلامي عامة ، وفي حماه خاصة :

١) فائدة وعراقة هذا العلم ، هي أنها تأصلت عبر قرون عدة خلت ، مما أدى إلى نضج العمل التاريخي ووصل في هذا العصر إن صح التعبير مرحلة الذروة ، فظهرت مجموعة كبيرة من العلماء الذين ركزوا نشاطهم العلمي على تسجيل الأحداث التاريخية من عدة مصادر وثيقة ، تنقل أو تقرب الصورة الحياتية لحقبة زمنية واسعة في التاريخ العربي . فساهمت كتاباتهم التاريخية في إلقاء الضوء على شكل الحياة بشكل دقيق ويومي. وخلفوا ثروة ضخمة من المعلومات المفصلة المؤقتة توقيتاً دقيقاً خلال الحقبة الزمنية التي عاشها هؤلاء الكتاب مع عرض للأحداث التي سبقت حياتهم ومن هؤلاء المؤرخين الحمويين ابن واصل ، وأبو الفداء .

٢) ازدادت المادة التاريخية تبعاً لتطور الحياة العربية مع انقضاء القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي حيث استقرت دواوين الإنشاء والجند والبريد وتنوعت العهود والوثائق والمراسلات ، وأضحت الحاجة ماسة إلى معرفة المواليد والوفيات ، ومدد ولايات الخلفاء، والولاة ، والقضاة ، والقواد وأمراء مواسم الحج [٢] . وخير مثال على هذا التنوع من التدوين كتاب المقتفى للبرزالي الذي عاش مدة من الزمن في حماه بالعصر الأيوبي .

١- فنون : تعني الأنواع والضرب من الشيء مفردها فن وجمعها أفنان وفنون؛ ابن منظور: لسان العرب ، جـ١٣ ، ص ٣٢٦

٢- طه : أصول البحث التاريخي ، ص٨٦.

٣) شرع علماء كل إقليم منذ القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد في جمع الروايات التأريخية التي تتصل بإقليمهم ، مما أدى إلى ازدياد المادة التأريخية [١]

٤) الوقائع التاريخية سواء أكانت الظروف خارجية أو داخلية ، خارجية كالعدوان ومثال ذلك / الصليبيون- المغول / اللذان أغارا على الأمة الإسلامية ، فهذه الوقائع شكلت دوافع لتدوين الأحداث ضمن أسفار التاريخ . ففتح المؤرخون لهم أبواب التاريخ مدخلين إياها في ذاكرة البشرية ، مخلدين انتصاراتهم وأمجادهم ، متفاخرين ومعتزين بها ، والظروف الداخلية مثل / الثورات ، ومؤامرات البلاط ، انجازات السلاطين / ، وهو مازود المؤرخين بمادة غنية شكلت جوهر الكتابة التاريخية [٢] وكان المؤرخون الحمويون مثلهم مثل بقية مؤرخي العالم الإسلامي ، اهتموا بتدوين الحروب التي خاضها المسلمون ضد الصليبين والمغول ومن الأمثلة على ذلك كتاب (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) و(التاريخ المنصوري) لابن نظيف الحموي .

٥) قرب المؤرخين من البلاط السلطاني ، حيث شغل الكثيرون منهم للمناصب الحكومية الكبرى في دولة الأيوبين وشاركوا في الأحداث بطريقة أو بأخرى ، إضافة إلى تشجيع السلاطين على تدوين الأحداث ، وربما كان الباعث لتلك الرغبة بتخليد الإنجازات التاريخية والحضارية ، أو إدراج سيرهم في سجل التاريخ الإسلامي ، لتبقى أعمالهم حية وذكرى للأجيال المتلاحقة ، إن قيام أو حصول الصراع السياسي بين الدول المستقلة وقيام الحركة الشعوبية ، قد أدى بدوره إلى التنافس الأدبي التاريخي ، فتكاملت فكرة النقد لدى العرب المسلمين ، كما غزرت المادة التاريخية المتحصلة [٣] . ومن الأمثلة على قرب المؤرخين من السلاطين كان المؤرخ الحموي ابن أبي الدم الذي دون كتاب اسماه التاريخ المظفري نسبة إلى الملك المظفر محمود الثاني صاحب حماه .

١- كب : علم التاريخ ، ص ٧٣ .

٢- طه : أصول البحث التاريخي ، ص٩١ - عثمان (محمد فتحي) : المدخل إلى التاريخ الإسلامي ، د.م ، دار النفائس ، د.ت، ص ١١٤ .

٣- كب : المرجع السالف ، ص ٧٦ .

٦) نزوع التاريخ العربي نحو العالمية ، كنتيجة منطقية للفتوحات الإسلامية ، وتوغل الإسلام شرقاً وغرباً ، وولوج شعوب وقوميات مختلفة في الأرض العربية وتكوين صلات معها ، فتضخمت مادة الوقائع عندهم . كما أن نشاط حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية أسهم وبشكل كبير في التعريف بأخبار الأمم الأخرى القديمة كالفرس . وقد بدأت هذه الحركة مع عبدالله بن المقفع الفارسي [١] وهو أحد المترجمين من اللسان الفارسي إلى العربي فقام بترجمة كتب عدة منها كتاب (خداينامة) في تاريخ الفرس ، وكتاب (التاج) في سيرة أنوشروان [٢] ، ومن المؤرخين الذين اهتموا بالترجمة أيضاً كان البلاذري الذي قام بترجمة كتاب (عهد أزدشير) من الفارسية إلى العربية [٣]

١-عبدالله ابن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة ، صاحب الرسائل البديعة ، وهو من أهل فارس ، وكان مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور الخليفتين الأولين من خلفاء بني العباس ، صنف العديد من الكتب منها (الدرة اليتمية) والتي لم يصنف مثلها؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ٢ ، ص ١٥١-١٥٦ .

٢- ابن خلكان : المصدر السالف ، جـ٢ ، ص١٥٦ وما بعد.

٣-النديم (محمد بن اسحاق ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م) : الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٨٧م ، ص١٦٤

ب. مجالات التأليف :

نشطت حركة التأليف في هذا العصر نشاطاً ملحوظاً ، ويمكن أن يعد عصراً ثقافياً خصباً ، ونضجاً فكرياً ، وغزارة في التأليف والتصنيف ، ففي هذا العصر ظهر التخصص في التأليف عند الكتاب ومرد ذلك إلى النضج الكبير ، ومن مجالات التأليف التي اعتمدها المؤرخون في العصر الأيوبي هي :

الأحداث السياسية : حيث كان للتطورات السياسية / كانتقال مركز الإشعاع الفكري من العراق إلى الشام ومصر / والأحداث العسكرية المتتالية / الصراع مع الصليبين والمغول / أثر على الحياة الفكرية عموماً بحيث بذل المؤرخون جهدهم للجمع بين تواريخ السير ، والتواريخ السياسية إضافة إلى دور الوقائع التاريخية والحروب مع الصليبين والمغول وهذا بمجمله قد دفع المؤرخين لتدوين الأحداث ضمن أسفار التاريخ ، وذلك لتخليد انتصاراتهم وأمجادهم .

كما أن تشجيع الأمراء والملوك للمؤرخين على تدوين سيرهم دفع بالمؤرخين إلى تضمين الأحداث السياسية ضمن سير الملوك والأمراء حتى أصبح تدوين التاريخ السياسي في الغالب مهمة الموظفين والمقربين من البلاط ، وكانوا يستقون أخبارهم من الوثائق الرسمية ، والاتصالات الشخصية ، ومايدور من حديث بين الموظفين والمقربين إلى صاحب البلاط [١] ومن **مجالات التأليف أيضاً فن التراجم** الذي أسهم بنصيب وافر في كتابة التاريخ الإسلامي ويعد العرب في طليعة الأمم في هذا المضمار ، ويعد هذا الفن من أقدم نماذج التعبير التاريخي حيث كان يعنى بحياة وأعمال وأفكار الأعلام الذين تمتعوا بصفات لها قيمة عالية على الأغلب في الأعراف الاجتماعية السائدة ، سواء أكانوا رجالاً أم نساءً ، مسطرين أسماءهم ممجدين أعمالهم تحت راية خصالهم الفريدة ، فترجم المؤرخون للقادة والملوك للرواة والعلماء للأدباء والأطباء ، للسياسين والمفكرين ، وشغلت كتب التراجم في التراث العربي أبين مكان وأخذت أكبر حيز [٢] ، حتى بات فن التراجم سمة مميزة من فنون الكتابة التاريخية في العصر الأيوبي .ولهذا فقد ازدادت كتب التراجم وسمح الإغراق في التراجم بحفظ الصورة الفكرية الثقافية للعصر الأيوبي بشكل لا يقل كمالاً ودقة عن صورته السياسية،

١-هاملتون (جب) : دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة احسان عباس ، محمد نجم محمود زايد ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤م ، ص ١٦٦ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .

٢- الخطيب (نشأت نور الدين) : التاريخ والمؤرخون العرب تصور ومنهج ، د. م ، الناشر شركة النعمان التجارية ، ط١ ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ، ص ٢٦٢ .

فظهرت شبكة من العلماء مترابطة مابين شيخ وتلميذ ، وبين تلميذ وتلميذ آخر وما بين معاصر وآخر ، وتنقّل هؤلاء العلماء بين المدن الإسلامية كل ذلك ، وما يتبعه من صداقة وخصومه ومنافسات وصراع في الفكر والمصالح قد دفع بالمؤرخين لتدوين الكثير من التراجم التي لم تكن تقتصر على الأعلام الكبار ، بل تناولت حتى صغار العلماء وبعض التجار وغيرهم . [١]

وتشكل كتب التراجم الركيزة والمعول الأساسي لأي بحث وباحث على اختلاف العصور وهذا ما عبر عنه أحد المؤرخين: ((وحيثما كانت الترجمات لأشخاص أقل اتصالاً بالشؤون العامة لم تصنف مع التاريخ بدون شروط معينة ، ولكن الباحث الحديث في حياة ذلك الموضوع ، لا يستطيع أن يغفلها ، إذا أراد أن يفهم شيئاً عن حياة الرعية وشواغلها ...)) . [٢]

أما من حيث طريقة كتابة التراجم فقد لجأ المؤرخون المسلمون إلى طرق مختلفة ومتنوعة فهي تراوحت مابين اتصال المؤرخ بالمترجم له ، والقرب منه والتتبع الحركي له ، أو عن طريق السماع والنقل الشفهي فيتلقى المؤرخ أخبار من يترجم له سيرته وحياته سامعاً من هذا أوناقلاً عن ذاك.[٣]

والجدير بالذكر إن كتب التراجم وإن اختلفت من حيث طريقة جمع المادة التاريخية ، أو تباينت من حيث الموضوع أو طريقة العرض ، أو الأسلوب الذي ينتهجه مؤلف التراجم يبقى هناك عنصر جوهري مشترك هو تاريخ الوفاة ، وهو الشيء الثابت والغير مختلف عليه في أغلب التراجم أما تاريخ الولادة فإنه غائب عن أغلب التراجم ولا يظهر إلا نادراً ، وبقيت هناك بعض الجهود المبذولة لبيان تاريخ الولادة . [٤]

من خلال ما تقدم يمكن القول إن فن التراجم أصبح سمة مميزة من فنون الكتابة التاريخية في العصر الأيوبي ، ويمكن أن يلاحظ أنه ما من مؤلف تاريخي في العصر يكاد يخلو من التراجم، كما أن كتب التاريخ العام حملت في الأعم الغالب ترجمات شخصية فبعد أن يذكر المؤرخ أحداث سنة سنة يذكر بنهاية كل سنة الوفيات.

١- مصطفى (شاكر) : التاريخ العربي والمؤرخون ، لبنان ــ بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٣ ، ١٩٨٧، جـ٣ ، ص٢٣ .

٢- مارغوليوس : دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة حسين نصار ، بيروت ، دار الثقافة ، ص ١٨ .

٣- حسن (محمد عبد الغني) : التاريخ عند العرب ، القاهرة ، دار المعارف ، د.ت ، ص ٦٤-٦٧ .

٤- روزنثال (فرانز) : علم التأريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، مراجعة محمد توفيق حسين ، بغداد ، الناشر مكتبة المثنى ، ط١، ١٩٦٣م ، ص ١٤٤ - كب : علم التأريخ ، ص ٨٢-٨٣ . النجار (حسين فوزي) : التاريخ والسير ، القاهرة، الثقافة والإرشاد القومي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دار العلم ، ١٩٦٤م ، ص ٣٤ .

ج.المؤلفات التاريخية :

تنوعت أساليب التدوين في العصر الأيوبي ، فقد كتب المؤرخون في مختلف الأنواع على تباين في الكثرة والقلة منها في التاريخ العام والخاص ، العربي والإسلامي ، الديني ، الإجتماعي ، الاقتصادي وهنا يمكن التساؤل ما هي أهم الفنون التي ازدهرت في العصر الأيوبي ؟

التاريخ العالمي والإسلامي العام : بدأ المؤرخون بتدوين هذا النوع من كتب التاريخ منذ منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع للميلاد ، وقد ضمنوا كتبهم تاريخ العرب وغير العرب، وقام عملهم على التوفيق بين ما استمدوه من كتب السيرة والمؤلفات التاريخية ، ثم سعوا لإدماج كل ذلك في رواية تاريخية متماسكة ، وكتب أولئك المؤرخون بإيجاز أو بإسهاب تاريخ العالم بادئين به منذ الخليقة وجاعلين ذلك الملخص مقدمة للتاريخ الإسلامي. [١]

وقد شهد هذا الفن من فنون الكتابة التاريخية نشاطاً ملحوظاً خلال العصر الأيوبي ، وزاد عدد المؤلفات في التاريخ العام (العالمي والإسلامي) ، وكانت هذه المؤلفات مابين مطول ومختصر ولكن هذه الكتابة المستجدة لم تأت بجديد ، فالمؤلفون عمدوا أحياناً كثيرة إلى الجمع الواسع ولاسيما في الأخبار عن السيرة النبوية والفتوح ، وفي أخبار العصر المتأخرة كما تضمنت إضافة الوفيات إليها ، والتوسع أحياناً في تلك الوفيات . [٢] ومن أشهر المؤلفات في التاريخ العام التي كتبت من قبل مؤرخين حمويين في حماه خلال العصر الأيوبي على سبيل المثال لا الحصر: (المختصر في أخبار البشر) لاسماعيل بن علي بن محمود بن شاهنشاه ابن أيوب الملك المؤيد أبو الفداء ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م ، صاحب حماه [٣] . فقد أورد في تأريخه هذا شيئاً من التواريخ القديمة على مقدمة وخمسة فصول ، والتواريخ الإسلامية المرتبة على السنين التي اعتمد عليها وأهمها الكامل لابن الأثير ، وانتهى أبو الفداء من تدوين

١- منجد (صلاح) وأخرون : منهج البحث التاريخي، جامعة دمشق،ط١، د.ت، ص٢٨٦- ترحيني (محمد أحمد): المؤرخون والتأريخ عند العرب ، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط١ ١٤١١هـ-١٩٩١م ، ص١٤٦.

٢- مصطفى : التاريخ والمؤرخون ، جـ٣ ،ص١٠٠ .

٣ - ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج١ ، ص ٤٤١ - اليافعي (أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي ابن سليمان ت ٧٦٨ هـ) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، لبنان ـ بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت ، ج٤ ، ص ٢١٣ .

كتابه سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م . [١] .ولعل أكبر الدوافع وراء هذا التأليف من التاريخ العالمي هو توفر مجموعة من العوامل المختلفة ، سياسية واجتماعية، وتاريخية ونفسية إضافة إلى وجود منشآت علمية ، كان لها أثر بارز في وجود هذا التراث العلمي ، لأنها كانت حاضنة للعلوم ، وحافزاً لبزوغه ، وتقديم ثماره لـــ أبناء الأمة الإسلامية يضاف إلى ما سبق من عوامل دور العلماء أنفسهم الذي لم يكن من الممكن خروج هذه المؤلفات بهذا الشكل من بين أيديهم وتحت أقلامهم لولا اتساع معارفهم وعلومهم وتنوع ثقافتهم حتى عالجوا مختلف جوانب الفنون والمعارف والعلوم التي حوتها مؤلفاتها .

ويعد **التأريخ الديني** من أهم الفنون التاريخية وهو يحتل المرتبة الثانية بعد التاريخ العام وقد قام على دراسة سيرة النبي العربي ، وأخبار الغزوات ومن أسهم فيها ، فكانت السيرة النبوية هي الركيزة الأساسية في التاريخ العربي الإسلامي ، مما دفع المؤرخين إلى الكتابة في سيرة الرسول ومغازيه ، وحروب الصحابة [٢] ، حيث قال السخاوي : ((فأما السيرة النبوية والمغازي فقد انتدب لجمعها مع سائر أيامه ، مما يرشد لطريقته ، من فاق كثرة ، وراق خبره)) .[٣].

فكتابة السيرة النبوية عند المؤرخين المسلمين هي أمر ديني يتعلق بحياة سيد الكائنات وأعظم رجل لديهم ، وقائد الأمة الإسلامية ، فانكبوا على دراسة السيرة النبوية ، وأكثروا من المؤلفات فيها ومن ثم صياغتها صياغة تتلاءم مع كل مرحلة تعيشها الأمة العربية الإسلامية .

فدونوا السيرة النبوية والشمائل المحمدية ، مما يجد فيه المسلمون الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة[٤].

ولكي تكون صورة الرسول محمد (ص) وسيرته أكثر حياة وتأثيراً مع مسار الأمة ، فقد عرضت بطريقة مختلفة منها ماهو معقد وطويل ، ومنها ماهو مختصر ، ومن الكتب التي تناولت السيرة النبوية مؤلفات عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة الحموي (ت ٧٦٧هـ/١٣٦٥م) ولد في دمشق سنة (٦٩٤هـ /١٢٩٤م)[٥] ، وتولى قضاء الديار

١- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ت ١٠١٧هـ) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لبنان - بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م ، مج٢ . ،ص ١٦٢٩

٢- عثمان : المدخل إلى التاريخ الإسلامي ، ص١١٩ .

٣-السخاوي : الإعلان بالتوبيخ ، ص ١٠٥ .

٤- حسن (محمد عبد الغني) : التراجم والسير ، د.م ، د. ن، ١٩٥٥م-ص ٣٣ .

٥- الشوكاني (محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ) : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تحقيق حسين بن عبد الله العمري ، دمشق ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص٣٦٦-٣٦٧

المصرية ، وصنف (السيرة الكبرى) و (السيرة الصغرى) . ولعل المقصود بكتب السيرة المتقدمة لابن جماعة كتابان (المختصر الكبير في سيرة النبي محمد (ص)) [١] الذي جمعه مما سلف من تراث السيرة ، ونقلها عن مصادر مفقودة . و(المختصر الندي في سيرة النبي) [٢] وهو مختصر حدث فيه بيسر وسهولة عن حياة المصطفى (ص) من ولادته حتى وفاته ولم يقتصر تأليف السيرة النبوية على المؤرخين أنفسهم ، بل شارك فيها الفقهاء والأدباء أيضاً ومن الملاحظ أنّ أغلب كتب التاريخ العام ، قد تناولت سيرة الرسول ، والتي كانت حداً فاصلاً في أغلب مؤلفاتهم وتواريخهم . [٣] ويأتي أيضاً ضمن فنون الكتابة التاريخية تأريخ الدول الذي يعرض المؤرخ فيه تاريخ السلالات الحاكمة أو تاريخ الملوك والدول .

ومن الواضح أن المؤرخين المسلمين الذين اعتمدوا الكتابة التاريخية على أساس الدول كان لهم رأي ، وموقف وهو إبراز فضائل هذه الدول التي يتكلمون عنها ، وإيضاح كيفية انتقال هذه الدول من حكام إلى حكام آخرين ، وتفسير السبب في الإنتقال من عصر هذه الدولة إلى أخرى ، فمعنى كلمة دول في العربية وردت بمعنى التداول ، أو التنقل أو التبدل . [٤]

والعامل الأهم في هذه المؤلفات هو أن تدوين التاريخ السياسي أصبح في الغالب مهمة الموظفين والمقربين من البلاط لذلك جاءت طريقة عرضهم للمادة التاريخية التي تناولوها مشبعة بالتحيز لطبقتهم ، وسيطرت عليها ضيق النظرة الإجتماعية والسياسية والدينية بالمقارنة مع كتابات التاريخ العام .

وخير مثال لهذا النوع من الكتابة التاريخية هو كتاب محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) ، المولود بحماه ٦٠٤هـ /١٢٠٧م [٥] ، الذي برع في العلوم الشرعية والعقلية والأخبار ، وأيام الناس ، وأقام بالقاهرة أعواماً طويلة ، وشهد حملة لويس التاسع الصليبية، واحتضار الدولة الأيوبية ، وقيام دولة المماليك ، واتصل بالظاهر بيبرس وصنف في هذا الفن كتابه المهم (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب) في عدة مجلدات مؤرخاً فيه الحوادث التي جرت أيام الدولة الأيوبية [٦] .

١- تحقيق كرم حلمي فرحات ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر ، ط١ ، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م .

٢- تحقيق محمد عبد الحميد السعدني ، القاهرة ، مكتبة القرآن ، د. ت .

٣- كاشف(سيدة): مصادر التاريخ الإسلامي، لبنان – بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ص٣٧.

٤- مصطفى : التاريخ والمؤرخون ، جـ٣ ، ص ٢٩٠- الخطيب ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ص٢٨٧.

٥- الصفدي: أعيان العصر ، جـ ، ص٤٤٦-٤٤٩- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت٩١١هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنجاة ، علي محمد عمر ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٢م ، جـ١ ، ص ٩٩-١٠٠ ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي ت١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، دمشق – بيروت ، دار ابن كثير، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م، جـ٧ ، ص ٦٦-٦٧ .

٦- ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٦ ، ص ١٥-١٨ .

٣. مناهج التأليف :

اعتمد مؤرخو العصر الأيوبي في تدوين التاريخ منهج المؤرخين السابقين عليهم سواء في جمع المصادر أو طرائق العمل والتنظيم للمعلومات أو في الأساليب الأدبية

أ ــ في مصادر المعلومات : والتي تتألف من مصادر العصور السابقة ومصادر الأحداث المعاصرة ومن مصادر العصور السابقة القرآن الكريم والحديث والتفسير ، أما القرآن الكريم فيعد أساس التشريع الإسلامي والمصدر الأول له ، إضافة لكونه مصدراً تاريخياً هاماً، بل من أقدم المصادر العربية المدونة لتاريخ العرب في عصر ما قبل الإسلام ، وأصدقها على الإطلاق لأنه تنزيل من الله تعالى لاسبيل إلى الشك في صحة نصه [١].

من خلال دراسة واستقراء القرآن الكريم يمكن استخلاص بعض مظاهر حياة العرب السياسية والاقتصادية والدينية ، إضافة إلى أخبار الشعوب البائدة (عاد وثمود)وأخبار أصحاب الفيل (أبرهة الحبشي وجيشه) ...الخ. وهذه الأخبار أوردها الله تعالى في كتابه العزيز عبرة وموعظة للعرب بما أصاب الله الشعوب البائدة من قصاص لتكذيبهم الرسل والأنبياء أما في عصر النبوة فتتجلى أهمية القرآن الكريم التاريخية في أنه يبين تطور الدعوة الإسلامية ويشير في مناسبات كثيرة إلى الجهود المضنية التي بذلها النبي (ص) لنشر الإسلام وتأسيس الدولة الإسلامية والعقبات التي صادفته ، لأن كل سورة فيه ترتبط بحقبة معينة من حياته ومع ذلك فإن عدداً من المستشرقين لايعدون الكتب المقدسة ، ومن بينها القرآن الكريم مصادر تاريخية يعول عليها ، لأن ماجاء فيها لايتضمن تفصيلات تاريخية ، كما أنها تهدف إلى عبرة أخلاقية إضافة إلى أن بعض أخبارها لاتزال غير واضحة وينقصها التحديد الزماني والمكاني [٢] وعلى الرغم من ذلك فإن القرآن الكريم يعد مصدراً لايرقى إليه الشك للتأكيد على وقوع بعض الأحداث في حقبة ما قبل الإسلام مثل حادثة أصحاب الأخدود ، وحادثة سيل العرم كما أنه مرآة صادقة للحياة في الحقبة التي سبقت الإسلام ، فهو يصور الحياة الدينية والاقتصادية، والاجتماعية والعقلية أصدق تصوير. [٣] وكان المؤرخون يستشهدون بالآيات القرآنية في الغالب في مجال التدليل على صدق الله العظيم في الوعد والوعيد ، وفي مجال العظة والاعتبار ومن الأمثلة على ذلك في العصر الأيوبي : ذكر المؤرخ ابن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) قوله تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم)[٤] . وسبب

---

[١]- حسين (طه) : في الأدب الجاهلي ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، ص ٦٨-٦٩- فروخ (عمر) : تاريخ الجاهلية، بيروت ، ١٩٦٤م-ص ١٦ .

[٢]- كاشف : مصادر التاريخ الإسلامي، ص ١٦ .

[٣]- الشريف (أحمد ابراهيم) : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، د.م ، د. ت ، ص و-ط

[٤]- سورة البقرة ، الأية ٢١٦ .

ذكره الآية الكريمة هذه عندما أراد الملك العادل نور الدين محمود أن يرسل صلاح الدين مع عمه شيركوه إلى مصر كره صلاح الدين ذلك حيث قال : (كنت أكره الناس في الخروج في هذه الوقعة ، وما خرجت مع عمي في اختياري)[١] . كما أن البرزالي (ت ٧٣٩هـ /١٣٣٨م) . استخدم الآيات الكريمة للاستشهاد بها على بعض الوقائع ومن الأمثلة على ذلك عندما حدث سيل بعلبك سنة ٧١٧هـ/١٣١٧م أهلك كثيراً من الناس والدور والعمائر ، وسور البلد ، وحائط الجامع [٢] . فذكر العديد من الآيات منها (إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصر)[٣] ويأتي علم الحديث في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم كمصادر للشريعة الإسلامية لأنه يتضمن أحكاماً ، وقوانين للمجتمع الإسلامي المتطور ، فيعد أصدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم .[٤] ويمكن القول إنه وتحديداً في القرن الثالث الهجري / التاسع للميلاد نشطت حركة جمع الأحاديث وتنقيتها ، ومعرفة صحيحها من حسنها ، وضعيفها ، ومعلولها . ومعرفة رجال الحديث من حيث صدقهم وكذبهم وضبطهم وأمانة تعليمهم ، وهو ماأطلق عليه علم الجرح والتعديل وظهرت كتب الحديث الصحيحة والمشهورة كصحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وسنن الترمذي ، وسنن النسائي ، ويمثل علم الحديث أقدم الروايات الشفوية التي وصلت عن طريق التدوين وأدقها ، لاعتماده على الإسناد ، ثم إن الأحاديث كانت تتعرض لكل ما كان قائماً في نظم الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الدولة العربية الإسلامية [٥] ومن الأمثلة على ذكر الأحاديث والاستشهاد بها أثناء تدوين المؤرخين مصنفاتهم ومنها الحديث الذي ذكره ابن المغيزل (ت سنة ٧٠١هـ /١٣٠١م)[٦] وهو اقتباس من حديث روته السيدة عائشة[٧] (رضي الله عنها) ، قالت : قال رسول الله (ص) : ((إن من الشعر حكماً ، وإن من البيان سحراً)) [٨]

ولعل التفسير يعد الركيزة الأساسية لمصادر المعلومات، وقد يتضمن شروحاً تفصيلية لما ورد في القرآن الكريم من أخبار مختصرة عن بعض الأحداث في حقبة ما قبل الإسلام، وفي

---

[١] - ابن واصل : مفرج الكروب ،جـ١ ، ص ١٥٩ .

[٢] -البرزالي : المقتفى ، جـ٢ ، ق٢ ،ص ٢٦١.

[٣] - سورة آل عمران ، الأية ١٣ .

[٤] -الشكعة (مصطفى) : مناهج التأليف عند العلماء المسلمين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣، ص٢٣- الشريف : مكة والمدينة ، ص،ط ، عثمان : المدخل إلى التاريخ ، ص ١١٩ .

[٥] - سالم : مناهج البحث ، ص ١٧٤-١٧٥ .

[٦] -ابن المغيزل : ذيل مفرج الكروب ، ص ٥-١٥ .

[٧] - عائشة : أم المؤمنين ، زوجة رسول الله (ص) ، وبنت أبي بكر الصديق ، روت عن النبي علماً جماً مباركاً ، وعن أبيها ، وعن عمر بن الخطاب وغيرهم ، كما حدث عنها الكثير توفيت سنة ٥٧هـ/٦٧٦م الذهبي : النبلاء ، جـ٢ ، ص ١٣٥-١٤٤ .

[٨] - ابن المغيزل : المصدر السالف ، ص ١٥٢ .

عصر النبوة الأولى، أو لما صعب فهمه من تشبيهات واستعارات ونشأ التفسير في عصر النبي محمد (ص)، الذي يعد أول شارح للقرآن الكريم، ثم تولى صحابته من بعده هذه المهمة، باعتبارهم الواقفين على أسراره المهتدين بهديه[١].

ومن أشهر كتب التفسير التاريخي كتاب معروف بتفسير الطبري ويسمى كتابه (جامع البيان في تفسير القرآن)[٢]، ومنها أيضاً تفسير ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)[٣].

ولم تكن كتب الطبقات أقل أهمية مما سبقتها من المصادر وهي الكتب التي عالج مؤلفوها سير طائفة معينة من الفقهاء أو القضاة أو الصحابة، أو الأدباء والشعراء أو الأطباء وغيرهم جيلاً بعد جيل وطبقة بعد طبقة[٤]، وتعد هذه الكتب من المصادر الهامة للتأريخ الإسلامي إذ هي تزود الباحث في التاريخ بمادة تاريخية خصبة ولقد شاع المفهوم الطبقي للتراجم بين مؤرخي العصر الأيوبي، والذي كان له أثره في التقسيم والترتيب، والذي روعي فيه إما عنصر الزمان، أو المكان أو المنزلة العلمية أو يخرج عن ذلك إلى ترتيب الأسماء على حروف المعجم أو يجمع بين ذلك كله، أو بعضه حيث عالج المؤرخون في طبقاتهم سير طائفة معينة من أصحاب رواة وفقهاء، وأدباء، وشعراء، وأطباء، ومتصوفة وغيرهم[٥].

أما مصادر الأحداث المعاصرة فهي الإطلاع الشخصي المباشر والشهادة العيانية إضافةً إلى جمع الشهادات الشفوية من الشهود والمعاصرين، والاطلاع الشخصي المباشر والشهادة العيانية اعتمد عليها جميع المؤرخين في تدوين الأحداث التي عاصروها وإن الرؤية العيانية للمعالم الجغرافية، والوقائع والأحداث التاريخية هي من أوثق المصادر[٦]، ومن الأمثلة على ذلك مشاهدات ابن واصل عن الوباء في مصر، فذكر ((وأعجب شيء رأيته في الديار المصرية أنه وقع ببلبيس[٧] حمى وسعال، بحيث لم يكد يسلم منه أحد، وليس بالقاهرة شيء

---

[١]- الصالح(صبحي): مباحث في علوم القرآن، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٨ ، ١٩٧٤ م، ص٣٣١.

[٢]- طبعة بولاق في ٣٠ جزءاً، القاهرة، ١٣٢١هـ.

[٣]- طبعة مصر في ٤ أجزاء، القاهرة ١٣٥٦هـ.

[٤]- منجد (صلاح) وآخرون:منهج البحث التاريخي، ص٢٣٧، ٢٤٦-٢٤٧- ترحيني: المؤرخون والتأريخ عند العرب، ص١٤٣-١٤٤.

[٥]- خضر (عبد العليم عبد الرحمن): المسلمون وكتابة التاريخ، الرياض، الدار للكتاب الإسلامية، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٩٥، ص١٦٤- مرغوليوس: دراسات عن المؤرخين العرب، ص١٩- حسن: التراجم والسير، ص٥٣-٦٨.

[٦]-عثمان: المدخل الى التاريخ الإسلامي، ص١٨٩.

[٧]- بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام؛ الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص٥٦٧.

منه، ثم بعد يوم أو يومين، حدث مثل ذلك بالقاهرة وكنت يؤمئذ بالجيزة مقيماً فركبت إلى القاهرة فوجدت هذا الأمر قد عم أهل القاهرة إلا القليل فرجعت إلى الجيزة[١]فما استقررت بها إلا وقد حدث بي ذلك وعم أهل الجيزة وكان أكثر ما يدوم ذلك السعال ثلاثة أيام ونحوها، وكان الغالب السلامة ثم صار ينتقل من بلد إلى آخر حتى انتهى إلى أخر الأعمال المصرية على التدريج))[٢].

كما يمكن أن يعد القسم الأخير من تاريخ أبي الفداء ((المختصر في أخبار البشر)) نموذجاً على الإطلاع الشخصي المباشر فعلى الرغم من أنه تاريخ عالمي مختصر إلا أنه يتحول في الصفحات الخمسين الأخيرة منه إلى نوع من المذكرات الشخصية الملكية، كتبها صاحب التاريخ ملك حماه ليؤرخ علاقاته مع السلطان في مصر ويدون بعض المعارك التي حضرها بالقول:

((.....يقول العبد الفقير مؤلف هذا المختصر، إنني حضرت حصار الحصن المذكور (حصن المرقب) وعمري إذ ذاك نحو اثنتي عشر سنة، وهو أول قتال رأيته وكنت مع والدي....))[٣].

ثم تتوالى الشهادات: فيذكر اشتراكه في غزوة بلادسيس من أولها إلى آخرها، ووصف تفاصيلها بالتواريخ الدقيقة، ومشاهدته قدوم المغول إلى حماه، وهزيمتهم في مرج الصفر[٤]جنوبي دمشق[٥]، ويذكر أيضاً حصاره قلعة الروم[٦] سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م[٧].

هذا بالنسبة للاطلاع الشخصي المباشر والشهادة العيانية، أما **جمع الشهادات الشفوية من الشهود والمعاصرين** فهو المصدر الثاني ولعله الأغزر، والأكثر استخداماً في تسجيل الأحداث التاريخية المعاصرة ويمكن استخراج عدداً كبيراً من الأمثلة على هذا النوع من خلال

---

[١]- الجيزة : الجيزة في لغة العرب الوادي أو أفضل موضع فيه وهي بلدة غربي فسطاط مصر ، ولها كورة كبيرة واسعة؛ الحموي : معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢٣٢.

[٢]-ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٦، ص٢٢٠-٢٢١.

[٣]-أبو الفداء: المختصر، جـ٣، ص٢٢٠-٢٢١.

[٤]- مرج الصفر: بالضم وتشديد الفاء، ويقع هذا المرج بدمشق؛ الحموي: معجم البلدان، جـ٥، ص١١٨.

[٥]- أبو الفداء: المصدر السالف، جـ٤، ص٢١٨.

[٦]- قلعة الروم : قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط يوجد بها مقام بطرك الأرمن خليفة المسيح عندهم ويسمونه بالأرمنية كتكاغيكوس وهذه القلعة كانت في وسط بلاد المسلمين؛ الحموي : المصدر السالف ، ج٤ ، ص ٤٤٣

[٧]- أبو الفداء: المصدر السالف، جـ٤، ص٢٦-٢٧.

المؤلفات المختلفة وذلك بأسماء من غزوا التواريخ بشهاداتهم وأخبارهم من الملوك والأمـــراء والعلماء، والكتاب، والجند، والتجار، والخدم، والحجاب، والقضاة وعمال الخـــراج وغيـــرهم، وكانوا وراء غزارة أو ضخامة أو صواب أو خطأ بعضها كما كانوا السبب عن تفردها ببعض الأخبار وأصالتها[١].

من ذلك يتبين أن عدد الشهود المعاصرين ليس واسعاً فقط، ولكنه في الوقـــت نفســـه متنـــوع الطبقات يشمل الملوك كما يشمل العامة، وفيه القادة الكبـــار، والجنـــد علـــى الســـواء وفيـــه المشاركون في الأحداث السياسية والشهود الحياديون المراقبون عن بعد أيضاً وكـــان الشـــرط الأهم في اختيارهم لدى المؤرخين هو حسن الاطلاع ومع أنهم كانوا ينصون أحياناً علـــى أن الراوي هو من الثقات إلا أنهم فيما يبدو لم يكونوا يحرصون على التثبـــت مـــن الثقـــة قـــدر حرصهم على سعة الاطلاع ومعرفة التفاصيل وقد يذكرون أن تســـجيل الروايـــة بنصـــها أو بالمعنى فقط وغالباً ما ينقل أحدهم عن الأخر تلك الشهادات مع اسم صاحبها فـــي نـــوع مـــن التوثيق منها وتأكيد مصدرها[٢].

والأمثلة على الشهود، والشهادات كمصادر للأخبار في العصر الأيوبي تفوق الاستقصاء ومن نماذجها: ((حكى لي الأمير حسام الدين بن أبي علي.....))[٣]، ((أخبرنـــي أخـــي.....))[٤]، ((حكى الشيخ سيف الدين الآمدي.....))[٥]، ((لقد حدثني من أثق به.....))[٦]، ((وقـــال ابـــن الأثير.....))[٧]،((حكى الشيخ سيف الدين الكاتب.....))[٨]، ((قال لي.....))[٩].

على أن المؤرخين لم يستمروا، في الواقع في هذا الخط من التوثيق للروايـــة الشـــفوية بـــذكر أصحابها وعلى الرغم من أنهم بكل تأكيد لم يتنازلوا عنها كمصدر خبـــري، إلا أنـــه يلاحـــظ بوضوح تخليهم مع الأيام عن ربطها بأصحابها وإهمالهم هذا القيد الذي يمكن أن يعـــد ولحـــدّ كبير بقية من بقايا التأثير بأهل الحديث التي تشترط مع الخبر سنده.

---

[١]- مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـــ٣، ص٤٩.

[٢]- مصطفى: المرجع السالف ، جـــ٣، ص٤٩-٥٠.

[٣]- ابن واصل: مفرج الكروب، جـــ١، ص١٧٨.

[٤]- ابن واصل: المصدر السالف، جـــ٦، ص١٨٧.

[٥]- أبو الفداء: المختصر، جـــ٣، ص٨٢.

[٦]- ابن شاهنشاه: المضمار، ص٣٧.

[٧]-ابن الوردي: تتمة المختصر، جـــ٢، ص٨٩.

[٨]-ابن واصل: المصدر السالف ، جـــ٢، ص١٠٥.

[٩]-البرزالي: المقتفى، جـــ٢، ق١، ص٢٠٦.

أما الوثائق الرسمية: فهي تأخذ الحيز الأول بين مصادر التاريخ الإسلامي نتيجة احتوائها على مادة تاريخية حية غير قابلة للتغير فهي بذلك أرقى أنواع المصادر[١].

ويقصد بها الوثائق الرسمية المكتوبة، كالرسائل الصادرة من ديوان الإنشاء في الحاضرة إلى الولايات أو إلى الأقاليم التابعة للحكومة المركزية، والمنشورات، والسجلات، والأحكام، والفتاوى، ونصوص المعاهدات والمخالفات وعقود البيع والشراء وغير ذلك وهي إما تصدر عن الدواوين أو فروع الإدارة الإسلامية، كديوان الإنشاء والرسائل الذي كان يتولى تنفيذ الأوامر الصادرة من الخلفاء والسلاطين ، كالرسائل السلطانية والأحكام والمعاهدات والمخالفات وإما تكون مجرد اتفاقية فردية كالعقود الشخصية[٢].

وقد شاع استخدام الوثائق ، وإدخالها في صلب كتب التاريخ، وهكذا أثقلت الكتب التاريخية الأولى لهذا العصر بصفحات طويلة جداً أحياناً من نصوص الوثائق المتعددة الأغراض والأنواع فمنها تقليد بالقضاء، ومنها وثائق هدنة، أو صلح ومنها نسخة يمين ومنها توقيع سلطاني، بشارة ببعض الفتوح، كتب متبادلة بين الملوك، ومنها مناشير سلطانية ومن الأمثلة على ذلك:

ذكر فتح دمياط ((وردت إلى السلطان المنصور قدس الله روحه البشرى بذلك وأنا يؤمئذ بخدمته في حماه، ووقفت على كتاب البشرى.... الوارد إليه بذلك....))[٣].

ومنها أيضاً التقليد الذي كتبه الملك الناصر (لأبو الفداء) بمملكة حماه والمعرة وبعرين وأيضاً ذكر ولاية الملك المظفر مصر وأعمالها وتقليده إياها..... [٤].

وكان أكثر المؤرخين استخداماً للوثائق وإيراداً لنصوصها هم أولئك الذين كانت تسمح لهم وظائفهم الرسمية بأن يكونوا على اتصال بمحفوظات الدولة ومراسلاتها الرسمية وهم كتاب الدواوين بخاصة، ويليهم كبار الأمراء والعلماء، كلما كان المؤرخ أقرب إلى الديوان وأهله كان استخدامه للمحفوظات أكثر.

---

[١]- ماجد (عبد المنعم): مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي تعريف بمصادر التاريخ الإسلامي، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤، ص١٧-١٩- الشيخ (عبد الرحمن عبد الله)، المدخل الى علم التاريخ، الناشر المكتبة الأكاديمية، ط١، ص٢٥- سالم، مناهج البحث، ص١٣٢.

[٢]- ماجد (عبد المنعم): تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، د.ت، ١٩٦٣م، ص٣٦.

[٣]- ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٦، ص١٣٣-١٣٥.

[٤]- ابن شاهنشاه: المضمار، ص١٤٠-١٥٥-١٥٨..

ولكن هل كان ما تضمنته هذه الوثائق دقيقاً وكان إيرادها بهدف التوضيح والتوثيق؟ أم كانت هذه الوثائق لإبراز دور أو مكانة المؤرخ من الحكام المعاصرين له؟

الحقيقة لم يكن إيراد الوثائق ناجماً في معظم الأحيان عن الرغبة في التوثيق التاريخي بقدر ما كان ناجماً عن الرغبة في تزيين الكتب بنصوص أدبية ذات طابع فني وأياً كان الدافع لجمعها وتسجيلها، فقد أفاد إثباتها مع الأحداث التاريخية في عملية التوثيق التاريخي من جهة وفي الكشف عن تفصيلات بالغة الشأن في الإدارة والعمل القضائي والأنظمة المالية[١].

ومن الأمثلة على ذلك المؤرخ أبو الفداء، رغم ضيق المساحة في تاريخه المختصر فقد وجد فيه مكاناً لعدد من الوثائق منها:

- كتاب السلطان قلاوون بإقرار ملك حماه إلى الملك المظفر محمود الأيوبي بناء على طلب أبيه الملك المنصور محمد سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م[٢].
- نسخة تقليد مملكة حماه والمعرة وبعرين لأبي الفداء سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م[٣].
- تعديل التقليد بإلغاء المعرة فيه سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م[٤].

---

[١] - مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ٣، ص٥٤.

[٢] - أبو الفداء: المختصر، جـ٤، ص١٩.

[٣] - أبو الفداء: المصدر السالف، جـ٤، ص٦٨.

[٤] - ابو الفداء: المصدر السالف، جـ٤، ص٧٢.

ب- في طريقة التأليف:

اعتمد المؤرخون العرب في تدوين الأحداث التاريخية منهجين ، الأول: التأريخ الحولي[١] أو التاريخ حسب السنين، والثاني: التأريخ حسب الموضوعات، أما بالنسبة للمنهج الحولي أو التأريخ حسب السنين: فقد ترك المؤرخون للحضارة العربية الإسلامية العديد من المؤلفات التاريخية والتي تحمل بين دفتيها تأكيداً قوياً على عنصر الوقت فالتسلسل الزمني كان يراعى في كتب التاريخ بصورة عامة ويظهر في تدوين التاريخ وهذه الطريقة لم تكن أكثر من أسلوب أو صورة في عرض المادة التاريخية والتي أثرت كثيراً على المحتويات التاريخية حيث ضمنت الاستمرارية الظاهرة للأحداث مع المحافظة على تنسيق الأخبار المنوّعة التي حصلت في حول واحد وهذا ما أطلق عليه الحوليات[٢].

فالتاريخ الحولي يخضع لتعاقب السنين، ووجد من المؤرخين المسلمين من أرخ للأحداث سنة بعد سنة وذلك بعد أن يجمع حوادث كل سنة يربطها فيما بينها بكلمة (وفيها[٣]) فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية ليستخدم عبارة ((ثم دخلت سنة كذا..... [٤])) وفي هذا الأسلوب يعود إلى المؤلف مدى التفاصيل في وصف الحوادث خاصة فيها التي تتعدى عدة سنوات إذ هذا الأسلوب لا يسمح بذكر تقدير متتابع عن الحادثة التي تمتد ضمن سنة معينة منها، ولكن هذه القاعدة كثيراً ما كانت تهمل ولا تراعى من قبل بعض المؤرخين الذين رأوا أن هذه الحوادث تمتد على مدى سنين لابد أن تجمع في سنة معينة منعاً لذكرها متفرقة ممزقه، ومحافظة على سياق الحدث التاريخي الممتد عبر سنوات[٥].

إن أول مؤلف في التاريخ الإسلامي دون التاريخ على ترتيب السنين وبقي هو كتاب الطبري ((تاريخ الرسل والملوك))، ولكن روزنثال[٦] خالف هذا الرأي، وأورد أن الطبري لم يكن أول من طبق المنهج الحولي في كتابة التاريخ، لأنه اعتمد على مؤرخين سبقوه في الكتابة

---

[١]- الحولي : حول أي سنة بأسرها ، والتاريخ الحولي هو أن يدون المؤرخ الأحداث سنة سنة . والجمع أحْوال وحُوُول ؛ ابن منظور : لسان العرب ، ج١١ ، ص ١٨٤ .

[٢]- ضومط (أنطوان): التاريخ في العصور الوسطى، ص٧٢.

[٣]- ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص١٦٢، ٢٢٦..

[٤]- ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٦، ص٦١، أبو الفداء: المختصر، ص١٨-١٩.

[٥] - سالم: التأريخ والمؤرخون العرب، ص٨٢- سالم: مناهج البحث، ص٨٢- روزنثال: علم التأريخ عند المسلمين، ص١٠٢..

[٦]- روزنثال: المرجع السالف، ص١٠٢- حلاق (حسان): مقدمة في مناهج البحث التاريخي، د.م، دار النهضة العربية، ١٩٨٦م، ص٢٩٣.

على المنهج الحولي ثم إن العرب عرفوا بعض المؤرخين الذين اتبعوا هذا المنهج، كالهيثم بن عدي (ت٢٠٦هـ/٨٢١م). الذي ألف كتاباً في التاريخ على المنهج الحولي بعنوان (كتاب التاريخ على السنين)[١] مما يشير إلى أن الكتابة التاريخية على المنهج الحولي كانت معروفة في العراق في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة/الثامن للميلاد، يضاف إليهم جعفر بن محمد بن الأزهر (ت٢هـ/٨م) الذي ألف كتاباً في التاريخ مرتباً على السنين[٢].

وفكرة الكتابة التاريخية على المنهج الحولي ليست في رأي روزنثال ابتكاراً لمؤرخي العرب المسلمين فقد كانت الكتابات التاريخية التي نهجت في تقديم مادتها على الأسلوب الحولي-في رأيه-معروفة عند الإغريق أي أنه ليس للعرب دور في ابتكار أو إظهار هذا النوع من المؤلفات للمرة الأولى كما يشير إلى أن الحوليات الإغريقية وقت ظهور الإسلام كانت تتشابه كثيراً مع الحوليات الإسلامية المتأخرة مشيراً إلى أن كتابات الإغريق كانت تتمثل بما كتبه قايونيس ملالاس الذي استعمل صورة التاريخ على السنين عندما عالج الأحداث القريبة من عصره.

ولكن هل ما قاله روزنثال صحيح؟ وهل نهجت الكتابات التاريخية الإغريقية هذا الأسلوب؟

أظهرت الدراسات والبحوث أن منهج التأريخ الحولي لم يقتصر على الإغريق فقط بل انضم إليهم السريان وخاصة في أدبهم، وكمثال على ذلك ما دونه يعقوب الرهاوي في القرن الأول الهجري/السابع للميلاد.

يتضح مما تقدم أن أسلوب الكتابة التاريخية على المنهج الحولي انتقل إلى مؤرخي العرب الأولين عن طريق اتصالهم برجال العلم من السريان المسحيين أولاً ثم عن طريق رجوعهم إلى المصادر الإغريقية الأصلية المباشرة.

ويرى روزنثال أنه ليس من الضروري أن يكون هناك كتابٌ معيّن أوحى بفكرة المنهج الحولي إلى المؤرخين العرب، لأن هذه الفكرة من السهل انتقالها بمجرد إطلاع شخصي على تاريخ مكتوب على السنين أو من مجرد مناقشة عريضة بين مؤرخ سرياني ومؤرخ مسلم حيث كان احتكاك العرب المسلمين بالمسيحيين قوياً في المجال الثقافي اذ كانوا يعيشون معاً مرتبطين فيما بينهم بروابط اجتماعية وثيقة[٣].

---

[١]- الدوري: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص٤٢.

[٢] - روزنثال: علم التأريخ عند المسلمين ص١٠٣- سالم: التاريخ العرب والمؤرخون، ص٨٨.

[٣]- روزنثال: المرجع السالف، ص١٠٩-١١٠.

إلا أن روزنثال يشير بالنهاية بقوله: ((وإذا كان المسلمون قد استوحوا طريقة التاريخ على السنين من المؤرخين الإغريق والسريان فإنهم قد حسنوا هذه الطريقة تحسيناً عظيماً فقد كان أمام المؤرخين المسلمين عهود مستمرة مما ساعد على سهولة عرض المادة التاريخية))[١].

ولكن هذا الرأي القائل بتأثر المؤرخين المسلمين بالكتابة الإغريقية والسريانية موضع شك من الناحية العلمية، لأن هذا النمط من الكتابة ، كان معروفاً عند العرب حتى عند كتابة السيرة النبوية، وكتابات الهيثم بن عدي ولم تكن الترجمات الإغريقية في هذه الحقبة المبكرة قد أصبحت في متناول العرب وحتى بعض الترجمات ينحصر بما اقتبسه العرب منهم على علوم الفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا والكيمياء والطب والحشائش والعقاقير[٢].

وأما الطريقة الثانية التي اتبعها المؤرخون المسلمون في التدوين هي التدوين أو الكتابة حسب الموضوعات ومنها طريقة الكتابة إما للدول أو العهود والحكام، وإما للسير والطبقات فالتدوين حسب هذا المنهج أساسه الأشخاص أي (أشخاص الخلفاء والحكام[٣]) فهناك من المؤرخين من كان يؤثر الكتابة التأريخية حسب الأسر الحاكمة[٤] مثل ابن واصل في (مفرج الكروب في أخبار بني أيوب)[٥].

أو يدون في تاريخ الخلفاء، والملوك، والسلاطين[٦] مثل أبو الفداء في كتاب يعزى إليه وهو ((التبر المسبوك في تواريخ الملوك)[٧].

وأمَّا من كان يفضل التدوين حسب الطبقات بحيث جاء تقسيم الطبقات نتيجة طبيعية لفكرة صحابة رسول الله (ص) وارتبط هذا النوع بعلم الحديث ارتباطاً وثيقاً كما ارتبطت بالعلوم الدينية فطبقات ابن سعد لا تعدو أن تكون تراجم لشخصيات محدثة هامة، ثم استخدمت الكتابة في الطبقات في ميادين غير دينية مثل (طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة، وهناك

---

[١]- روزنثال: علم التأريخ عند المسلمين ،ص١١٠.

[٢]- سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص٨٩.

[٣]- سالم: مناهج البحث ص٩١.

[٤]- الخطيب: التاريخ والمؤرخون العرب، ص٢٨٧-٢٨٨.

[٥]- الجزء الاول والثاني والثالث، تحقيق جمال الدين الشيال القاهرة دار القلم، الجمهورية العربية المتحدة، د.ط، الجزءان الرابع والخامس، تحقيق حسنين محمد ربيع، مراجعة وتقديم سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٧م، والجزء السادس، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

[٦]- مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ٣، ص٧٠.

[٧]- تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عرب، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

من المؤرخين من اعتمد أسلوب التأريخ حسب الأنساب حيث أصبح للقرشـــيين، ولأبنـــاء الصحابة الأوليين مكانة كبيرة في الإسلام، وساعد ذلك على الاهتمام بدراســـة الأنســـاب، وخاصة بنسب قريش فظهر من النسابين فريق اهتم بإحصاء فضائل قريش، وذكر مزاياهم ومآثرهم وأقدمهم مصعب الزبيري ت٢٢٣هـــ/٨٣٧م الذي صنف كتاب (نسب قريش)[١].

[١]- سالم: مناهج البحث، ص٩٥-٩٦.

جـ- تنظيم المادة:

اتبع المؤرخون العديد من الطرائق في تنظيم المادة الإخبارية مع المبالغة أحياناً في الأحكام والدقة ومن الطرائق التي اتبعت في العصر الأيوبي:

١- التنظيم الشهري واليومي والساعي من خلال التنظيم على أساس السنين، فكان التنظيم الحولي لتواريخ الأحداث هو السائد والمتبع في معظم المؤلفات ولهذا فإن المؤرخين قد دفعوا بالتنظيم الزمني خطوات أخرى نحو التجديد المتزايد، وذلك نتيجة ازدياد المادة التاريخية التي أصبح معها تسجيل الأحداث وخاصة في أواخر العصر لا يتم لدى الكثير على أساس الشهر فقط، بل على الأساس اليومي أيضاً فكأنه نوع من المذكرات اليومية التسجيلية وهي أشبه ما تكون بالعمل الصحفي المعاصر ويزيد بعضهم فلا يحدد اليوم فقط، ولكن يذكر الساعة الموقوتة أو المدة من اليوم[١]، حيث أضحى من مألوف العبارات أن توجد في بعض المؤلفات التاريخية التحديد الزمني كأن يذكر المؤرخ: (وفي ليلة الثلاثاء تاسع عشر رمضان توفي فلان.....))[٢] أو (وفي عشية الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول توفي فلان.....))[٣] أو قوله ((وفي يوم الأربعاء رابع ربيع الأول باشر نيابة الحكم بدمشق فلان.....))[٤].

٢- والطريقة الثانية لتنظيم المادة هو التنظيم على أساس الخلفاء، وقد كان هذا من المناهج السهلة المتبعة[٥]. حيث كان المؤرخون يعمدون إلى إبراز الصفات الخلقية والمعنوية والجسمية للخليفة أو الحاكم وأحياناً يوردون أسماء أولاده ونسائه، وموظفيه، وبعضهم يضيف إلى ذلك أسماء القضاة والوزراء والكتاب والعلماء والشعراء المعاصرين لهذا الحاكم[٦].

ومن الأمثلة على هذه الكتب الكتاب المنسوب لأبي الفداء ت٧٣٢هـ/١٣٣١م (التبر المسبوك في تواريخ الملوك)[٧].

---

[١]- مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ٣، ص٦٣.

[٢]- البرزالي: المقتفى، جـ١، ق١، ص١٦٢.

[٣]- البرزالي: المصدر السالف، جـ١، ق١، ص١٧٢.

[٤]- البرزالي: المصدر السالف، جـ١، ق١، ص٤٨١.

[٥]- مصطفى: المرجع السالف، جـ٣، ص٧٠.

[٦]- سالم: مناهج البحث، ص٩٤.

[٧]- أبو الفداء: التبر المسبوك، كتاب يعزى له .ص٦، ١٣-٢٧.

د - الأساليب الأدبية:

اهتم المؤرخون في العصر الأيوبي بالأدب التاريخي، وذلك من حيث الإتقان والسلاسة والصحة وكان استمراراً للعصور السابقة التي عرفت ابن الأثير فاستمر على النهج نفسه المؤرخون الحمويون مثل ابن واصل وأبو الفداء[١].

ومن الأساليب الأدبية التي اعتمدها المؤرخون:

السجع الذي سيطر على الكتابة التاريخية من خلال تراجم الإطراء التي دونها الموظفون لأسيادهم الذين شعروا أن من واجبهم استخدام مواهبهم في أساليب السجع التي كانت شائعة عند كتاب الديوان، وفي بداية الأمر كانت مهارة الكتاب، وفنونهم الأدبية وفهمهم العميق لخصائص اللغة العربية قد جعلت كتبهم روائع[٢].

ومن الأمثلة على ذلك ما قاله ابن واصل:

((فاتفق في أول هذه السنة المباركة..... ولادة هذا الملك الذي تجملت الدنيا بوجوده، وأشرقت الآفاق بأنوار فضله وجِوده. لا زالت الأفلاك جارية بإعزازه وسعوده حتى يربى المنازل العليه على أبائه وجدوده.....)) [٣].

وما أورده ابن أبي الدم: ((الحمد لله الأول، الظاهر، الباطن (النعم) الغامر، عالم السرائر، والمطلع على ما في الضمائر الذي لا تغرب عن علمه فلتة خاطر، ولا لفتة ناظر، والصلاة على رسوله محمد المصطفى ذي الأصل الفاخر، والعنصر الطاهر، والنور الباهر، وعلى آله وأصحابه النجوم الزواهر، صلاة ينقطع دونها عمر العباد الحاضر))[٤].

ومن خصائص كتابة التاريخ في العصر الأيوبي غلبة موجة السجع والبديع بأنواعه التي طغت على الكتابة الديوانية، وغطت مساحة واسعة من الأسلوب النثري، ومن الملاحظ أن الزينة اللفظية كانت قد بدت في بعض الكتب التاريخية شأن السجع، والتنميق اللفظي بحيث تذهل طالب معرفة الوقائع[٥].

١- مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، جـ٣، ص٧٣.

٢- روزنثال: علم التأريخ عند المسلمين، ص٢٤٢-٢٤٣- خضر: المسلمون وكتابة التاريخ، ص١٦٧- عبد عبد الحميد (صائب): علم التاريخ ومناهج المؤرخين في علم التاريخ نشأة وتدويناً ونقداً وفلسفة ومناهج كبار مؤرخي الإسلام،بيروت – لبنان، الغدير، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م ، ص ١٥٤.

٣- ابن واصل: مفرج الكروب، جـ٦، ص٢٦٤.

٤- ابن أبي الدم: التاريخ الإسلامي، ص٤٩.

٥- أبو شامة: الروضتين، جـ١، ص٣٠، سالم: مناهج البحث، ص٧٧.

أما الشعر فقد كان يوجد في كتب الرجال، والتراجم، لأن المؤلفين كانوا كثيراً ما يضمنون تراجمهم للأعلام، والناظمين بعض المقطوعات من نظمهم، وكثيراً ما يجعلونها زينة أو واحة أدب، أو نماذج بعض قصائد المديح للحكام وكبار الرجال، وإلا فهو بعض شعر الحكم والموعظة[١].

ومن الأمثلة على ذلك قصيدة لابن سنا الملك يمدح السلطان الملك الناصر[٢] صلاح الدين ويهنئه بالفتوح:

لستُ أدريْ بأيِّ فَتْح تُهنَّا ... يا منيلَ الإسلام ما قدْ تَمنَّعا

أَنهُيَّنكَ إذ تملَّكتَ شاماً؟ ... أمْ نهِّينكَ إذْ تملَّكتَ عَدْنا؟

وقد ملكتَ الجنانَ قصراً فقصراً ... إذْ فتحَتَ الشامَ حصِناً فحصِناً[٣]

وهناك شعر لـ مسلم بن خضر بن قسيم الحموي[٤]يمدح به عماد الدين زنكي:

لعزمكَ أيُّها الملكُ العظيمُ ... تذلُّ لكَ الصعابُ وتستقيمُ

كأنَّك في العجاجِ شهابُ نورٍ ... توقَّد وهْو شيطانٌ رجيمُ[٥]

١- ماجد: مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، ص٣٧، خضر: المسلمون وكتابة التاريخ، ص١٦٧.

٢- صلاح الدين الأيوبي: أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي الملقب الملك الناصر ولد سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م بقلعة تكريت ترعرع في كنف والده الذي خدم نور الدين، أعجب به نور الدين لنجابته وشجاعته وكلفه مع عمه أسد الدين شيركوه بالمسير نحو مصر، التي دخلها وأسقط الحكم الفاطمي فيها سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م وكان مجاهداً إليه يعود الفضل في تحرير القدس وحد بلاد الشام ومصر وتوفي سنة٥٨٩هـ/١١٩٣م ودفن بالقلعة في دمشق ثم نقل إلى مقبرة الكلاسة سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م؛ ابن خلكان: وفيات الاعيان، جـ٧، ص١٣٩-١٤٨.

٣- ابن واصل: مفرج الكروب جـ٢، ص٢٣٤-٢٣٥.

٤- ابن قسيم الحموي : مسلم بن خضر بن المسلم بن قسيم أبو المجد التنوخي الحموي هو من شعراء نور الدين محمود زنكي الشهيد ، وله العديد من الأشعار في مدح عماد الدين زنكي وغيره، توفي سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م؛الكتبي : فوات الوفيات، ج٤، ص١٣٤-١٣٥.

٥- أبو الفداء: المختصر، جـ٣، ص١١٣.

مما تقدم يتضح ما يلي:

١) أعطى العرب علم التاريخ جانباً كبيراً من اهتمامهم فأصبح التاريخ أحد أهم العلوم الرائدة إذ احتل مركز الصدارة في التدوين بعد العلوم الدينية، لأن التأليف التاريخي لم يكن صعب المنال كالتأليف في الفقه، والتفسير، فكان المؤرخون يجدون في التاريخ الفرجة المريحة من قيود علم الدين الحرجة المحرجة.

٢) اهتم المؤرخون بجميع جوانب الحياة حيث لم يتركوا جانباً من جوانب النشاط الإنساني القديم والمعاصر لهم إلا ودونوا تاريخه وبذلك لم يعد التاريخ كما قيل بأنه تاريخ للملوك والسلاطين فحسب في حين إن المؤرخين شعروا أن من مهام التاريخ أن يعنى بالتفاصيل حتى الصغيرة منها وأن يعنى بالرجال حتى الصغار المتواضعي القيمة والعطاء، إذاً كان التدوين التفصيلي للأحداث والجري وراء الجزيئات.

٣) كثرة المشتغلين في التأريخ أو في التدوين التاريخي فكان منهم علماء الدين من فقهاء ومحدثين وقضاة، وقراء ومدرسين كما كان كثير من رواد علم التاريخ رواداً لعلم الجغرافية في الوقت نفسه ولم تخل كتب التاريخ من معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية مما يمكن أن يؤلف تاريخ الحضارة العربية في العصور الإسلامية المختلفة، فشكلت كتب التاريخ الممزوجة بغيرها من العلوم ذخيرة طيبة للباحث في علم التاريخ عند العرب.

٤) التاريخ هو المجال الإبداعي الوحيد، بما يتجدد فيه من الأحداث وتراجم الرجال فإذا كان باب المعرفة التاريخية القديمة مغلقاً، فبالإمكان دخول ميدان التأليف التاريخي، وكان على الأغلب الباب المطروق هو الأحداث السياسية، وتراجم الرجال.

الفصل الأول

حماه جغرافياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً في العصر الأيوبي

١ ــ الموقع الجغرافي لحماه وأهم أعمالها

٢ ــ الأوضاع السياسية في مملكة حماه حقبة الحكم الأيوبي

٣ ــ الأوضاع الاقتصادية في // // // // //

٤ ــ الأوضاع الاجتماعية في // // // // //

٥ ــ الحياة الفكرية في // // // // //

١ ــ الموقع الجغرافي لحماه وأهم أعمالها :

تقع حماه في وهدة [١] من الأرض عريضة مستطيلة كأنها خندق عميق [٢] يمتد عليها جبلان عاليان يسميان قرون حماه .

وقد قامت هذه المدينة على ضفة نهر العاصي ، وهي مبنية بناءً قوياً بالحجارة [٣] حدودها كانت تمتد جنوباً حتى الرستن ، وغرباً إلى أول حدود مصياف ، وشرقاً حتى حدود البادية وتضم سلمية أما شمالاً فقد كانت تصل إلى حدود المعرة . [٤]

تقع في الإقليم الرابع ، وهو أفضل الأقاليم السبعة ، وأصحها هواء ، وأعذبها ماء ، وأحسنها أهلاً وقد أحيطت حماه بسور يتخلله عشرة أبواب هي : ١ ــ الباب الغربي ، ٢ ــ باب المغار ٣ ــ باب النهر ، ٤ ــ الباب القبلي ، ٥ ــ باب العميان ، ٦ ــ باب العدّة ، ٧ ــ باب الجسر، ٨ ــ باب حمص ، ٩ ــ باب النصر ، ١٠ ــ باب النقفي .[٥]

ونظراً لأهمية حماه ، وموقعها الجغرافي ، فقد ذكرها أحد الرحالة عندما مرّ فيها واصفاً جمالها المكنون ، وكذلك مرور نهر العاصي في منتصفها الذي يقسمها إلى قسمين [٦]

كما وصفها ياقوت الحموي فيقول : ((مدينة كبيرة عظيمة الخيرات ،رخيصة الأسعار ، واسعة الرقعة يحيط بها سور محكم ....))[٧]

وتحدث عنها أيضاً ابن بطوطة عندما مرّ فيها بعد زيارته لحمص واصفاً إياها : ((بأنها إحدى أمّهات الشام الرفيعة ، ومدائنها البديعة ذات الحسن الرائق ، والجمال الفائق ، تحفها البساتين والجنات بها النواعير كالأفلاك الدائرات .....)) [٨]

---

[١] - وهدة : المكان المنخفض من الأرض كأنه حفرة، والوهد يكون اسماً للحفرة والجمع أوهد،ووهَد، ووهاد مادة (وهد) ؛ ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت سنة ٧١١ هـ) : لسان العرب، بيروت ــ لبنان، دار صادر، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ج٣، ص ٤٧٠ ــ ٤٧١.

[٢] - ابن جبير (محمد بن أحمد الأندلسي ت ٦١٤ هـ) : رحلة ابن جبير، بيروت، دار التراث، ط١، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧- العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري ت (٧٤٩ هـ) : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد عبد القادر الشادلي، د. م، المجتمع الثقافي، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، ج٣، ص ٥٣٣.

[٣] - العمري : المصدر السالف، ج ٣، ص ٥٣٣

[٤] - القلقشندي (أحمد بن علي القلقشندي ت ٨٢١ هـ) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، لبنان ــ بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م، ص ١٤٦ ــ ١٤٧.

[٥] - الصابوني (أحمد) : تاريخ حماه، د. م، المطبعة الأهلية، د. ت، ص ٥٨.

[٦] - ابن جبير : المصدر السالف، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧.

[٧] - الحموي (ياقوت ت ٦٢٦ هـ) : معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، بيروت ــ لبنان، دار الكتب العلمية، د. ت، ج٢، ص ٣٤٤ ــ ٣٤٥.

[٨] - ابن بطوطة (محمد بن عبد الله ت ٧٧٩ هـ) :رحلة ابن بطوطة، بيروت، دار صادر، ١٣٨٤ هـ /١٩٦٤ م، ص ٦٦.

ولم تقتصر نيابة حماه على المدينة فقط ، بل شملت أعمالاً كثيرة أهمها :

بعرين :

وهي تقع غربي حماه على مرحلة[١] منها ، بميلة يسيره إلى الجنوب ، وكانت في العصر الأيوبي والمملوكي من أعمال حماه ، ويوجد بها آثار عمارة قديمة تسمى الرفنية [٢]

سَلَميّة :

مدينة صغيرة تقع في سهل خصب على طرف البادية. وهي من أعمال حماه [٣] وتتميز بخصوبة أرضها وكثرة مياهها وأشجارها . [٤]

معرة النعمان :

وهي تقع بين حلب وحماه ، توجد فيها المباني الجليلة والأسواق ، وتشتهر بكثرة التين والزيتون والكروم [٥] ونظراً لقلة الماء فيها قام أهلها بتخزين مياه الأمطار في الصهاريج[٦] ومما امتازت به معرّة النعمان بأنها كانت من أبرز مراكز النشاط الفكري في بلاد الشام بحيث أنجبت الكثير من مفكري العرب والإسلام ومنهم أبو العلاء المعري[٧] ، وابن الوردي [٨] وغيرهم كثر .

---

[١]- من خمسة إلى ست فراسخ يساوي من ٢٨ إلى ٣٣ كيلومتر ومتوسطها ٣٠.٥ كيلومتر ؛ العوا، أنور: دراسة وتحقيق مخطوط عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، بدر الدين محمود العيني،دمشق، ٢٠٠٨-٢٠٠٩م، ص١٥.

[٢]- أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل ت ٧٣٢ هـ) : تقويم البلدان، حققه م. رينود البارون ماك كوكين دي سيلان، باريس، ١٨٤٠ م، ص ٣٥٨.

[٣]- البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ت ٧٣٩ هـ) : مراصد الإطلاع على أسماء الأماكن والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، د. م، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م، ج٢، ص ٧٣٣.

[٤]- أبو الفداء، المصدر السالف، ص ٣٤٥

[٥]- القزويني (زكريا بن محمد بن محمود القزويني ت ٦٨٢ هـ) : آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت، دار صادر، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م، ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩.

[٦]- الحموي : كتاب المشترك وضعاً والمفترق صقاً، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، ص٤٠١.

[٧]- أبو العلاء المعري : هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، الشاعر،اللغوي، الفيلسوف، ومن أشهر كتبه (رسالة الغفران) في مجلد، أصيب بالجدري صغيراً فعمي في الرابعة من عمره، توفي في معرة النعمان سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م ؛ الذهبي(شمس الدين محمد بن أحمد عثمان ت ٧٤٨ هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج١٨، ص ٢٣ ــ ٣٩،

[٨]- الشوكاني(محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ) : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، دمشق، دار الفكر ط١، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨، ص ٥١٥ ــ ٥١٦- سبانو(أحمد غسان) : مملكة حماه الأيوبية، دمشق، دار قتيبة، د.ت، ص ١٧٨.

٢ ــ الأوضاع السياسية في حماه (حقبة الحكم الأيوبي)

استطاع الأيوبيون الوصول إلى السلطة في مصر ، إثر إسقاط الخلافة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م [١] ، فاستولى صلاح الدين الأيوبي على مقر الخلافة وأموالها ، وطلب من نور الدين أن يرسل له أهله المقيمين في بعلبك ، فاستجاب له ، وبعد أن استقر بمصر عمد إلى القضاء على جميع الثورات التي قامت ضده وعلى مظاهر الترف التي تمتع بها البلاط الفاطمي ، ثم توجه إلى بلاد الشام إثر وفاة السلطان نور الدين محمود [٢] بن زنكي (٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) وتولي ابنه الصالح اسماعيل [٣]الحكم ، وكان في الحادية عشرة من عمره وكانت البلاد تعيش حالة من الفوضى والاضطراب ، ونتيجة للخلافات بين القادة استدعي صلاح الدين إلى دمشق فدخلها عام (٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) وفي ذلك قال شهاب الدين المقدسي (دخل دمشق وكان أول دخوله إلى دار أبيه واجتمع الناس إليه وفرحوا به ، وأنفق في ذلك اليوم مالاً طائلاً ، وأظهر الفرح والسرور بالدمشقيين ، وأظهروا الفرح به ، وصعد القلعة واستقرت قدمه في ملكها فلم يلبث أن سار في طلب حلب). [٤]

---

[١] - أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ت ٦٦٥ هـ) : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق ابراهيم الزيبق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م،ج١،ص٢٣٧ــ٢٣٨.

[٢] - نور الدين محمود بن زنكي بن عماد الدين زنكي بن أقسنقر أبو القاسم نور الدين الملقب بالملك العادل ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم،وأفضلهم، ولد في حلب سنة ٥١١ هـ / ١١١٧ م، وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م، وكان ملحقاً بالسلاجقة فاستقل وضم دمشق إلى ملكه مدة عشرين سنة كان متواضعاً، مهيباً مكرماً للعلماء عارفاً بالفقه توفي سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م ؛ ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١ هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق حسان عباس، بيروت، دار صادر، د. ت، ج٢، ص ٨٢.

[٣] - الصالح اسماعيل : اسماعيل بن محمود بن زنكي من ملوك بني زنكي في الشام والجزيرة بويع له بدمشق بعد وفاة أبيه سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م وهو ابن إحدى عشرة سنة، قام بأمور دولته الأمير شمس الدين محمد ابن عبد الملك بن عبد المقدم، وكان السلطان صلاح الدين قد استقل بمصر فلما علم بوفاة نور الدين أخذ يراقب حركة الصالح اسماعيل حتى تمكن صلاح الدين من دخول دمشق معلناً إبقاء الدعاء فيها للصالح، واستمر الصالح في حلب حتى توفي سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م وكان حليماً، كريماً، ملازماً للدين؛ الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ) : العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، د. م، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م، ج٥، ص ٢٥٣ ــ ٢٥٨.

[٤] - أبو شامة : المصدر السالف، ج١، ص ٢٣٠ ــ ٢٣٤.

وعند وفاة الصالح اسماعيل بن نور الدين بحلب سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م ، أسرع صلاح الدين بعساكره إلى الشام واستولى على حلب وبذلك تكون بلاد الشام كلها دانت لصلاح الدين ما عدا معاقل الصليبيين . [١]

وبذلك وحد صلاح الدين مصر والشام ، فأسس دولة عظيمة حلت مكان الخلافة الفاطمية بعد أن تم القضاء عليها ، وكان هدفه الوقوف في وجه غزو الفرنجة وطردهم من معاقلهم .

وعلى الرغم من قدوم صلاح الدين بلاد الشام ، إلا أنه لم يحكم بنفسه كل المدن حكماً مباشراً، بل أعطى بعض المدن إقطاعات لأقاربه وأسرته، فقد تسلم حماه شهاب الدين الحارمي [٢] والياً من السلطان صلاح الدين سنة ٥٧١ هـ /١١٧٥م، وأدرك أهمية حماه لذلك أخذ في تنظيم أعمالها وتقوية شؤونها لأن الخطر كان محدقاً بها من كل جانب .

فالحشيشية والصليبيون كانوا ينتظرون الفرصة للانتقام من صلاح الدين والهجوم على حماه ، لذلك اتخذ الحارمي سياسة دفاعية في حماه لأنها كانت مركز الانطلاق والتصدي ، وفي سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م هاجم الصليبيون بجموعهم حماه ، وكان واليها مريضاً ، واستمر القتال أربعة أيام ، استبسل فيه أهل حماه فتراجع الفرنج عنها .

وفي أثناء ذلك توفي شهاب الدين الحارمي [٣] ، فأرسل صلاح الدين إلى حماه ابن أخيه تقي الدين عمر ابن شاهنشاه بن أيوب ، وتقي الدين هو من أركان البيت الأيوبي وله الدور الأكبر في تأسيس وتوطيد الدولة الأيوبية وتوسيع رقعتها ، وقد بدأ حياته العامة في مصر ، إذ كان له دور بارز في مدة ولاية صلاح الدين عليها زمن نور الدين فقد كان مرافقاً لصلاح الدين في حله وترحاله ، وحربه وسلمه ، وعينه والياً على الفيوم [٤]

والسبب في اختيار صلاح الدين تقي الدين عمر أن يحكم حماه عدة أسباب ودوافع منها إخلاصه وحنكته ودرايته ، وذلك بعد أن علمته الحروب والأزمات فحكمها منذ سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨ م ، وكان لتقي الدين عمر دور بارز على الصعيد السياسي والعسكري ، فقد قاد

---

[١]- أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل ت ٧٣٢ هـ) : المختصر في أخبار البشر، بيروت ــ لبنان، دار المعرفة د. ت، ج٣، ص ٦٣ ــ ٦٤.

[٢]- شهاب الدين الحارمي : محمود بن تكش خال السلطان صلاح الدين من أفضل الأمراء وشجعانهم أقطعه صلاح الدين حماه حين فتحها وقد حاصروه الفرنج بها سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م وكان مريضاً فتوفي في السنة نفسها ؛ ابن الوردي (زين الدين عمر بن الوردي ت ٧٤٩ هـ)، تتمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق أحمد فاروق البدراوي، بيروت ــ لبنان ، دار المعرفة، ط١، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م، ج ٢،ص٢٣٨.

[٣]- أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص ٦٠ ــ ٦١.

[٤]- الفيوم : ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما صحراء لا يوجد بها ماء ولا مرعى، تقع في منخفض من الأرض يقال بأن النيل أعلى منها حفر إليها نهر من النيل لكي تشرب منه ؛الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص ٢٢٥.

ميمنة الجيش الإسلامي في حطين وقد قطف ثمار النصر في المعركة مع باقي أقسام الجيش العربي الإسلامي ، كما تولى الحكم بعده ابنه الملك المنصور الأول ، وكان سياسياً بارعاً تمكن من فرض سلطته على أرجاء مملكته ، وفرض هيبته ، وحمايتها من الفرنج الذين حاولوا مراراً الاستيلاء عليها ، ففي سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م ، تصدى الملك المنصور لجموع من الفرنج الذين خرجوا من حصن الأكراد وطرابلس ، فهزمهم ، وأسر عدداً من فرسانهم ، ثم توفي سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ .[١]

فامتلك ابنه الناصر قلج أرسلان[٢] حماه نتيجة مؤامرة اتفق عليها كبراء حماه من أجل توليته السلطة بدلاً من أخيه المظفر الثاني محمود الذي كان عند خاله الملك الكامل سلطان مصر ، يسهم بمحاربة الفرنج وذلك لمعرفتهم بضعف مقدرة قلج أرسلان على إدارة السلطة فيزداد نفوذهم [٣] فلما علم الملك الكامل بهذه الأحداث سيّر جيشاً إلى حماه ، وبعث المظفر الثاني محمود مع الجيش وذلك من أجل استرجاع حقه بالحكم ، لأنه كان هو ولي العهد بعد أبيه الملك المنصور الأول وعلى الرغم من حصانة قلعة حماه ، ووجود الذخائر الكثيرة فيها ، إلا أن ضعف قلج أرسلان جعله يسلمها إلى أخيه الملك المظفر الثاني بعد أن حكمها تسع سنين تقريباً [٤] فلم يبق في يده سوى قلعة بارين . وبعد انتزاعها من قبل الملك المظفر الثاني توجه قلج أرسلان إلى مصر ، ورغم إكرامه من قبل الملك الكامل إلا أنه تفوه بما لايليق ذكره من الكلام فاعتقل، وأمضى ما بقي له من الأيام في السجن .

فتولى حكم حماه بعده أخيه الملك المظفر الثاني محمود ، وكانت أولى أعماله العسكرية في حماه ، رد هجوم الصليبيين الذين خرجوا من حصن الأكراد سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م ، وقد استقرت حماه في مدة حكمه حيث توفي سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م .[٥]

---

[١] - الذهبي (سير أعلام النبلاء)، ج٢٢، ص ١٣٦ ــ ١٤٧- الكتبي (شاكر ت ٧٦٤ هـ) : فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ج٤، ص ١٢.

[٢] - قلج أرسلان : الملك الناصر قلج أرسلان بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي، صاحب حماه ولد سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م، ملك حماه سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م بالغلبة، ولم يكن المعهود إليه الحكم، وإنما كان العهد لأخيه المظفر محمود الذي كان عند خاله الكامل بمصر توفي سنة ٦٣٥ هـ / ١٢٣٧م؛ الحنبلي (أحمد بن ابراهيم ت ٨٧٦ هـ) : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، العراق، وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨ م، ص ٣٣٧.

[٣] - الكيلاني (أحمد قدري) : أبو الفداء والملوك الأيوبيين في مملكة حماه، حماه، توزيع المكتبة العربية، ط٢، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م، ص ١٧٣ ــ ١٧٥.

[٤] - ابن واصل(محمد سالم بن واصل ت ٦٩٧ هـ) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين محمد ربيع، سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٢ م، ج٤، ص ٨٦ ــ ٨٩، ١٢٨ ــ ١٢٩.

[٥] - أبو الفداء : المختصر، ج٣، ص ١٧٣.

ثم تسلم الحكم بعده ابنه الملك المنصور الثاني محمد (٦٤٢ ــ ٦٨٣ هـ / ١٢٤٤ ــ ١٢٨٤م) الذي شغل دوراً مهماً في أحداث هذه الحقبة ، حيث عاصر حكم المظفر قطز [١] وبيبرس [٢] وولديه من بعده وأسهم في هزيمة المغول في معركة عين جالوت [٣] سنة ٦٥٨ هـ /١٢٦٠ م، كما عاصر بعض الوقت من سلطنة قلاوون الألفي [٤] وأراد بفضل علاقته الجيدة معه أن يورث السلطة لابنه المظفر محمود .فكتب للسلطان ،يطلب موافقته على تسمية ابنه ملكاً على حماه من بعده لكنه توفي قبل وصول الرد من القاهرة فأسرع ابنه محمود بإبلاغ السلطان ، فوافق على التسمية وتلقب بالمظفر الثالث ، ودام حكمه من سنة (٦٨٣ ــ ٦٩٨ هـ / ١٢٨٤ ــ ١٢٩٨ م)

وفي السنة التي تولى فيها المظفر الثالث الحكم ، قدم قلاوون إلى دمشق. فاتجه المظفر بصحبة عمه الملك الأفضل للالتقاء بقلاوون الذي أكرمهم كثيراً ، وأصدر مرسوماً بتقليده حماه والمعرة وبارين إلى المظفر الثالث ، ومنحه لقب (سلطان) [٥]

وبذلك حمل ملوك حماه رتبة سلطان ، وغدت نيابة حماه سلطنة صغرى ضمن سلطنة المماليك العظمى وتوفي الملك المظفر الثالث وهو في مقتبل شبابه فأدى حادث وفاته إلى

---

[١]- قطز : السلطان الملك المظفر سيف الدين بن عبد الله المعزي، وكان من مماليك المعز أيبك، ثم صار نائب السلطنة وكان فارساً شجاعاً، هزم المغول في عين جالوت، وطهر الشام منهم، قتل عند رجوعه إلى مصر على يد بعض أمراء المماليك سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٢٠٠.

[٢]- بيبرس : بيبرس العلائي البندقداري الصالحي ركن الدين الملك الظاهر ولد بأرض القبجاق سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧ م وتولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م كان ملكاً، جليلاً، شجاعاً، يباشر الحروب بنفسه له الوقائع الهائلة مع المغول والصليبيين وله الفتوحات العظيمة منها بلاد النوبة، ودنقلة، ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها، وفي أيامه انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية، توفي سنة ٦٧٦ هـ /١٢٧٧ م؛ الكتبي : فوات الوفيات، ج١، ص ٨٥.

[٣]- عين جالوت : بلدة بين بيسان ونابلس، من أعمال فلسطين، استولى عليها الروم وحررها صلاح الدين الأيوبي، حدثت فيها معركة بين المغول والمماليك بقيادة قطز سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م، وانتصر فيها المماليك وأوقفت الزحف المغولي باتجاه الغرب؛ الحموي : معجم البلدان، ج٤، ص ١٧٧

[٤]- قلاوون الألفي : أبو المعالي سيف الدين السلطان الملك المنصور، أول ملوك الدولة القلاونية بمصر والشام والسابع من ملوك الترك، وكان من المماليك، قبجاقي الأصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م، فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس وقام بأمور الدولة في أيام العادل سلامش ابن الظاهر فكان يخطب له وللعادل على منابر مصر، وضربت السكة باسمه ثم خلع العادل وتولى السلطنة منفرداً سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م، وكان من أجل ملوك المماليك قدراً ومن أكثرهم أثاراً شجاعاً كثير الفتوحات،أبطل بعض المظالم ؛ ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن، ت سنة ٨٧٤ هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، لبنان ــ بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٩، ص١٠٠.

[٥]- أبو الفداء : المختصر، ج٤، ص ١٩ ــ ٢٠.

انقطاع الحكم الأيوبي في حماه مدة من الزمن. [1] فتسلم الحكم بعض المماليك أمثال قراسنقر الجوكندار الذي حكم ما بين عامي (٦٩٨ ــ ٦٩٩ هـ / ١٢٩٨ ــ ١٢٩٩ م) تلاه زين الدين كتبغا [2] الذي حكم من سنة (٦٩٩ ــ ٧٠٢ هـ / ١٢٩٩ ــ ١٣٠٢ م) وتميزت مدة حكمه بالنشاط العسكري ، حيث اشترك مع قوات حماه في الحملة التي قادها الأمير أفش الأفرم أو أقوش [3] على جبال كسروان سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م [4]

ثم تولى حكمها بعده سيف الدين قبجق [5]سنة (٧٠٣ ــ ٧٠٩ هـ / ١٣٠٣ ــ ١٣٠٩م) واشترك بعدة أعمال عسكرية أثناء نيابته على حماه ، منها الإغارة على بلاد سيس ، وظل هؤلاء يحكمون حتى عاد الحكم من جديد سنة (٧١٠ هـ / ١٣١٠ م) للأيوبيين الذين استأنفوا حكمهم لحماه بتعيين أبي الفداء اسماعيل بن الأفضل نور الدين ملكاً عليها [6] ، فحكم أبو الفداء من سنة ٧١٠ ــ ٧٣٢ هـ / ١٣١٠ ــ ١٣٣١ م ، وحظي هذا الملك بشهرة كبيرة جداً ، وشهرته هذه تعود لمصنفاته في ميداني التاريخ والجغرافيا ، حيث عد كتابه (تقويم البلدان) من أعظم كتب الجغرافيا . وقيل إنه الثاني من بين الكتب العربية شهرة في الأوساط الأوربية . إضافةً إلى إنجازاته السياسية والعسكرية ، وقد بدأ أبو الفداء عمله السياسي كملك

---

[1] - أبو الفداء : المختصر، ج٤، ص ٤١ ــ ٤٢.

[2] - كتبغا : السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري التركي، سلطان الديار المصرية، جلس على عرش الملك بعد أن خلع أستاذه الملك الناصر بن قلاوون سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م، وذلك بإتفاق الأمراء على سلطنته، وأصله من المغول من سبي وقعة حمص، وبعد أن أخفق في مواجهة حسام الدين لاجين المنصوري خلع نفسه من السلطنة، وأعطي صرخد مأوى له، ثم تقرر تعيينه نائباً عن السلطان في حماه توفي سنة ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م؛ ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٤٧ ــ ١٦٤.

[3] - أفش الأفرم : أقوش بن عبد الله الدواداري المنصوري، الأمير جمال المعروف بالأفرم وهو من مماليك المنصور قلاوون جركسي الاصل، وكان من السلاحدارية، وهو من أكابر البرجية، وكان أميراً شجاعاً، جواداً، سخياً، ذا رأي وتدبير، محباً لأهل العلم يحب مجالستهم، حسن المحاضرة، يحب الأدب ت سنة ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠ م، أو سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦ م؛ ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤ هـ): المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥ م، ج٣، ص ٩ ــ ١٤.

[4] - سبانو : مملكة حماه، ص ١٠٤.

[5] - سيف الدين قبجق : كان أميراً كبيراً معروفاً بالشجاعة والإقدام، تولّى نيابة السلطنة بدمشق مدة ثم توجه إلى بلاد المغول، وأقام عندهم مدة، ثم قدم معهم دمشق، ولم يلبث أن انفصل عنهم، وأعطي الشوبك ثم نقل إلى حماه، ثم إلى حلب وتوفي وهو نائب السلطنة بها، في أواخر جمادى الأولى سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م ودفن بتربته بحماه؛ البرزالي(أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي ت ٧٣٩ هـ) : المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، صيدا ــ بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ج٢، ق١، ص ٤٧٣.

[6] - أبو الفداء: المصدر السالف، ج٤، ص ٥٠ ــ ٦٠.

لحماه برتبة نائب ثم ما لبث أن أضفت عليه رتبة السلطنة وكانت علاقته بالسلطان الناصر بن محمد بن قلاوون وثيقة جداً . وكثيراً ما سافر إلى مصر لمرافقته ببعض رحلات الصيد ، أو في بعض النشاطات الأخرى ، وفي سلطنة أبي الفداء ازدهرت أحوال مملكة حماه وأنشأ فيها أهم المباني [١]

وبعد وفاته آلت إلى ابنه الملك الأفضل [٢] ناصر الدين محمد الذي حكم من سنة ٧٣٢ ــ ٧٤٢ هـ / ١٣٣١ ــ ١٣٤١ م وكان حكمه استمراراً لحكم أبيه بحيث لم يحدث السلطان الناصر [٣] محمد بن قلاوون أي تغيير في وضع الحكم الأيوبي في حماه أما بعد وفاته سنة(٧٤١هـ/١٣٤٠ م) فقد اضطربت شؤون السلطنة في القاهرة ، وانعكس هذا على حماه فصدر الأمر بعزل الأفضل الذي اتجه إلى دمشق ، وعاش فيها كأمير من أمرائها لمدة سنة تقريباً حيث توفي وهو في الثلاثين من عمره ، وحمل جثمانه إلى حماه ، ومعه انتهى الحكم الأيوبي في حماه [٤] ، وتحولت حماه إلى نيابة مثلها مثل بقية النيابات المملوكية .

ومما تقدم يمكن القول : بأن العصر الأيوبي شهد أحداث الحروب الصليبية على أرض مصر والشام إضافةً إلى ظهور الخوارزميين [٥] بزعامة جلال الدين منكبرتي الذي اتسمت هجماته بالقسوة والوحشية . ومع ذلك فالخوارزمية لم تتعرض لحماه لأنها من حلفاء الملك الصالح

---

[١] - الحنبلي : شفاء القلوب، ص ٢٥٩- فروخ (عمر) : تاريخ الأدب العربي، بيروت، دار العلم للملايين، د. ت، ج٣، ص ٧٤٠ ــ ٧٤٢.

[٢] - الملك الأفضل : علي بن اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي صاحب حماه ملكها بعد وفاة والده سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م، وفي عهده انتهى الحكم الأيوبي في حماه توفي سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م؛ الحنبلي : المصدر السالف، ص ٤٦٤ .

[٣] - محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي أبو الفتح من كبار رجال الدولة القلاونية له آثار عمرانية ضخمة، وتاريخ حافل بجلائل الأعمال، وكان وقوراً مهيباً، لم يضبط عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش في شدة غضبه يدعو رجاله بأجل ألقابهم ويكره الاقتداء بمن تقدمه من الملوك ولا يحتمل أن يذكر عنده مالك، ومع مبالغته في الحرص على ألا ينسب إليه ظلم أو جور توفي سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م؛ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٤١، ١١٥.

[٤] - ابن تغري بردي : المصدر السالف، ج١٠، ص٧٥ ــ ٧٦.

[٥] - الخوارزمية : نسبةً إلى خوارزم، وهم بقايا جنود جلال الدين منكبرتي الذين تفرقوا في مختلف بقاع الجزيرة الفراتية وبلاد الشام، فعاثوا في بلاد الشام فساداً، واجتاحوا معظم مدنها، فقضى عليهم الملك الصالح نجم الدين أيوب فتفرقوا في البلاد في أواسط القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي؛ أبو الفداء : المختصر، ج٢، ص ٢٧٦.

نجم الدين أيوب . أما المغول [١] فقد أثاروا الاضطراب في بلاد الشام بما أحدثوه من تـــدمير وخراب ، وذلك بعد قضائهم على الدولة الخوارزمية [٢] وعلى الرغم من كل هذه الأحداث فقد استطاع الأيوبيون أن يقوموا بواجبهم كاملاً في الصراع الجبار مع الفرنجة والمغول ، حتـــى إذا ما جاء عصر المماليك كانت البلاد قد تطهرت نهائياً من الطامعين المحتلين الـــذين قـــدموا من الغرب ، والشرق على السواء للسيطرة على بلاد الإسلام وإخضاعها لنفوذهم .

والفضل كل الفضل في ذلك يعود لأمر واحد ، هو سعي الحكام في بلاد الشام علـــى توحيـــد شمل الأقاليم المجزأة في جبهة عربية إسلامية موحدة كبرى رسخت جذورها في مصر والشام منذ أقدم العصور .

---

[١] المغول: اسم أطلق على شعب خليط من عدة قبائل بدوية، مغولية، وتركية في آن واحد جاؤوا من شـــرق ووسط آسيا، وسيبيريا، وشمال الصين، وكانوا يتميزون بالتخلف والوحشية ؛ الخطيب (مصطفى) : معجـــم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٦ م، ص ١٠١

[٢] - أبو الفداء : المختصر، ج٣، ص١٤٦ ــ ١٤٧.

٣ ــ الأوضاع الاقتصادية :

اهتم الأيوبيون بالإقتصاد لأنه أساس ازدهار دولتهم ، وهذا الإزدهار والاهتمام شمل مملكة حماه، وأهم أركان الاقتصاد هي الزراعة والصناعة والتجارة .

أولاً : الزراعة :

اهتم السلاطين الأيوبيون في حماه بالزراعة اهتماماً كبيراً لأنها الحرفة الأولى لغالبية السكان، والمورد الأول الذي عاش عليه معظم الأهالي. فانتشرت الزراعة . واتسعت رقعة الأراضي الزراعية ونتيجة اهتمام الأيوبيين بنظام الري ، ألزمت التوقيعات [١] الأيوبية المقطعين بصيانة الجسور وأقنية الري ، كما استعمل الحمويون النواعير [٢] لرفع المياه من الأنهار ، وهذه النواعير وجدت على ضفاف الأنهار وخاصة نهر العاصي واستخدمت بكثرة في حماه وشيزر [٣] ولهذا فإن تنوع الظروف المناخية أدى إلى تنوع الحاصلات الزراعية من أشجار مثمرة وحبوب ، ومحاصيل صناعية وخضار [٤]

أما بالنسبة لملكية الأراضي فقد تعددت أنواعها فإحداها كانت الأراضي الاقطاعية ، والنوع الثاني من الملكية كان الوقف .[٥]

وقد واجهت الزراعة معوقات كثيرة ، منها طبيعية كالجفاف والزلازل التي أزهقت أنفساً لا تحصى أعدادها ، وهذه الزلازل ضربت حماه وشيزر وكفر طاب ومعرة النعمان ، وهدمت أسوار هذه المدن[٦] ومنها سياسية كالحروب بين الصليبيين والمسلمين والتي أثرت بدورها على الإنتاج الزراعي كما أن الحرب الأهلية والصراعات الداخلية بين أبناء البيت الأيوبي

---

[١]- التوقيع : نوع من أنواع خطابات التعيين الصادرة من قبل السلطان أو نائبه، ويقال فيه (أن يفوض) وقد يقال أن يقرر عنوانه : توقيع شريف الفلان كذا.....

العمري (شهاب الدين أحمد ت ٧٤٩ هـ) : التعريف بالمصطلح الشريف، تح محمد حسين شمس، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ص ١٢٣.

[٢]- البغدادي : مراصد الإطلاع، ج١، ص ٤٢٣ ــ ٤٢٤ - العمري : مسالك الابصار، ج٣،ص٥٣٣ــ٥٣٤.

[٣]- الحموي : معجم البلدان، ج١، ص ٥٤٤ ــ ٥٤٥ - أبو الفداء : تقويم البلدان، ص ٢٦٢ ــ ٢٦٣، الصابوني، تاريخ حماه، ص ٩٢.

[٤]- ابن جبير : الرحلة، ص٢٠٧، ابن بطوطة : الرحلة : ص ٦٦.

[٥]- ابن جبير : المصدر السالف،ص٢٤٨ - أ. أشتور : التاريخ الإقتصادي والإجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، مراجعة أحمد غسان سبانو، د. م، دار قتيبة، ١٩٨٥ م، ص٣٠٣.

[٦]- البغدادي (عبد اللطيف البغدادي ت ٦٢٩ هـ) : الإفادة والاعتبار، تحقيق أحمد غسان سبانو، دمشق، دار قتيبة ط١، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م، ص ١٠٠ ــ ١٠١- ابن نظيف (أبو الفصائل محمد بن علي ت ٦٤٢ هـ) : التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، تحقيق أبو العيد دودو، مراجعة عدنان درويش، دمشق، مطبعة الحجاز، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ ن، ص ٢٥.

على أرض بلاد الشام آثرت على الإنتاج الزراعي أيضاً ومن الأمثلة على ذلك الصراع بين قلج أرسلان وأخيه الملك المظفر محمود[١]

أما الثروة الحيوانية فقد كانت وافرة حيث انتشرت تربية الماشية في المناطق المستقرة والبدوية في مملكة حماه كتربية الأغنام والإبل عند البدو بسبب الأهمية الغذائية والاقتصادية لها ، كما انتشرت أيضاً تربية الأبقار والبغال والحمير كحرفة لدى أهل القرى بالإضافة إلى استخدامها في الفلاحة والنقل والاستفادة منها فيما تقدمه من أصواف ولبن ولحوم .[٢]

الصناعة :

كان لها مقومات كثيرة من الموارد (الزراعية ، الرعوية ، المعدنية) ، التي تعد الركيزة الأساسية التي تقوم عليها جميع الصناعات ، إضافة إلى توفر الأيدي العاملة الخبيرة ، مما أعطى حماه شهرة صناعية خاصة في صناعة النسيج والتي كانت على أنواع صوفية وقطنية وحريرية [٣] ، يضاف إليها صناعة الخزف ، والقدور وخاصةً في معرة النعمان [٤]

وقد وصف أحد المؤرخين حال الصناعة في حماه بقوله : (ويتفنن أرباب الصنائع في دقائق الأعمال ، وتقدم إليهم التحف ..... جلبوا إليها ..... من أرباب الصنائع كل من فاق في فنه إلى أن أصبحت الآن تامة المحاسنة معدودة في أمهات البلاد ...)[٥]

وتعد الصناعات الغذائية من أهم الصناعات في حماه ، لأنه من المعروف أن حماه بلد زراعي امتاز بغناه الزراعي وتنوع محاصيله وجودتها ، ومن أهم الصناعات الغذائية طحن الحبوب وقد وردت في كتب الحسبة التعليمات الخاصة للحبوبيين والدقاقين ، والتي حملت المحتسب عبء مراقبة تلك الأعمال والإشراف على المطاحن [٦]

صناعة الخبز : حرص الأيوبيون على العناية بقوت الشعب ، لذلك وضعوا التعليمات الخاصة بصناعة الخبز[٧] . ومن الصناعات الغذائية أيضاً صناعة الألبان ومشتقاته . حيث اهتم الأيوبيون بالثروة الحيوانية ، واعتمدوا على الحيوانات الأليفة ، وذلك لتأمين حاجاتهم الرئيسة

---

[١]- ابن واصل : مفرج الكروب، ج٤، ص ٨٦ ــ ٨٩، ١٢٨، ١٢٩- الحنبلي : شفاء القلوب، ص ٣٣٧.

[٢]- القلقشندي: صبح الأعشى ، ج٤، ص ٩١

[٣]- باشا(محمد علي) : الرحلة الشامية، بيروت، دار الرائد العربي، ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م،ص١٤١.

[٤]- أبو الفداء : تقويم البلدان، ص٣٣

[٥]- العمري : مسالك الأبصار، ج٣، ص٥٣٤.

[٦]- ابن الأخوة (محمد بن محمد بن أحمد القرشي ت ٧٢٩ هـ) : معالم القربة في أحكام الحسبة، عني بنقله وتصحيحه روبن ليون كمبرج، مطبعة دار الفنون، ١٩٣٧ م، ص ٨٩ ــ ٩٠.

[٧]- الشيزري (عبد الرحمن بن نصر ت ٥٨٩ هـ) نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق ومراجعة السيد الباز العريني، بيروت، دار الثقافة، ط٢، ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م، ص ٢٢ ــ ٢٤.

من السمن والقشدة والجبن ، وصنع الجبن الأبيض في معظم البلدان الشامية ، وذاعت شهرة الجبن الكركي والحموي والبلعلبكي ، وصدر قسم منه إلى الديار المصرية [١]ومن الصناعات التي كانت شائعة في حماه في العصر الأيوبي صناعة الزيوت وذلك لكثرة أشجار الزيتون وتعدد مناطق زراعته [٢]

ومن الصناعات التي كانت قائمة في حماه أيضاً الصناعة الجلدية ، ودباغة الجلود ، وهذه الصناعة كانت على جانب كبير من الأهمية لوفرة المادة الأولية التي تحتاجها هذه الصناعة . وذلك لأن حماه تمتلك أعداداً كبيرة من الحيوانات الأليفة والبرية[٣]. فكانت من الصناعات المتقدمة ودليل ذلك وجود الأسواق المتعددة لهذه الحرفة [٤] ويلحق بهذه الصناعة دباغة الجلود التي كان لها شأن كبير ، وقامت هذه الصناعة على ضفاف الأنهار وحيثما توفر الماء لها ، وتعددت الدباغات بدمشق [٥] وحماه [٦].

وتقدم في حماه أيضاً زمن الأيوبيين فن العمارة الزخرفية تقدماً باهراً تجلى في بناء جوامعها ومدارسها وزخرفتها وتزيينها بالآيات القرآنية المنقوشة على جدرانها ، خاصةً المساجد والمآذن والمحاريب . وقد اتسمت هذه العمارة بوضوح التعبير وبالمتانة والقوة وإتقان التخطيط ، وبالبساطة مثل المدرسة الخاتونية [٧] ، وجامع الدهشة [٨] .

واشتهرت حماه أيضاً بكثرة أسواقها . وأهمها سوق المنصورية ، تسمى حالياً السوق الطويل أنشأها ملك حماه المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر الأيوبي المتوفى سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م ، ورتب الباعة فيه فجعل كل أصحاب حرفة في جهة [٩]

وهنا سؤال يطرح نفسه هل كانت الصناعات تتوارث ؟

---

[١]- كرد علي (محمد) : خطط الشام، دمشق، الناشر مكتبة النوري، ١٩٨٣ م، ج٤، ص١٥٧

[٢]- ابن بطوطة : الرحلة، ص ٦٧.

[٣]- القلقشندي : صبح الأعشى، ج٤، ص ٩١، الحوراني (محمد غالب) : الصناعات في حماه التقليدية القديمة والحديثة المتطورة، مجلة العمران، عدد ٢٩ ــ ٣٠، حماه، ١٩٧٤ م، ص ١٣٦ ــ ١٣٧.

[٤]- ابن جبير : الرحلة، ص ٢٠٧، سبانو : مملكة حماه، ص ١٥٨.

[٥]- دمشق : البلدة المشهورة قصبة الشام، وهي جنة الشام لحسن عمارتها وبقعتها وكثرة أشجارها؛ البغدادي : مراصد الإطلاع، ج٢، ص ٥٣٤

[٦]- أبو دمعة (أمين) : الحياة الاقتصادية في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، دمشق، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م، ص ١٩٥.

[٧]- الحنبلي : شفاء القلوب، ص ١٦٧ ــ ١٦٨.

[٨]- أبو الفداء : المختصر، ج٤، ص٩٠.

[٩]- ابن جبير : المصدر السالف ، ص٢٠٧، سبانو : المصدر السالف، ص ١٥٨.

من المعروف أن الابن كان يتعلم صناعة والده منذ نشأته لذلك من الطبيعي أن يرث مهنة أبيه وجده مقتنعاً بالمورد الذي يحصده منها .[١]

التجارة :

تعد التجارة مصدراً من مصادر الإقتصاد ، إذ هي الوسيلة الوحيدة لتصريف الإنتاج الزراعي والصناعي وهي عمليات البيع والشراء ، وتخضع داخلياً لأحكام المعاملات العامة بين المواطنين ، أما التجارة الخارجية فلها أحكامها الخاصة بها .

لقد ساهم موقع حماه الجغرافي في نشاط التجارة ، ولهذا فقد شكلت مركزاً تجارياً دائماً مع البادية والصليبيين في أوقات السلم إضافة لوقوعها في منتصف الطريق ما بين الشمال (حلب)، والجنوب (دمشق) ، طريق تجارة البحر الأحمر مع الشمال وقربها من السّاحل (مرفأ طرابلس) الذي كان أكثر نشاطاً تجارياً من مرفأ بيروت لإرتفاع رسوم الثاني (بيروت) ولهذا فقد كانت مختلف الطرق التجارية تعبر حماه وهذا الوضع قد ساهم في ظهور نشاط تجاري، إلى جانب قيام السلاطين بحماية التّجار ومتاجرهم ، وعرفت حماه أيضاً الصرافة ، وتبديل العملات وهذا ساعد حماه على الوصول إلى مرحلة التجارة العالمية [٢] حيث كان لها علاقاتها التجارية الداخلية والخارجية ، ففي الداخل كان لها علاقات مع البدو ، وخارجياً كان لها علاقات تجارية مع البنادقة [٣] فكانت بضاعتهم تنقل إلى طرابلس ومنها تتجه نحو حماه .

وقد أصدر سلاطين حماه مراسيم كثيرة ،هدفها حماية التجارة ، منها حسن معاملة التجارالأجانب فازداد حجم التجارة نتيجة المبادلات مع الغرب ممثلين بالبنادقة ، ومع الشرق (الهند والصين) [٤]

وأهم صادرات حماه : المنتجات الزراعية [٥] ، ومنتجات الثروة الحيوانية ، المنتجات المصنعة من كليهما الأقمشة والثياب والجلود [٦]

وبالرغم من الصادرات التي كانت تجوب الأسواق العالمية فإن حماه كانت تستورد الكثير من المواد سواء من الغرب الأوربي ، أو من الشرق ، كالخشب والحديد ، والمعادن الأخرى ،

---

[١] - بيطار (أمينة) : تاريخ العصر الأيوبي، دمشق، دار الطباعة الحديثة، ١٤٠١ هـ - ١٤٠٢ م / ١٩٨١ – ١٩٨٢ م. ، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠، الحوراني: الصناعات في حماه التقليدية القديمة الحديثة المتطورة، مجلة العمران، عدد ٢٩ ــ ٣٠، ص ٣١٢ ــ ٣١٣.

[٢] - سبانو، مملكة حماه، ص ١٧١

[٣] - عاشور (فايد حماد محمد) : العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي. تقديم جوزيف نسيم يوسف، دار المعارف، د. ت، ص ٩٥، العلبي (أكرم حسن) : دمشق بين العصر المملوكي والعثماني، دمشق، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ٢٨٢ ــ ٢٨٣.

[٤] - بيطار: تاريخ العصر الأيوبي، ص ٢٢٢ ــ ٢٢- حتي (فيليب) : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي، بيروت ــ لبنان، دار الثقافة،١٩٨٣، ج٢، ص ٢٥٦ ــ ٢٥٧.

[٥] - ابن بطوطة : الرحلة، ص ٦٧.

[٦] - سبانو : المرجع السالف، ص ١٣٨.

الأسلحة ، القطران من الغرب ، ومن الهند والصين تستورد البخور والمسك و الحرير . وكان يتم نقل هذه البضائع عبر البحر الأحمر [1]

ومما هو جدير بالذكر : أنَّ اقتصاد حماه المتنامي ساعد في إزدهار العلم ، وأعطى الفرصة للملوك الأيوبيين للاهتمام بالعلماء وبناء المساجد والمدارس وكذلك الربط والزوايا واستدعاء كبار الأئمة والفقهاء للتدريس بها .

ويمكن القول : لو لم يكن اقتصاد حماه مزدهراً لما أمكن لملوكها التفرغ للاهتمام بالتعليم والعلماء رغم استقرار الفرنجة وهجومهم المستمر على المناطق العربية الإسلامية يضاف إلى ذلك هجوم المغول من آونه لأخرى على هذه البلاد .

[1]- بيطار : تاريخ العصر الأيوبي، ص ٢٤٠ ــ ٢٢٦ ــ ٢٢٧، سبانو : مملكة حماه، ص ١٧٣.

٤ ــ الأوضاع الاجتماعية :

تشكلت في المجتمع الأيوبي عدة فئات متمايزة عن بعضها البعض من حيث الفروق الاجتماعية .نظراً لطبيعة العلاقات القائمة ، ولاختلاف الظروف الحياتية والسياسية فانقسم المجتمع في مملكة حماه إلى فئتين اجتماعيتين ، فئة الخاصة ، وفئة العامة .

أما فئة الخاصة فضمت السلاطين والحكام وأقرباء الأسرة الحاكمة الذين سيطروا على مقاليد الحكم، وعاشوا في قصور خاصة ، فمكنتهم موارد حماه من العيش في غنى وترف ، مما انعكس على الناحية العسكرية . كما ساهمت الموارد الاقتصادية والغنى في تقوية الجيش الذي استطاع إثبات وجوده في حماه وخارجها حيث كان له الدور الكبير أثناء حصار عكا سنة ٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م [١] بالإضافة إلى ذلك تمتع الملوك الأيوبيون في حماه بثقافة واسعة وعلم وأدب ، حيث كان بلاطهم ملتقى للعلماء ، والفقهاء ، والشعراء خصوصاً في عهد الملك أبي الفداء [٢] ووجدت في حماه أيضاً عناصر غير عربية احتلت ركناً أساسياً في المجتمع الحموي كالأكراد والتركمان وأسباب وجودهم عسكرية كونهم شغلوا أدواراً هامة في سدة الحكم ، يضاف إليهم طائفة تجارية كالبنادقة الذين كانت لهم صلات تجارية مع المسلمين رغم وجود الحروب الصليبية ووجد في حماه حياً خاصاً بهم يسمى حي الإفرنج (البنادقة) [٣] وتكونت في حماه فئة من الاقطاعيين كانوا من السادة كالملوك والأمراء والأجناد ، وأصحاب الامتياز [٤] وتضم الفئة الخاصة أيضاً رجال العلم والدين والصوفية ، وكان لهذه الفئة من العلماء ورجال الدين منزلة كبيرة وعظيمة لدى الملوك ، فكانوا يكرمونهم ويحترمونهم ، وكان وجود عدد كبير منهم في بلاط ملك من الملوك يدل على عظمته وعلو شأنه لذلك قيل عن بلاط الملك المنصور أنه كان في خدمته مئتا متعمم [٥] وكان لبعض رجالات هذه الفئة منزلة خاصة ومن أعلى درجات تكريمهم أن يفرش للعالم عند نومه في غرفة الملك [٦] وكان رأيهم مطاع حيث ملكوا القدرة على التفسير والافتاء ، والبت في القضاء دون أن ينازعهم

---

[١] - أبو الفداء : المختصر، ج٣، ص ٧٦ ــ ٧٧.

[٢] - الكتبي : فوات الوفيات، ج٢، ص ١٨٣.

[٣] - سبانو : مملكة حماه، ص ١٥٧، العظم (إحسان) : حماه في عصر أبي الفداء، احتفالية حماه لذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة المؤرخ أبي الفداء ، حماه، ١٩٧٤ م، ص ١٧٠ ــ ١٧١.

[٤] - أشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص ٣٠٢.

[٥] - ابن شاهنشاه(محمد بن تقي الدين عمر ت ٦١٧ هـ) : مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، عالم الكتب، د. ت، ص في المقدمة (و) ، (ز)- أبو الفداء : المختصر،ج٣،ص١٢٥ــ١٢٦.

[٦] - المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ت ٨٤٥ هـ) : السلوك لمعرفة دول الملوك ، قام بنشره محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف للترجمة والنشر د. ت، ج١، ق١، ص ٢٥٨

منازع ، فقد تولى العلماء القضاء والتدريس ، والخطابة ، وساهموا في ازدهار الحركة العلمية زمن الأيوبيين ومن الأمثلة على ذلك أنّ ابن أبي الدم قد سوّغ تسليم الكامل صاحب مصر ، القدس إلى الصليبيين لأن علاقته كانت جيدة معه [١]ومن المؤرخين الحمويين الذين تولوا القضاء والتدريس والخطابة ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م)[٢] ، البرزالي (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) وغيرهم كثر [٣]

أما الفئة العامة فقد ضمت أصحاب الحرف والصناعات والعوام ، وكان لهذه الفئة تنظيمات نقابية متوارثة تحمي حقوق أصحابها وتنظم العلاقات فيما بينها ، فقد كان لكل حرفة سوق خاص بها ، وشيخ أو رئيس يتولى الدفاع عن حقوق أصحابها وله نواب ، وللمتدرب أستاذ يقوم بتعليمه ، وتدريبه [٤]وضمت هذه الفئة أيضاً الفلاحين الذين شكلوا السواد الأعظم في المجتمع الحموي وهؤلاء كانوا فئة مسحوقة حرموا من أدنى حقوقهم ، وفرضت عليهم الضرائب والأتاوات وأعمال السخرة [٥] لذلك فإنه من الملاحظ أن الفئات التي تخص سكان حماه وأهلها لم يتبؤوا مراكز هامة أو مناصب هامة بل شغلتها فئات أتت على حماه وهي خارجية .

وفي حماه مارس السكان بعض المظاهر الاجتماعية حيث كانت الاحتفالات والأعياد مواسم اجتماعية ، تتم بإقامة الزينات والأفراح والخروج بأحلى الثياب . ومن هذه الاحتفالات لبس التشريفات السلطانية ، إضافةً إلى استقبال الوفود الواردة إلى حماه من سلطان أو ملك أو نائب أو رسول ، وتكون الاستقبالات حسب رتبة المحتفى به[٦]وتتم بأوامر تصدر عن السلطة تأمر بالتزيين والاحتفال ، ولذلك كانت هناك احتفالات سلطانية تتعلق بالسلطان من أعياد واحتفالات خاصة به كزواج له أو لأبنه أو لابنته أو لأولاده[٧] والاحتفالات والزواج كانت للعامة والخاصة، ولكن بما أن المصادر ركزت على الخاصة ، فقد شُغلت بها الدراسات .

---

[١]- زكار (سهيل) : من التاريخ المظفري لابن أبي الدم، انظر الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، دمشق، دار الفكر، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ج٢١، ص ٩ ــ ١٠.

[٢]- الصفدي (صلاح الدين بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤ هـ) : أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م، ج٤، ص ٤٤٦ ــ ٤٤٩.

[٣]- الكتبي : فوات الوفيات، مج٣، ص ١٩٦ ــ ١٩٨.

[٤]- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ت ٧٧١ هـ) : معيد النعم ومبيد النقم، حققه وضبطه وعلق عليه محمد علي النجار وآخرون، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط١، ١٣٦٧ هـ /١٩٤٨ م، ص ٣٣.

[٥]- السبكي : المصدر السالف، ص ٣٤، سبانو : مملكة حماه، ص١٥٨.

[٦]- ومن الأمثلة على ذلك قدوم قبجق إلى حماه أبو الفداء : المختصر، ج٤، ص٥٠، ومن الاحتفالات لبس التشريفات السلطانية، انظر أبو الفداء : المصدر السالف، ج٤، ص٢٠ .

[٧]- سبانو : مملكة حماه، ص١٦٢

ومن الاحتفالات أيضاً الاحتفال بالفتوحات وبعدد من المناسبات منها ما يخص المسلمين ومنها ما يخص المسيحيين ، فمما يخص المسلمين عيد الفطر والأضحى وعيد رأس السنة الهجرية ويوم عاشوراء حيث أعدوا لهذا اليوم أطعمة خاصة حضرت وفق طرائق خاصة . ويوم المولد النبوي كان الناس يتجمهرون فئات وجماعات في المساجد والزوايا وبعض البيوت الكبيرة . وكان يحضر هذه الاحتفالات عدد من المنشدين ،ورجال الدين ، وأتباع الطرق الصوفية ويقوم منشدون بقراءة خبر ولادة النبي (ص) مع عدد من الأناشيد الدينية والمدائح النبوية [١]

ومن الاحتفالات الدينية الأخرى يوم الإسراء والمعراج . وليلة النصف من شعبان حيث كانوا يصنعون أنواعاً خاصة من الحلوى الملونة ، كما احتفلوا بليلة القدر وبمناسبات دينية أخرى ، وفي جميع هذه المناسبات شغل رجال الدين الدور الأعظم .

ومن المناسبات التي تخص المسيحيين عيد الفصح ومدته في حماه ستة أيام يعطل فيها أهل حماه ويلبسون أحلى الثياب ، ويأكلون أطيب الطعام ، ومن الاحتفالات أيضاً صوم النصارى وعيد الميلاد ، وعيد النور . [٢] .

وعند الحديث عن الحياة الاجتماعية لا يمكن إغفال وضع المرأة في حماه في العصر الأيوبي فقد شغلت دوراً هاماً في الحياة الخاصة والعامة ، فكانت شيخة ومتصوفة مثل زينب بنت عمر بن كندي [٣] . كما كانت بعض الرباطات خاصة بالنساء حتى أن بعضها كان لها مهمة اجتماعية في إيواء المطلقات واللاتي ليس لهن أهل ومأوى [٤] .

كما أنه لا يمكن إهمال النشاطات التي مارسها الأمراء والحكام والجند . وكذلك أفراد الشعب ومنها الصيد فقد مارسها الحكام الأيوبيون ، ومنهم أبو الفداء الذي قام برحلات الصيد سواء مع عمه في صيد النسور بالبندق ومع السلطان محمد بن قلاوون في مصر . كما اصطاد الناس الطيور والحيوانات المفترسة واحتفلوا بذلك ، وعدوه نوعاً من أنواع الفتوة والفروسية[٥].

---

[١] - ابن شيخ الربوة (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي ت ٧٢٧ هـ) : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.، ص ٢٨٠ ــ ٢٨٢.

[٢] - ابن شيخ الربوة : المصدر السالف ، ص ٢٨٠ ــ ٢٨٢، العظم (إحسان) : حماه في عصر أبي الفداء، احتفالية حماه بذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة المؤرخ أبي الفداء، حماه، ١٩٧٤ م، ص ١٦٥،

[٣] - الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٥، ص٣٩٨، الصفدي : أعيان العصر ج٢، ص٣٨٨ ــ ٣٨٩.

[٤] - الكيلاني (راشد) : حماه تاريخ وحضارة حمص، مطبعة اليمامة، د.ت، ص٨٠.

١- Deplanhol, The world of Islam, New York, ١٩٥٩, p.p٩-١٢

ولابد أخيراً من الحديث عن المأتم ومجالس العزاء والتي كانت تتناسب مع قيمة الفقيد ، والمفجوع له ويذكر على سبيل المثال أنه لما توفيت الملكة خاتون بنت الملك العادل ، حزن عليها زوجها الملك المنصور صاحب حماه محمد بن تقي الدين عمر شاهنشاه حزناً عظيماً ولبس الحداد ، وأمر أكابر حماه بالصعود إلى القلعة للصلاة عليها ، وعمل عزاها بالمدرسة المنصورية ظاهر حماه ، ووصف ابن واصل حزن الملك المنصور بقوله : (رأيته وهو جالس يمنة المحراب ، وهو مكتئب حزين ، ولابس الحداد ..... ، وإلى جانبه أولاده الملك الناصر قلج أرسلان وأخوته وعليهم كلهم الحداد .....)[1]

[1]- ابن واصل : مفرج الكروب، ج٤، ص٦٥.

الحياة الفكرية :

شهدت حماة زمن الأيوبيين نهضة علمية كبيرة ، فقد اهتم الأيوبيون بالحركة العلمية ، والتفتوا إلى توفير مستلزمات الارتقاء بها ، فشجعوا العلماء وطلابهم ، وأغدقوا عليهم الأموال والهدايا حتى غدت حماه في زمانهم محجة للعلماء ،. وطالبي العلم يقصدونها من شتى الأصقاع . كما عملوا على بناء دور للعلم والتعليم والتي يأتي في مقدمتها : المساجد

والتي لها دور هام في نشر العلم والمعرفة فهي أول مكان عرفه العرب لتلقي العلوم المتنوعة[١]إلى جانب رسالتها التعبدية ، وهي أشبه ما تكون بجامعات حرّة غير مقيدة بشروط يأخذ فيها الطلاب ما يرغبون من التخصص في العلوم ، كالفقه والحديث الشريف ، والتفسير وعلوم اللغة العربية والطب والفلك وغيرها ، ولقد ذكر العديد من المؤرخين عن وجود المساجد والجوامع في حماه[٢] ومن مساجد حماه التي أدت دوراً تعليمياً هاماً :

ــ جامع الحسين : سمّي الحسنين ، وذلك نتيجة تحريف العامة للأسم ، ويبدو أن التسمية القديمة له هي جامع الحسين ، يقع بين حي الباشورة والمدينة في حماه ، وتحت القلعة من الجنوب مما يلي باب العدة ، وكان لهذا المسجد أوقاف كثيرة تفي بحاجاته منها دكاكين الصاغة داخل باب العميان، وممن تولى نظارة الأوقاف والاهتمام بالمسجد الشيخ علي بن الأمير محمود ، وابراهيم بن قرناص والذين تولوا التدريس به الإمام محمد بن السيد ابراهيم ، والشيخ محمد الشهير بابن الرحيبي [٣] ، بنيت في قسم من الجامع المدرسة الفريجة التي تنسب إلى زين الدين فرج وزير الملك المنصور الأول محمد صاحب حماه ، ووزير الملك المظفر الثاني محمود من بعده .

ــ جامع العزّي : بناه محمد بن حمزة العزي سنة ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م ، وكان له أوقاف كثيرة بجوار المدرسة العزيّة ، مما يدل على دوره في نشر العلم [٤]

المدارس :

عرفت حماه في العصر الأيوبي العديد من المدارس ، التي كان لها جميعها حظ وافر في نشر الثقافة والمعرفة واستمرارية الحركة العلمية ، بحيث كان يأوي إليها طلاب العلم ، وتدر عليهم فيها الأرزاق . ويتولى التدريس لهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء ،يوسع عليهم في

---

[١]- البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ت ٢٥٦ هـ) : صحيح البخارى، بيروت، عالم الكتب، ط١، د. ت، ج١، ص٣٩، ٧٥

[٢]- البغدادي : مراصد الإطلاع، ج١، ص٤٢٣ ــ ٤٢٣، العمري : مسالك الأبصار، ج٣، ص ٥٣٣.

[٣]- شحادة (كامل) : مآثر نور الدين محمود زنكي العمرانية في حماه، مجلة الحوليات الاثرية العربية السورية، ١٩٧٠ م، مج٢٠، ص٩٦ ــ ٩٩.

[٤]- الصابوني : تاريخ حماه، ص ١٠٩.

الرزق ، ويختارون بحسب شروط الواقف ممن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا للقيام بـــه، ويجاز فيها الطلاب بما تعلموه من صنوف المعرفة . وكانت المهمة الأساسية للمـــدارس هـــي تدريس العلوم الدينية لذلك عمل الملوك والأمراء الأيوبيون على تأسيســـها تقربـــاً إلـــى الله ، وكسب الثواب الأكيد وأهم مدارس حماه في العصر الأيوبي :

ـــ **المدرسة النورية الشافعية** : بناها نور الدين الشهيد المتوفى سنة ٥٦٩ هـــ / ١١٧٣ م ، ويرجع تاريخ بنائها ما بين أعوام ٥٥٥ ـــ ٥٥٨ هـ / ١١٥٩ _ ١١٦٢ م ، وهذه المدرســـة مشهورة بالعصرونية نسبة إلى القاضي شرف الدين بن أبي عصرون الشافعي [١]الموصـــلي الذي تولى التدريس فيها وموقعها قرب جامع نور الدين في باب حمص من حي الباشـــورة ، درس فيها جمهرة كبيرة من أفاضل الرجال وعلمائهم منهم: زين الدين بن الحـــاج علـــوان ، أحمد بن نصر بن المغيزل [٢] ، عبد الرحمن بن المغيزل[٣] علي البعلبكي . كان لهذه المدرسة أوقاف كثيرة ، سيما في أراضي شيزر ، مخصصة للشافعية وهذه المدرسة كانت لتعليم القرآن ولها جامع وداران متصلان بها [٤]

---

[١]- ابن أبي عصرون : كان من أعيان الفقهاء في عصره درس بالموصل في مدارس عدة ثم انتقـــل إلـــى سنجار وأقام بها مدة ، وفي سنة ٥٤٥ هـــ /١١٥٠ م ، انتقل بدعوة من نور الدين إلى حلب ، درس فيها ، وولي القضاء فيها والنظر في الأوقاف ، وبلغ مكانة عالية لدى نور الدين محمود وصلاح الدين؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـــ ٣ ، ص٥٣ـــ٥٧

[٢]- أحمد بن نصر بن المغيزل : كان فقيهاً ، مفنناً ، مدرساً ، مفتياً ،تولى مشيخة الشيوخ بحماه وكان صاحب ديانة ، وعبادة ، وخير ، ولد سنة ٦٠٢ هـــ / ١٢٠٥ م ودرس بالمدرسة العصرونية توفي بحماه سنة ٦٨٧ هـــ / ١٢٨٨ م؛ ابن المغيزل (نور الدين علي بن عبد الرحيم ت ٧٠١ هـــ) : ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، صيدا ـــ بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٥٢٥ هـــ / ٢٠٠٤ م، ص ١٧

[٣]- عبد الرحمن بن المغيزل : الشيخ ، الفقيه ، الإمام ، الزاهد ،ناصر الدين ، عبد الرحمن بن تاج الدين أحمد ابن محمد بن محمد نصرالله الحموي المعروف بابن المغيزل ، كان فقيهاً ، صالحاً ، ديناً ، كثير التواضـــع والعبادة ، توفي في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة ٧٠٧هـــ / ١٣٠٧ م بحماه؛ البرزالي : المقتفى ، جـــ٢ ، ق١ ، ص٣٦٦.

[٤]- ابن جبير : الرحلة ،ص ٢٥٧ ، ابن واصل : مفرج الكروب ، جـــ١ ، ص ٢٨٢ ، النعيمي (عبد القادر ابن محمد المتوفى سنة ٩٧٨ هـــ). الدارس في تاريخ المدارس ، أعد فهارسه إبراهيم شمس الدين ، بيروت ـــ لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٠ هـــ / ١٩٩٠ م ، جـــ١ ، ص٣٠٤ - الصابوني : تاريخ حماه ، ص ١١١ – ١١٣ ، كرد علي : خطط الشام ، جـــ ٦ ، ص ١٢٧ ، سبانو : مملكة حماه ، ص ٨١.

ـ **المدرسة المظفرية** : شيدها الملك المظفر تقي الدين عمر ، هو ابن أخ السلطان صلاح الدين الأيوبي كان لهذه المدرسة مكانة كبيرة تتناسب مع عظم شأن منشئها ، ولابد أنه كان لها أوقاف جليلة بحسب كبرها ، وأعمال صاحبها في البر [١]

ـ **المدرسة المنصورية (مدرسة التربة)** : بناها الملك المنصور الأول محمد فوق قبر والده وموقعها هو مكان جامع أبي الفداء في الطرف الشمالي الغربي من محلّة باب الجسر ، وكان لها أوقاف جليلة ودُرس فيها المذهب الشافعي ، وممن تولى التدريس بها سيف الدين الآمدي [٢] ، وشهاب الدين بن القطب[٣] الذي كان معيداً عنده .[٤]

ـ **المدرسة الخاتونية** : سميت بالخاتونية نسبة لمؤسستها مؤنسة خاتون [٥]بنت الملك المظفر الثاني محمود وعمة أبي الفداء ، كانت بدايةً تعرف بدار الوزير ثم تحولت إلى دار الإكرام ، ثم إلى دار مؤنسة خاتون التي جعلتها مدرسة ،وأوقفت لها أوقافاً كبيرة وكتباً في زمن أبي الفداء وهي من كبريات مدارس بلاد الشام تولى التدريس فيها عبد النافع بن الحاج عمر ، وكانت المدرسة الخاتونية منبراً ثقافياً ، حضارياً ، تدّل على رقي وتقدّم ذلك العصر ، وكان لها مكتبة عامرة وأوقاف . [٦]

ـ مدرسة دار القرآن : تنسب إلى محمد بن أبي بكر الشافعي ، موقعها في محلة باب حمص من حي الباشورة ، جعلها واقفها مقتصرة على العزاب دون المتزوجين ، كانت هذه من بعض شروط واقفي الربط والخانقاوات ، لأن العازب يتفرغ للدراسة والعلم والعبادة .

---

[١]- ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ٢ ، ص ٣٧٦ ، أبو الفداء : المختصر ، جـ٣ ، ص ٨٠ ، النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ،جـ١ ، ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ، الكيلاني (شوقي) : تطور التعليم في حماه ومراحله مجلة العمران ، عدد ٢٩ _٣٠ ، حماه ، ١٩٧٤ م ، ص ١٦٦ _١٦٧.

[٢]- سيتم التحدث عنه في ص ٧٩.

[٣]- لم أعثر له على ترجمة

[٤]- ابن واصل : المصدر السالف ، جـ٤ ، ص ٧٧-٨٦، أبو الفداء : المصدر السالف ، جـ٣ ، ص ١٢٥-١٢٦ ، ابن الوردي : تتمة المختصر ،جـ٢ ، ص ١٥٧ ، الكيلاني (أحمد قدري) : أبو الفداء والملوك الأيوبيين في مملكة حماه ، دمشق ـ المطبعة الأهلية ، ط٢ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ١٤٨ ، ١٧٢

[٥]- مؤنسة خاتون : مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر ابن شاهنشاه ابن أيوب ، وأمها غازية خاتون بنت السلطان الملك الكامل ولدت سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م ، وتوفيت سنة ٧٠٣ هـ /١٣٠٣ م ؛ ابن الوردي : المصدر السالف، جـ ٢ ، ص ٣٦١ .

[٦]- ابن الوردي : المصدر السالف ، جـ٢ ، ص ٣٢٧ ، الحنبلي: شفاء القلوب ، ص ٤٤٧ ، العظم: حماه في عصر أبي الفداء، ص١٦٧ ـ ١٦٨.

تحتوي واجهة المدخل على كتابة نافرة تتألف من ثمانية أسطر ، ثلاثة على ساكف[١] المدخل، وثلاثة منها على عضادته اليمنى ، وسطران على عضادته اليسرى ، كتبت فيها بنيت هذه المدرسة في شوال سنة ٧٦٥ هـ/ ١٣٦٣ م .

ـ **المدرسة الطواشية** : تقع في محلة المدينة بالقرب من الجامع الأعلى (الجامع الكبير) ، تنسب إلى مرشد الطواشي[٢] ، الذي أعتقه الملك المظفر الثاني محمود صاحب حماه ، وممن درس فيها ابن القضاعي [٣] ، وهذه المدرسة متسعة جداً ، بقيت لما بعد الألف الهجري [٤]

ـ **المدرسة النورية الحنفية** : أنشاها الملك المؤيد أبو الفداء على أنقاض دير قزما ، وممن تولى التدريس فيها علم الدين قيصر بن أبي القاسم المعروف بتعاسيف ، كان مهندساً ، فاضلاً ، بارعاً في العلوم الرياضية ، ولد في أصفهون من صعيد مصر ، ودخل حماه ،أقام فيها ، أحسن إليه ملكها المظفر الثاني محمود ، وولاّه تدريس النورية فعمل له كرة عظيمة صور عليها الكواكب ، وعمل له طاحوناً على العاصي ، وبنى له أبراجاً[٥] وقد ذكر الرحالة ابن جبير ((إن المدارس حذاء المارستان ثلاث إحداها للحنفية ، والثانية للشافعية ، والثالثة لا يدري مكانها)) [٦]. ومن الذين درسوا في هذه المدرسة عبد الله بن عيسى بن عمر الباريني[٧]

---

[١]- ساكف : عتبة الباب التي يوطأ عليها ، والساكف أعلاه الذي يدور فيه الصائر ، والصائر أسفل طرف الباب الذي يدور أعلاه وجمعه الأسكفه والأسكوفة مادة (سكف)؛ ابن منظور : لسان العرب،جـ٩،ص١٥٦.

[٢]- الطواشي : لفظ تركي دخل العربية في العصر الإسلامي المتأخر ليصبح لقباً للخصي المملوك الذي يستخدم في القصور السلطانية ضمن أجنحة الحريم ، والطواشي عند المماليك يقابل الأغا عند العثمانيين. الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ص ٣٠٨.

[٣]- ابن القضاعي : جمال الدين أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن سعد الله الحموي الحنفي المعروف بابن القضاعي بحماه ولد سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م ، كان شيخاً ، فاضلاً متفنناً بالقراءات خبيراً بالتجويد حسن الأداء مع معرفة بالفقه والنحو والأدب ، وله نظم جيد ، وعنده فضيلة كاملة، كان مدرساً بمدرسة الطواشي بحماه ؛ البرزالي (أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي ت٧٣٩هـ) : الوفيات، تحقيق أبو يحيى عبد الله الكندري، الكويت، غراس للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص ٣١٣.

[٤]- البرزالي : المصدر السالف، ص ٣١٣- سبانو : مملكة حماه، ص ١٨٢- الكيلاني (راشد) : حماه تاريخ وحضارة، ص ٨٤ ــ ٨٥ .

[٥]- ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص ٢٨٢- الأدفوي (أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي الشافعي المتوفي سنة ٧٤٨ هـ) : الطالع السعيد، تحقيق سعيد محمد حسن، مراجعة طه الحاجري، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ م، ص ٤٦٩ ــ ٤٧١.

[٦]- ابن جبير: الرحلة، ص ٢٠٧.

[٧]- شحادة : مآثر نور الدين محمود زنكي العمرانية في حماه، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية ١٩٧٠م، مج٢٠، ص ٨٨ ــ ٨٩.

الزوايا والخوانق :

ظهرت الزوايا في البداية على شكل تجمعات دينية في المساجد يتجمع فيها الطلاب أو مريدو العلم حول شيخ من الشيوخ . وقد انتشرت الزوايا في جهات العالم الإسلامي، وإن كثرتها كانت تتعلق بكثرة الطرائق والمشايخ والمعتقدين .[١] ويستدل من المدلول اللغوي للزاوية على أنها موضع للإنزواء [٢] أما الخوانق فقد ظهرت في الإسلام في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي [٣] والخوانق هي جمع خانقاه ، وتكتب أحياناً خانكاه ، وهي كلمة فارسية معربة وتعني مسكن الصوفية ، وجعلت مقراً لتعبدهم لكي يخلوا فيها إلى عبادة الله تعالى ، وتكونت من ثلاثة أقسام أولها القبة التي يجتمع فيها أهل الطريقة التي تنتمي الخانقاه إليها لإقامة هذه الشعائر ، وثانيها رواق الزوار الذي كان يخصص للمتجردين ممن يحبسون أنفسهم للبقاء في الخانقاه وخدمة زوارها وطريقتها ، وربما كان منه قسم للرجال وآخر للنساء ، وثالثها بيوت السكن التي يقيم فيها شيخ الخانقاه والدارسون ونحوهم فكانت الخانقاه من ثم المسجد والمدرسة مكاناً لتدريس العلوم الدينية كالفقه ، والحديث ، والتفسير ومن أهم الزوايا والخوانق التي وجدت في حماه : زاويتا البيانية وتقع إحداهما بظاهر حماه . وهي من إنشاء الشيخ أبي عبد الله بن فرات . والثانية تقع بباطن حماه داخل الباب القبلي منها ، والتي من أوقافها بستان كبير موقعه شمالي حماه . وهاتان الزاويتان تنسبان إلى أبي البيان بن محمد بن محفوظ بن أحمد القرشي ، شيخ الطريقة البيانية المتوفى سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م [٤] . ومن زوايا حماه أيضاً زاوية الشيخ ياسين الكيلاني والتي بناها الشيخ سيف الدين يحيى الكيلاني بين الحيرين سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م[٥] . أما الخوانق التي وجدت في حماه فقد كان منها الخانقاه النورية ومما تميزت به الخوانق في حماه بأنها لم تقتصر على الرجال فحسب ، بل كانت تتعداها إلى النساء بحيث أن الخانقاه النوري بحماه ، كانت مخصصة للنساء الفقيرات وهذا ما تضمنته وقفية فاطمة خاتون بنت الملك المنصور الثاني صاحب حماه المتوفى سنة ٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م . وهذه الوقفية مؤرخة في شهر شوال سنة (٧٠٦ هـ / ١٣٠٦ م) وغايتها أن ما وقفته يعود إلى النساء الفقيرات المقيمات بالخانقاه النوري بحماه ، ومن يرد عليهن عدا الثلثين الآخرين اللذين خصت بهما ذويها ، والمساجد الثلاثة الحرم والنبوي والأقصى وما فيها من أئمة وخدم ومجاورين . [٦]

---

[١]- كرد علي : خطط الشام، ج٦، ص ١٣٦.

[٢]- ابن منظور: لسان العرب، مج ١٤، ص ١٢٠ مادة (زوى)

[٣]- المقريزي : (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٥٥ هـ) : الخطط المقريزية، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢، مج٢، ص ٤١٤

[٤]- شحادة: مآثر نور الدين محمود زنكي العمرانية في حماه، مجلة الحوليات الأثرية ١٩٧٠ م، ق١، مج٢٠، ص ٨١ ــ ٨٣

[٥]- الكيلاني (راشد) : حماه تاريخ وحضارة، ص٨٠.

[٦]- ابن واصل : مفرج الكروب، ج١، ص ٢٨٣، شحادة (كامل) : مآثر نور الدين محمود زنكي العمرانية في حماه، ق١، مج٢، ص ٨٣.

مجالس العلم والادب :

مجالس العلم وحلقات الدرس المنعقدة في المساجد والمدارس لم تكن هي وحدها أماكن تلقي العلم والتقاء العلماء بل كانت هناك مجالس أدبية ، وعلمية أخرى ، تعقد في حضرة الملوك والأمراء ومنازل العلماء ، وتضم الكثير من رجال العلم والأدب على مختلف اختصاصاتهم فقد حرص الكثير من الملوك الأيوبيين على أن تكون مجالسهم محاطة بهؤلاء العلماء ، وكانوا يجزلون لهم العطاء ، ومن هؤلاء الملوك الملك المنصور الأول (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) كان عالماً وقرب العلماء إليه وقدم لهم الأعطيات وهذا ما أدى إلى كثرة وفود العلماء إلى حماه ، وتنافسوا على خدمة الملك المنصور الأول فقد كان في خدمته ما يقارب مئتي عالم من جميع الاختصاصات [١]

ومن ملوك حماه الذين اهتموا بالعلم وقربوا إليهم العلماء الملك المظفر الثاني محمود (ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م) وأكثر لهم العطاء حيث قرب إليه علم الدين قيصر .[٢]

ومنهم أيضاً أبو الفداء الذي كان عالم عصره ، وقد دفعه حبه وشغفه للعلم إلى حب العلماء وتقريبهم إليه ، فعاش في بلاطه الأثير الأبهري ، وأجرى له ما يكفيه ، وكان يرسل للشاعر المصري ابن نباته[٣] راتبه السنوي إلى القاهرة من حماه .[٤]

وقد وصف أحدهم حالة حماه التعليمية في عهد أبي الفداء بقوله : ((لم يجتمع في بلاط حاكم من الحكام من العلماء والأدباء والشعراء بعد سيف الدولة كمثل ما اجتمع في بلاط أبي الفداء))[٥]

---

[١]- ابن شاهنشاه : المضمار، ص في المقدمة (و) ، (ز) - أبو الفداء : المختصر، ج٣، ص ١٢٥ ــ ١٢٦. الكتبي : فوات الوفيات، ج٤، ص ١٢.

[٢]- ابن واصل : المصدر السالف ، ج٥، ص ٣٤٤.

[٣]- ابن نباته : محي الدين محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ابن نباته الشاعر المشهور ولد سنة ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م الفارقي الأصل، المصري المنشأ، كان ماهراً في النظم والنثر والكتابة، حتى فاق أقرانه أقام بدمشق مدة تقارب الخمسين سنة كما تتردد أيضاً إلى حماه له العديد من قصائد المديح وعدد من المصنفات منها (مطلع الفوائد)، (شرح رسالة ابن زيدون). توفي سنة ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م ودفن في مقابر الصوفية؛ ابن حجر : الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٣٩ ــ ٣٤٠.

[٤]- أبو الفداء : التبر المسبوك، ص ٧- الكتبي : فوات الوفيات، ج٢، ص ١٨٣- حميدة (عبد الرحمن): أبو الفداء احتفالية حماه لذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة المؤرخ أبي الفداء ، حماه، ١٩٧٤ م، ص١٥.

[٥]- سبانو : مملكة حماه، ص ١٧٩.

خزائن الكتب والمكتبات :

شكلت المكتبات في العصر الأيوبي مركزاً هاماً من مراكز الإشعاع الحضاري ، بحيث شكلت الملجأ الأول لرواد العلم للاستزادة من العلوم ، والإطلاع على كنوز السلف، مما دون في فكر علمي أو أدبي في الحضارة الإسلامية والحضارة الأخرى .

والمكتبات هي أساس النشاط العلمي في كل زمان ومكان . وبغيرها لا يمكن لدور العلم والتعليم أن تؤدي رسالتها ، ولا يمكن للحياة العلمية والأدبية أن تزدهر ، لذلك بلغ الاهتمام بها زمن الأيوبيين مبلغاً عظيماً حتى صار في كل مسجد ومدرسة ودار علم ودار عالم خزانة كتب خاصة تحتوي المصنفات .

كما انتشرت في قصور السلاطين والخلفاء والأمراء ، والربط ، والزوايا ، والخانقاهات والكنائس والأديرة ومن هذا المعين نهل العلماء علومهم على مر العصور ، وأضافوا إليها الكثير من المصنفات العلمية والأدبية ، فالناظر في تراجم بعض هؤلاء العلماء ، وما أنتجه فكرهم يجد كماً هائلاً من أسماء المصنفات التي استعانوا بها في تصنيفهم للعلوم وهذه المكتبات قد انتشرت في حواضر العالم الإسلامي بشكل عام ، إضافةً إلى ما جمعه العلماء من كتب شكلت لديهم مكتبات خاصة يذكر منهم هبة الله البارزي [١] الذي كان لديه مكتبة تضم كتباً قدر ثمنها بمئة ألف درهم .[٢]

وقد أولع ملوك حماه بجمع الكتب ، حيث كانت توجد مكتبة غنية في جامع أبي الفداء ، تضم سبعة آلاف كتاب أوقفها للقراءة ، وكان يحرص على اقتناء الكتب النفيسة النادرة ووجدت المكتبات أيضاً في المدارس الكبرى كالمدرسة الخاتونية . [٣]

كما أنه كان يقوم على خدمة خزائن الكتب (الخازن) الذي كان عليه الاعتناء بالكتب وترميمها وحبكها عند الحاجة كما كان عليه تقديم الكتب إلى الراغبين فيها مقابل رهن يساوي قيمة الكتاب عملاً بشرط الواقف إن اشترط ذلك [٤]

ولاشك أن وجود دور الكتب العامة أو الخاصة له أثره المحمود في النهوض العلمي ونشاط الحركة التأليفية في عصر كان اعتماد التدوين فيه على الكتابة الخطية ، فلقد شكلت المساجد ،

---

[١] - هبة الله البارزي : هبة الله بن عبد الرحيم بن ابراهيم، الإمام، الحبر، العلامة، الفقيه، القاضي شرف الدين أبو القاسم الجهني الحموي الشافعي له مؤلفات منها (شرح الشاطبية)، (مختصر جامع الأصول)،(توثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن) ت سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م ؛ ابن الغزي : ديوان الإسلام،ج١،ص٢٢٣.

[٢] - سبانو : مملكة حماه، ص ١٨٣.

[٣] - ابن الوردي : تتمة المختصر، ج٢، ص ٣٢٧- حميدة (عبد الرحمن): أبو الفداء احتفالية حماه لذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة المؤرخ أبي الفداء،حماه، ١٩٧٤م، ص ١٦.

[٤] - السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي ت ٧٧١ هـ) : معيد النعم ومبيد النقم، قدم له وشرحه وأعد فهارسه صلاح الدين الهواري، صيدا ــ بيروت، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م،ص٩٠

والمدارس ودور العلماء والمكتبات في حماه منابر للعلم ، وبذلك لم تقتصر الحياة الفكرية على لون واحد في بث الشعاع العلمي والمعرفي ، وإن كثرة المكتبات في الدولة الأيوبية يعود إلى:

ــ إن ملوك بني أيوب كانوا شعراء وعلماء ومصنفين بذواتهم مما استدعى قيام مكتبات بـــين جدران قصورهم .

ــوجود طائفة كبيرة من الوزراء ، والفقهاء ، والقضاء ، المصنفين ، وجماعي الكتب .

الفصل الثالث

رواد الحركة التأريخية في مملكة حماه (٥٧٣ــ٧٤٢ هـ / ١١٧٨ ــ ١٣٤١م)

١ ــ ابن شاهنشاه الأيوبي ٥٦٧ ــ ٦١٧ هـ / ١١٧١ ــ ١٢٢٠ م

أ ــ شيوخه وتلامذته.

ب ــ مصنفاته.

ت ــ منهجه في التأريخ.

٢ ــ ابن أبي الدم ٥٨٣ ــ ٦٤٢ هـ / ١١٨٧ ــ ١٢٤٤

أ ــ شيوخه وتلامذته.

ب ــ مصنفاته.

ت ــ منهجه في التأريخ.

٣ ــ ابن واصل ٦٠٤ ــ ٦٩٧ هـ / ١٢٠٧ ــ ١٢٩٧ م

أ ــ شيوخه وتلامذته.

ب ــ مصنفاته.

ت ــ منهجه في التأريخ.

٤ ــ أبو الفداء ٦٨٢ ــ ٧٣٢ هـ / ١٢٨٣ ــ ١٣٣١ م

أ ــ شيوخه وتلامذته.

ب ــ مصنفاته.

ت ــ منهجه في التأريخ.

الفصل الثالث

رواد الحركة التأريخية في مملكة حماه (٥٧٣ ــ ٧٤٢ هـ/١١٧٨ ــ ١٣٤١م)

تشعبت الدراسات التاريخية وتنوعت فأخذ علم التاريخ جانباً كبيراً من اهتمام الباحثين وذلك نتيجة ميلهم لمعرفة أخبار الأمم الماضية واهتمامهم بالأنساب حيث لم يترك المؤرخون جانباً من جوانب النشاط الإنساني، إلا ودونوا تاريخه، فلم تخل كتبهم من معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية، كما سجلوا أنساب العرب، وأخبارهم وسيرة الرسول (ص)، وأخبار الفتوح الإسلامية، وتواريخ الخلفاء، والدول كما ذكروا بلاد الشام ومدائنها والطرق إليها مع ذكر ما وجد من معلومات عن أهلها وصفاتها وعاداتهم فاستمرت الكتابة التأريخية بالتطور والتقدم، وظهرت فيها فنون كثيرة، ولم تقتصر منطقة من المناطق على هذا التنوع بل شمل المنطقة العربية والإسلامية كافة وكانت بلاد الشام إحدى الدعائم الهامة لتلك الفنون وتعد حماه إحدى مناطق الشام التي ظهر فيها مؤرخون رواد ساهموا في النهضة العلمية في العصر الأيوبي ومنهم:

١ ــ ابن شاهنشاه الأيوبي ٥٦٧ ــ ٦١٧ هـ / ١١٧١ ــ ١٢٢٠ م

محمد ابن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ولد سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١م[١] كان ملكاً تسلطن على مملكة حماه بعد وفاة والده المظفر تقي الدين عمر وبذلك أصبح الحكم وراثياً في الأسرة التقوية، وفي عهده حدثت بينه وبين الناصر صلاح الدين الأيوبي خلافات أو نزاعات بسبب طموحه في توسيع حدود مملكته، لكن العادل بن أيوب تدخل وحل الخلاف بينهما، وطموحه لم يقتصر على داخل المملكة بل امتد إلى خارجها حيث سار على منهج من سبقه في الجهاد ضد الصليبيين أو الفرنج الذين قاتلهم طويلاً، ولكنه انتصر عليهم، مع ذلك تعرضت مملكته سنة ٦٠١ هـ /١٢٠٤م إلى هجوم هؤلاء[٢].

وإلى جانب قوته ومحاربته الصليبيين اهتم بالعلماء، ولم يكن ملكاً فقط بل كان شاعراً ومؤرخاً وأديباً، له ديوان شعر، كثير المطالعة والبحث أحب العلماء وقربهم من مجلسه لذلك أجزل لهم العطاء، قيل كان في خدمته مئتا عالم في علوم عدة، وقد شغل دوراً هاماً في الحياة الفكرية بتشجيعه للعلم والعلماء، وتقريره العطاءات، والهبات السنوية لهم، التي تعد من الأمور

١- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص ١٤٦- مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢،ص٢٤٨ــ٢٥٠.

٢- ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق، المقدمة في ص (ج) ، (د) ، (هـ) ، (و).

المساعدة على دفع عجلة التطور قدماً إلى الأمام، فكان مجلسه قبلة الفضلاء والحكماء[١]، وأظهر أيضاً اعتناء بجمع الكتب، حتى استقر عنده منها الكثير[٢].

كما كان مهتماً بعمارة بلده، والنظر في مصالحه فبنى الجسر عند حمص[٣]، وسوق المنصورية، إضافةً إلى حمام عرف بحمام السلطان، ومدرسة للشافعية[٤].

يتضح من خلال الإطلاع على حياة ابن شاهنشاه الأيوبي أنه جمع في شخصيته سمات متعددة فكان القائد العسكري والسياسي المحنك، وطالب العلم المواظب، وخاصة في موضوعات اللغة والأدب والتاريخ (أيام الناس)مما أتاح له فهم ما يتداوله العلماء في مجلسه والمشاركة بمداخلات تدل على حسن رأيه فشخصيته هذه أرست دولة العلم والدين، وجذبت إلى ربوعها علماء الأمصار، إذ استقدمتهم إلى حماه من مختلف الأصقاع.

أ ــ شيوخه وتلامذته:

عاش المنصور في عصر حافل بكبار العلماء، والفقهاء، فأخذ علومه منهم، ومن أولئك الذين أحدثوا أثراً في نفسه ووجهوه الوجهة التي اختاروها، واختارها لنفسه منهم:

شهاب الدين القوصي[٥]، وهناك أسماء مشايخ أجازوا له كأبي الطاهر بن عوف[٦]، والحافظ السلفي[٧] إضافة إلى مهذب الدين بن الحاجب[٨]، وأبو الحسن بن علي بن أبي علي بن

١- الحنبلي: شفاء القلوب، ص ٣٣٧.

٢- الكيلاني (راشد): حماه تاريخ وحضارة، ص ٢٣٦.

٣- حمص: من الإقليم الرابع، وهي من قواعد الشام وبظاهرها يجري النهر المقلوب وهو نهر الأرنط ولهم عليه أجنة حسنة وكروم؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٦٠ ــ ٢٦١.

٤- الكيلاني (راشد): المرجع السالف، ص ٢٣٦.

٥- شهاب الدين القوصي: إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن بن مُرَجّى بن المؤمل بن محمد الأنصاري، الخزرجي، المصري القوصي، الشافعي، نزيل دمشق، ولد سنة ٥٧٤ هـ / ١١٧٨م، كان فاضلاً، أديباً، مدرساً، إخبارياً، له كتاب (الدر الثمين في شرح آمين) توفي سنة ٦٥٣ هـ / ١٢٥٥م؛ الذهبي: سير اعلام النبلاء، ج٢٣، ص ٢٨٨ ــ ٢٨٩.

٦- لم أعثر له على ترجمة.

٧- الحافظ السلفي: أحمد بن محمد بن أحمد، الإمام، المحدث المسند، الحافظ، الكبير أبو طاهر الأصبهاني الحرواني الإسكندري، الشافعي ولد سنة ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢م، له مؤلفات حديثية ومعاجم ورواية للحديث، وتوفي سنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠م؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ١٥٠.

٨- لم أعثر له على ترجمة.

محمد بن سالم التغلبي الملقب سيف الدين الآمدي، الفقيه، الحنبلي ثم الشافعي[١] الذي قطن حماه وصنف في أصول الفقه والدين والمنطق والحكمة، وقد واظب ابن شاهنشاه على حضور مجلسه، والاشتغال عليه بجميع فنونه، وقد توفي الآمدي سنة ٦٣١ هـ / ١٢٣٣م[٢].

ومن المؤكد أن عدد شيوخه وتلامذته كان أكثر من ذلك إلا أن هذا ما ذكرته المصادر مكتفية بالقول أنه كان في خدمته ما يناهز مئتي متعمم من الفقهاء، والأدباء، النحاة، والمشتغلين بالحكمة، المنجمين لتنتهي بعد ذلك مسيرة ابن شاهنشاه العلمية والسياسية نتيجة إصابته بحمى حادة وورم في دماغه، واستمر مرضه إحدى وعشرين يوماً توفي بعدها في قلعة حماه سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠م[٣]، واستمرت دولته ثلاثين سنة.

ب ــ مصنفاته:

دفع ذكاء ابن شاهنشاه وغنى معارفه وثقافته الموسوعية إلى تصنيف عدد من الكتب رغم انشغاله بالأمور السياسية والمناصب التي تولاها أما ما ذكرته المصادر من مصنفاته فهي طبقات الشعراء، ومضمار الحقائق وسر الخلائق.

مضمار الحقائق وسر الخلائق: وقد اختلفت الروايات في شخصية كاتبه فبعضها ذكرت بأن محمد بن تقي الدين عمر ألفه حيث جمعه من كتب التاريخ، وزاد فيه أسماء من ورد عليه، وأقام عنده ورتب وقائع أحداثه على السنين أي أنه كان شاهد عيان على بعض الحوادث الواردة فيه، وبعضها الآخر نسبته إلى أحد العلماء المعاصرين لـــ ابن شاهنشاه دون ذكر اسم العالم مكتفين بالقول: (وصاحبه أعلم بحاله)[٤]، وهذا الكلام مبني على الافتراض والظن لأنه بالمقابل هناك علماء آخرون أكدوا نسبة الكتاب لـــ ابن شاهنشاه مثل أبو الفداء[٥]، ابن العماد

١- الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص ١٤٤ ــ ١٤٥.

٢- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص ٣٦٤ ــ ٣٦٦، اليافعي: مرآة الجنان ، ج٤، ص ٧٤ ــ ٧٥- ابن العماد الحنبلي: المصدر السالف، ج٥، ص ١٤٤ ــ ١٤٥- ابن الغزي: ديوان الإسلام، ج١، ص ٧٦ ــ ٧٧.

٣- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٤، ص ٧٧ ــ ٨٦- الذهبي: المصدر السالف، ج٢٢، ص١٤٦ــ١٤٧ــالكتبي: فوات الوفيات، ج٤، ص ١٢- الصفدي (صلاح الدين بن أيبك الصفدي ت٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، اعتناء س: دريدينغ، دار النشر فرانزشتاينز بفسبادن، ج٤، ١٣٩٤ هـ ــ ١٩٧٤م، ص ٢٥٩.

٤- حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ١٧١٢ ــ ١٧١٣.

٥- المختصر، ج٣، ص ١٢٥.

الحنبلي[1]، شهاب الدين القوصي حيث قال: (قرأت عليه قطعة من كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق، وهو كبير نفيس، يدل على فضله، لم يسبق إلى مثله)[2]

ومن المؤكد أن الكتاب منسوب إليه لأنه يكثر من قول: (والدي الملك المظفر)، وإذا قيل إن الكتاب من تأليف ولد آخر لـــ (تقي الدين عمر) غير ابن شاهنشاه فهذا غير صحيح لانه كان له ثلاثة أولاد، هم: ابن شاهنشاه محمد الأيوبي توفي سنة ٦١٧ هـــ / ١٢٢٠م وأحمد الذي استشهد سنة ٥٧٣ هـــ / ١١٧٨م، بينما كان ابنه الثالث سعد الدين شاهنشاه في أسر الصليبيين عندما جرى تدوين معظم أحداث الكتاب، كما جاء في بعض الكتاب أنّ مؤلفه كان نائب المظفر بمصر سنة ٥٨١ هـــ / ١١٨٥م، وما من ولد للمظفر تولى النيابة عنه سوى ابنه المنصور محمد، وهذا كاف ليقطع الشك باليقين في نسبة الكتاب لـــ محمد بن تقي الدين عمر[3].

وقد وردت في صفحات الكتاب بعض العبارات التي يمكن من خلالها أن يرجح أنه قد كتب أو دون معظمه بعد سنة ٥٨٩ هـــ / ١١٩٣م، منها ترحم المؤلف على والده إذ يقول في شأن معركة مرج عيون (ذكر سبب غيبة والدي الملك المظفر سقى الله عهوده الرضوان) ثم يقول في الموضع نفسه (والدي المظفر رحمه الله)، واستنزال الرحمة عليه دليل جازم على وفاته مما يؤكد أن هذه الأحداث كتبت بعد وفاته[4].

محتوى كتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق:

كتاب يتناول حقبة زمنية واسعة إلا أن مـــا ســـلم مـــن عاديـــات الـــزمن يبـــدأ مـــن ســـنة ٥٧٥هـــ/١١٧٩م وينتهي سنة ٥٨٢ هـــ / ١١٨٦م[5].

عرض في ٢٣٨ صفحة اهتم المؤرخ في هذا المصنف بالحديث عن الخلافة العباسية وما آلت إليه من الضعف والفساد، وتحدث أيضاً عن الدولة الأيوبية شارحاً لأهم الأحداث العسكرية

١- شذرات الذهب، ج٥، ص ٧٧ ــ ٧٨.

٢- الكتبي: فوات الوفيات، ج٤، ص ١٢.

٣- ابن شاهنشاه: المضمار، المقدمة في ص (ط) ، (ي) ، (ك).

٤- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ١٨ ــ ٢٤.

٥- هذا الكتاب تحقيق حسن حبشي، ولا توجد منه سوى نسخة واحدة معروفة حتى الآن بالمكتبـــة الأحمديـــة بتونس رقم ٤٩٣٨، تقع في مائة ورقة، مسطرة ١٧ سطراً، كتبت بخط نسخ قديم، اعتمد عليها في التحقيـــق ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق ، المقدمة في ص (ل).

التي حدثت بالشام ومصر فذكر هجوم صلاح الدين الأيوبي على بيت الأحزان[١] وتحقيقه النصر[٢].

وتظهر من خلال الكتاب علاقات العداء مع الإمارات الصليبية واضحة نتيجة الحروب المستمرة معهم والسيطرة العربية الإسلامية على أجزاء واسعة من ممتلكاتهم[٣].

كما استفاض المؤلف في شرح معارك شرف الدين قراقوش المظفري في المغرب، إضافةً إلى وصف حروبه مع الموحدين وترحاله إلى بلاد إفريقية[٤].

ومما أشار إليه المؤرخ أيضاً السفارات بحيث ذكر سفارة ضياء الدين القاسم[٥] بن الشهرزوي التي أرسلت من قبل الناصر صلاح الدين إلى مدينة السلام بغداد وذكر المؤرخ بعض الأخبار الاجتماعية ومن الأمثلة على ذلك الأوبئة التي أصابت بغداد سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م[٦]، الاحتفالات وخاصة استقبال العيد والخروج إلى الفرجة والتنزه، وحضورالسلطان لمراسيمه[٧]، وإلى جانب هذه الأمور ذكر بعض المفاسد الاجتماعية من سرقات ورشاوي أو غيرها، وضرب أمثلة على ذلك منها (بذل أبو السعود بن جعفر[٨] ألفاً وخمسمائة دينار على أن يكون حاجب الحجاب فأذن له في ذلك)[٩].

ولم يقتصر تأريخه على الحياة السياسية والاجتماعية بل تعداها إلى الحياة الاقتصادية بحيث لم يخل كتابه من بعض الومضات الاقتصادية منها غلاء الأسعار بالعراق سنة ٥٧٥ هـ /

١- بيت الأحزان: بلد بين دمشق والساحل سمي بذلك لأنهم زعموا أنه كان مسكن يعقوب عليه السلام أيام فراقه ليوسف عليه السلام، وأعاد الفرنج بناءه، وأقاموا حصناً حصيناً؛الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٨.

٢- ابن شاهنشاه: المضمار، ص ١٨ ــ ٣٣.

٣- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ٩٤ ــ ١٠٧، ص ١٣٦ ــ ١٤٧، ٢٢٢ ــ ٢٢٤.

٤- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ٦٧ ــ ٧٢، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٤، ص ٢٢٩ ــ ٢٣٠.

٥- ضياء الدين القاسم بن الشهرزوري: ضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن القاضي تاج الدين أبي طاهر يحيى بن عبد الله ولد سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م . تولى القضاء ونظر الأوقاف بدمشق ، والقضاء بالموصل ، كما تولى القضاء بمدينة حماه ، وتوفي سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م ونقل إلى دمشق ودفن فيها ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥ .

٦- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ٧٨ ــ ٧٩.

٧- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ٣، ١٧، ١٥٤.

٨- لم أعثر على ترجمة.

٩- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ١٦٩.

١١٧٩م[١]، والإقطاع ولكن من دون أن يحدد معناه أو حتى يذكر قيمته أو نوعه، فاكتفى بذكر الإقطاع، ولمن أعطي ومن الأمثلة على ذلك (اقطع أل تنبه الشطرنجي واسطاً ...، أعطى قيطرمش شحنكية بغداد ... أجمع ... أعطى الخليفة طغرل الخاص البصرة ...)[٢].

كما استخدم في مصنفه العديد من المصطلحات الغير عربية مثل خركاه، الجاندارية[٣]، شحنكية بغداد.

لكل كتاب أهمية خاصة يتميز بها عن الكتب الأخرى، أما كتاب ابن شاهنشاه الايوبي فيلاحظ:

١ ــ بأنه هام جداً وتبرز أهميته التاريخية في أن مؤلِّفه عاصر الأحداث فكان شاهد عيان لا بل شارك فيها في بعض الأحيان.

٢ ــ احتواء الكتاب على معلومات هامة من مصدر صانع لها، وعلى إطّلاع واسع بها فأورد أخباراً وأسراراً لا تتوفر لغيره، وقدم مادة جيدة ومعلومات اجتماعية مهمة، وبذلك يكون الكتاب عموماً بمستوى عالٍ من الجودة، وشامل لتغطيته جميع مناحي الحياة إدارياً، وسياسياً، اقتصادياً، اجتماعياً.

٣ ــ أظهر الكتاب بعض المؤرخين الذين كانوا سلاطين ومفكرين وشعراء، وهذا يدل على الاهتمام الكبير بالعلم ورعايته ودفعه لأنه من أسباب ارتقاء المجتمع وازدهاره.

ولم يكن مضمار الحقائق هو المصنف الوحيد له، وإنما كان له مصنف آخر يدعى **طبقات الشعراء**: واسمه الكامل هو (أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك وطبقات الشعراء المتقدمين من الجاهلية والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين) وهذا الكتاب هام وشامل لأنه عبارة عن معجم ضخم دون في عشر مجلدات فيه الكثير ممن طواهم النسيان لضياع آثارهم لولا ما ادخره (الطبقات).

١- ابن شاهنشاه: المضمار ، ص ٣ ــ ٤.

٢- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ١٤.

٣- جاندار: كلمة جاندار، لفظ مركب من (جان) التركية، وهي بمعنى روح، و (دار) الفارسية بمعنى مالك أو صاحب وأمير، وجاندار لقب موظف من العصرين الأيوبي والمملوكي من مرتبة أمراء الطبلخاناه، مهمته تنظيم دخول الأمراء على السلطان وتقديم البريد له مع الدوادار الذي يعمل بإمرته صنف من العسكر يعرفون باسم برددارية أو جاندارية، انحصر عملهم عند مباشري الديوان؛ الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص ٤٣ ــ ٤٤.

جـــ ــ منهجه في التأريخ:

وعند تركيز الباحث أو القارئ في كتب ابن شاهنشاه وتحليل أسلوبه ومنهجه في التدوين التاريخي يلاحظ أنه اعتمد في منهجه الأسلوب الحولي حيث رتب وقائع الأحداث على السنين، واهتم بالتأريخ للخلفاء العباسيين حيث كان للخلافة في بغداد تقدير عظيم في نفسه رغم ما كانت تمر به من تدهور، فضم الكتاب مواضيع متنوعة تتعلق بالخلافة العباسية تمثل صورة مظلمة قاتمة كالحياة اليومية للخلفاء مثل اهتمام الخليفة بالتنزه في دجلة[١]. كما اهتم بالتأريخ للسلطة الأيوبية حيث رسم صورة مشرقة عن صلاح الدين وجهاده، ونظراً لأهمية حملة قراقوش المظفري[٢]. على بلاد المغرب، فقد اتخذها عنواناً رئيسياً ختم بها أحداث كل سنة وكتب عنها تأريخاً دقيقاً يكاد يكون يومياً.

واستخدم أيضاً ضمير المتكلم في أكثر من موضع، ومن الأمثلة على ذلك (والدي الملك المظفر) وأشار إلى اشتراكه في بعض الغزوات ودونها بدقة فيقول: (ذكر مسيرنا إلى الرها وفتحها ولما وصلنا إلى الرها ...)[٣].

وقد كان المؤلف لا يثبت خبراً إلا ويذكر المصدر الذي أخذه عنه واستقاه منه ولا يسرد حديثاً أو حكاية إلا وكتب موثقاً قوله: (قال لي ...، حكى لي بعض أصحابي ممن أثق به بعدما أقسم بالله، حكى ... صاحب باب المراتب عن أستاذ الدار ... بأنه سمع من الخليفة أنه قال ...)[٤]. إلى غير ذلك من العبارات التي يستخدمها المؤرخون والمحدثون والثقاة لتوثيق أقوالهم ونقولاتهم.

١- ابن شاهنشاه: المضمار، ص ٣٩ ــ ٤٠.

٢- قراقوش المظفري: الأمير الكبير الخادم بهاء الدين الأبيض فتى الملك أسد الدين شيركوه، وقد وضعوا عليه خرافات لا تصح، ولولا وثوق صلاح الدين بعقله، لما سلم إليه عكا وغيرها، وكانت له رغبة في الخير وآثار حسنة، أسر في عكا ففداه السلطان بستين ألف دينار، وهو الذي بنى قلعة القاهرة والسور على مصر والقاهرة والقنطرة التي عند الأهرام، وله مع المصريين وقفات عجيبة حتى وضعوا له كتاب (الفافوش في أحكام قراقوش) ت سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢م ؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٦، ص٥٤١.

٣- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ١٠٥.

٤- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ٢٦، ٥٤، ١١٥.

كما اعتمد ابن شاهنشاه الأيوبي مذهب النقد التاريخي، فهو يدون الحدث، ويذكر سبب حدوثه أي يعلله ويفسر مضمونه، ويهتم ويدقق بصحة المعلومات ويمحصها ويرجح الصحيح منها، وهذا ناجم عن عنايته الفائقة بدقة الرواية وشدة كلفه بها[١].

ومما يلاحظ أن المؤرخ أكثر في كتابه من إيراد الوثائق الهامة، وذلك ربما يعود لمكانته فهو ابن صاحب حماه، ثم أصبح ملكها بعد أبيه، مما أتاح له سهولة الإطلاع على الوثائق ووظف مادتها بحيث استفاد منها وبهذا فهو مؤرخ رسمي للدولة[٢].

وامتاز أسلوب الكتابة عنده بالصراحة والتركيز والتناسق إذ قدم معلومات واقعية متزنة فيها استقصاء وجري وراء الحقيقة، كذلك لم يقتصر أسلوبه على معالجة الخبر التاريخي من حيث محتواه بل تعداه إلى لغة الكتابة، وتدل كتابته أنه كان كثير الاعتناء بعبارته وجمال صياغتها، ووضوحها وعكس اهتمامه بالأدب والشعر على كتابته حيث استخدم الشعر كوسيلة لتدوين الحدث التاريخي وتوثيقه، وإذا استحسن قصيدة سرعان ما يوردها بكاملها كما في قصيدة سبط ابن التعاويذي[٣] في تهنئة الناصر لدين الله، حين تولى الخلافة وهي تقع في اثنتين وخمسين بيتاً، وتظهر معرفته للأدب والشعر من خلال حكمه على ابن التعاويذي فوصفه (بأنه من أفاضل الشعراء المقدمين)[٤] كما ذكر أبياتاً لابن الساعاتي[٥] في مدح صلاح الدين منها:

بحـــدّك أعطـــافُ القنـــا تتعطَّـــفُ ... وَطرْفُ الأعـــادي دونَ مجـــدِكَ يُطَـــرفُ
شهابُ هدىً في ظلمـــةِ الشـــكِّ ثاقـــبٌ ... وســـيفٌ، إذا مـــا هـــزّكَ اللُّـــه مرهـــفُ
وقفتَ على حُصـــنِ المخـــاضِ وإنّـــهُ ... لَموقَـــفُ حَـــقٍّ لا يوازيـــهِ موقـــفُ[٦]

١- ابن شاهنشاه: المضمار، ص ١١٢ ــ ١١٣، ١٦٢ ــ ١٦٣.

٢- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ٦٢ ــ ٦٣، ١٤٧ ــ ١٤٩، ١٥٥ ــ ١٥٨، ١٦٣ ــ ١٦٤، ٢٠٧ ــ ٢١٧، ٢٣٤.

٣- سبط بن التعاويذي: أبو الفتح محمد بن عبيد الله التعاويذي البغدادي، الأديب، كان رئيساً للشـــعراء كاتبـــاً بديوان المقاطعات، وديوانه مجلدان، عاش خمساً وستين سنة، وتوفي سنة ٥٨٤ هـــ / ١١٨٨م ؛ الـــذهبي: النبلاء، ج٢١، ص ١٧٥ ــ ١٧٦.

٤- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ٦، ٨ ــ ٩.

٥- أبو الحسن علي بن رستم، الملقب بهاء الدين، الشاعر المشهور، وله ديوان شعر يدخل في مجلدين أجـــاد فيه كل الإجادة، توفي بالقاهرة سنة ٦٠٤ هـــ / ١٢٠٧م، ودفن بسفح المقطم ؛الـــذهبي: المصـــدر الســـالف، ج٢١، ص ٤٧١ ــ ٤٧٢.

٦- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ٣٠ ــ ٣١.

أما بالنسبة للتراجم فلم يسر المؤلف على نمط واحد في كتابتها، ربما لأن هدفه كان دفع الحكام للإتعاظ من التاريخ فحيناً كان يذكر الصفات الحسنة، لتكون مثلً يحتذى حيث أشاد بسيرة فخر الدين بن المطلب[١] فدون صفاته، أملاكه، أعماله العمرانية، حسن سيرته بين الناس التي جعلت له مكانة بين الخاصة والعامة[٢] وحيناً أخر الصفات السلبية.

ويبدو أن المؤلف أراد بذكر الصفات الإيجابية والسلبية، أو مثالبه ومناقبه إما ليجعل القادة وغيرهم يسيرون على خطاه، أو ليجعلها عظات للخلف ومثال على ذلك ذكر مقتل ابن العطار[٣] بسبب معاملته السيئة للعامة في سني المحل من منعٍ للبيع العام مما دفع ببعض العامة إلى قطع خنصره وأذنه[٤].

١- فخر الدين بن المطلب كان رجلاً، صالحاً، زاهداً، كثير العبادة والمال بنى مدرسة معروفة بدار الذهب، وعمر رباطاً للصوفية إلى جانبها، كما بنى جامع كبير في الجانب الغربي من بغداد توفي سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣م ؛ ابن شاهنشاه: المضمار، ص ١٣٠ ــ ١٣١.

٢- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ١٣٠ ــ ١٣١.

٣- ابن العطار: ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر بن العطار الحراني، ثم البغدادي كان ذا سطوه، فلما توفي المستضئ تركه الناصر في نظر الخزانة قليلاً ثم أخذه وسجنه نتيجة أعماله وتوفي سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩م ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٨٤ ــ ٨٥.

٤- ابن شاهنشاه: المصدر السالف، ص ١١ ــ ١٢.

٢ ــ ابن أبي الدم ٥٨٣ ــ ٦٤٢ هـ / ١١٨٧ ــ ١١٤٤م

شهاب الدين، أبو اسحاق، إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم المشهور بابن أبي الدم الشافعي، القاضي الحموي نسبةً إلى حماه التي ولد فيها، وولي قضاءها، وتوفي ودفن فيها[١].

ولد ابن أبي الدم في حماه في ٢١ جمادى الأخرة سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م[٢]. ونشأ في جنباتها وأخذ منها معارفه الأولية، وكانت نشأته إسلامية حيث حفظ القرآن، ونال حظاً وفيراً من العلم، وابن أبي الدم علم من أعلام القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وواحد من كبار المؤرخين الثقاة، الذين أرخوا حقبة هامة من حقب التاريخ الإسلامي، كان ابن أبي الدم عالماً، فاضلاً، كبير القدر، بلغ بعلمه وذكائه وجده مكانة عظيمة عند الخلفاء والملوك، وكان محط الأنظار يقصد داره العظماء ويفد إليه الكبراء والشعراء[٣].

وكعادة العلماء في معظم عصور التاريخ فإنه بدأ بالرحلة في طلب العلم فحط رحاله أولاً في بغداد مركز الحضارة وعاصمة الخلافة فأخذ عن كثير من العلماء والفقهاء، وتتلمذ على أيديهم، غادر بعدها إلى القاهرة طالباً لعلم الحديث والفقه فنهل كثيراً من علمائها حتى أصبح من كبار علماء الشافعية[٤].غادر بعدها القاهرة متوجهاً إلى حلب حيث تولى تدريس الحديث بمدارسها، حتى وصل إلى مرتبة علمية أهلته للعودة إلى القاهرة مرة أخرى. لكنه هذه المرة ليس طالباً وإنما محدثاً وأستاذاً، فمكث بها مدة أمضاها بالعطاء والإنتاج[٥].

وعلى الرغم من انشغال القاضي ابن أبي الدم في الشؤون السياسية لكن يبدو أنها لم تكن لتمثل طموحه، ولا ترضي نزعاته المتعطشة للقراءة والإطلاع، فقضى حياته ينهل العلم ويتعلم الحديث ويتفقه على المذهب الشافعي حتى صار إماماً فيه، وكان صاحب حلقه وطلاب، ويبدو هذا واضحاً من مقدمة كتابه الدرر المنظومات (وأن جماعة من أصحابه المشتغلين عليه بعلم المذهب الشافعي سألوه وضع كتاب أدب القضاء ....، والإشتغال بتصحيح المذهب

١- ابن أبي الدم (شهاب الدين إبراهيم ت ٦٤٢ هـ): أدب القضاء أو الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات تحقيق محمد مصطفى الزحيلي، د . ت، د. م ، ص ١١.

٢- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص ٣٧٠ ــ ٣٧١.

٣- ابن أبي الدم: أدب القضاء، ص ١١.

٤- ابن أبي الدم (شهاب الدين إبراهيم ت ٦٤٢ هـ) : التاريخ الإسلامي المعروف بالتاريخ المظفري، تحقيق حامد زيان غانم زيان، القاهرة، دار الثقافة للنشر، ١٩٨٩م، ص ٤ابن العماد الحنبلي: المصدر السالف، ج٧، ص ٣٧٠ ــ ٣٧١،.

٥- ابن أبي الدم: التاريخ المظفري، ص ٤.

وتحقيقه...، وأن علم المذهب هو المرتبة العليا وتحصيله هو المنيه القصوى إذ هو النافع في الدنيا والآخرة)[1].

كما تنقل في عدد من مدن بلاد الشام وعلّم بها، ثم عاد أخيراً إلى حماه مسقط رأسه فعين قاضياً ونشر علمه على أهلها، وسكن بها ولم يفارقها إلى أن توفي في منتصف جمادى الأخرة سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤م[2].

والواضح أن ابن أبي الدم كان من المؤرخين الكبار الذين عرفهم ذلك الزمان، فكان موسوعي المعرفة والعلوم ينهل من بحورها، وقد دفعه طموحه ليناقش في شتى العلوم، ويحضر أغلب المجالس العلمية، ويطلع على أحداث زمانه، فشكل محطة هامة في الفكر العربي الإسلامي، وفي سير الأحداث التاريخية في عصره، وبرز دور ابن أبي الدم أكثر في عصر المظَّفر الثاني محمود (٦٢٦ ــ ٦٤٢ هـ / ١٢٢٨ ــ ١٢٤٤ م) حيث أصبح سفيره الناطق باسمه إلى شتى الأصقاع، ومن وصل إلى هذا المقام يشار إليهم بالبنان.

أ ــ شيوخه وتلامذته:

كان شيوخه من جهابذة ومفكري عصره، وكان لهم وزن سياسي إضافة إلى مكانتهم العلمية وأشهر هؤلاء على الإطلاق العماد الأصفهاني وابن الجوزي. أما **العماد الأصفهاني**: محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني العلامة، الكاتب، الناثر، الوزير، المعروف بالعماد الكاتب، ولد بأصفهان[3] سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥م[4]. كانت نشأته بها علمية حيث تلقى العلوم في بيت الرئاسة، ثم ارتحل إلى بغداد مع أبيه وتعلم في النظامية خلال إقامته فيها، ثم رجع إلى

١- ابن أبي الدم: أدب القضاء، ص ١٠٠.

٢- ابو الفداء: المختصر، ج٣، ص ١٧٣- الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص ١٢٥ ــ ١٢٦- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢، ص ٢٥٥- - الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٦، ص ٣٣ ــ ٣٤- الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص ٣٧ ــ ٣٨- السبكي (عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ت ٧٧١ هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، ط٢، ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٢م، ج٩، ص ١١٥- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص ٣٧٠ ــ ٣٧١- مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢، ص ٢٥٦ ــ ٢٥٧- مصطفى: في التاريخ الشامي، دمشق، دار طلاس، ط١، ١٩٩٨م، ص٤٢- مصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، بيروت ــ لبنان، دار العلم للملايين، ط١٧،ج١، ص ٤٩- زيدان (جرجي): تاريخ آداب اللغة العربية، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ج٣، ١٩٦٧م، ص ٨٥.

٣- أصبهان: من الإقليم الثالث من بلاد الجبل وأصفهان في نهاية الجبل من جهة الجنوب، وهي من أخصب البلاد وأوسعها ؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٤٢٣.

٤- ابن العماد الحنبلي: المصدر السالف، ج٤، ص ٣٣٢.

أصبهان سنة ٥٤٣ هـ /١١٤٨م ليتركها بعد خمس سنوات نهائياً، ويعود إلى مركز الحضارة بغداد، ويبدو أن تألق دولة الأتابكة ورغبته في العمل السياسي شده إلى الشام فدخل في خدمة نور الدين محمود سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٧م. ثم في خدمة صلاح الدين الأيوبي بعده، فقضى زهرة عمره كاتباً ومدرساً وصاحب حل وترحال لكلا السلطانين، وطاف في عدد من البلدان خلال هذه المدة لكن مقامه استقر في دمشق[١] وفيها دون معظم مؤلفاته عند انسحابه من السياسية عقب وفاة صلاح الدين الأيوبي والتي تعد مصادر قيمة في الأدب والتاريخ منها: (نصرة الفطرة وعصرة القطرة)[٢]، (الفتح القسي في الفتح القدسي)[٣]. (عتبى الزمان في عقبى الحدثان)[٤].

عاصر القاضي ابن أبي الدم خاصة في مرحلة الشباب، واستفاد من علمه وكتاباته توفي بدمشق سنة ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م[٥].

وإذا كان الأصفهاني قد احتل مكانة عالية في حياة ابن أبي الدم العلمية فمن هي الشخصية الأخرى التي ضاهتها أهمية؟

إنه عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي، الإمام والعلامة يكنى بأبي الفرج، وكان يلقب وهو صغير بالمبارك، ثم لقب جمال الدين، ولد ببغداد سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م تقريباً، كان يتحلى بأجمل الصفات منها: شغفه لطلب العلم مهما بذل من جهد وعناء للحصول عليه بحيث لم يكن في زمانه من يجاريه في علم الكلام.

١- مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٢، ص ٤٨٥ ــ ٤٨٦.

٢- دون فيه أخبار الدولة السلجوقية ووزراءها، وهذا الكتاب مخطوط توجد منه نسخة في المكتبة الوطنية بباريس وأخرى في البودليان بأكسفورد ؛ مصطفى: المرجع السالف ، ج٢، ص ٤٨٥ ــ ٤٨٦.

٣- أرخ به انتصارات صلاح الدين مبتدئاً بحطين وبيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧م، حتى سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٣م، وهذا الكتاب مطبوع عدة مرات، كان أولها في ليدن سنة ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨م ؛ مصطفى: المرجع السالف ، ج٢، ص ٤٨٥ ــ ٤٨٦.

٤- في تاريخ الدولة الأيوبية بعد وفاة صلاح الدين ذيل به على البرق الشامي وهو مفقود ولدى أبي شامه في الروضتين مقتطفات منه؛ مصطفى: المرجع السالف ، ج٢، ص ٤٨٥ ــ ٤٨٦.

٥- العماد الأصفهاني (محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني ت ٥٩٧ هـ): الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح، د ط ، د . ت، ص ٣٣ ــ ٣٤- ابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١٥٩- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٤، ص ٣٣٢- مصطفى: المرجع السالف، ج٢، ص ٤٨٥ ــ ٤٨٦.

ذكر بعض المؤرخين أن مصنفاته زادت على ثلاثمئة مصنف أهمها كتاب: (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك). واظب ابن أبي الدم على حضور مجالسه ببغداد، واستفاد منه نظرياً وعملياً توفي في شهر رمضان سنة ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م[١]، وله من العمر سبعة وثمانون عاماً.

تلامذته:

عاش ابن أبي الدم في عصر حافل بكبار الرجال والعلماء، لذلك فإن تلامذته كثر إلا أن المصادر أغفلت ذكرهم أما أهمهم فهو نسيبه: ابن واصل[٢] الذي يعد من أهم رواد الحركة التأريخية في حماه في تلك الحقبة. وهو الذي رافقه أثناء سفارة ابن أبي الدم إلى بغداد من قبل الملك المظفر محمود صاحب حماه سنة ٦٤١ هـ / ١٢٤٣م، عقب وفاة المستنصر بالله عام ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢م، وتولي ابنه الخليفة المستعصم بالله الخلافة، فلا شك أنه أثناء رحلته أفاد منه الكثير من الأخبار إضافة إلى الخبرة السياسية[٣].

ب ــ مصنفاته:

تمتع ابن أبي الدم بثقافة موسوعية وشخصية علمية متعددة الجوانب، فألف وصنف في علوم مختلفة وترك آثاراً تدل على علمه، ومكانته، فبرزت ثقافته الواسعة من خلال مصنفاته العديدة التي ذكرتها المصادر إلا أن بعض هذه المؤلفات فقد ولم يصل إلينا والبعض الآخر مخطوط، ويحتاج لمن ينفض عنه غبار السنين ويحققه وأهم مؤلفاته هي:

١ ــ شرح مشكل الوسيط للغزالي:

وله تكملة معروفة أو موسومة بـ (المطلب العالي في شرح الغزالي) وهي لنجم الدين أحمد ابن محمد المعروف بابن الرفعة[٤] المتوفي سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠م، وتتألف مع شرح مشكل

١- ابن الجوزي (أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧ هـ): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، بيروت ــ لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٣م، ص ١٣ ــ ١٤- ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن الواحد الشيباني ت ٦٣٠ هـ): الكامل في التاريخ راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، بيروت ــ لبنان، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥ هـ ــ ١٩٩٥م، مج١٠، ص ٢٧٦- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٤٠ ــ ١٤١- ابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص ١٥٩.

٢- سيتم التحدث عنه في ص٩٦ ــ ٩٧ .

٣- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ص ١٢.

٤- ابن الرفعة: الشيخ، الإمام، العلامة، نجم الدين، أحمد بن محمد بن الرفعة العباسي، النجاري، كان إماماً في الفقه له شرح (التنبيه) و(شكل الوسيط) كان مكيناً في الفتوى توفي ليلة الجمعة الثامن عشر من رجب سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠م ؛البرزالي: المقتفى، ج٢، ق١، ص ٤٨٣.

الوسيط بما يزيد عن ستة وعشرين[١] جزءاً وهذا الكتاب يأتي تتويجاً لاشتغاله بالمذهب الشافعي بحثاً وتدريساً.

٢) أدب القضاء وعنوانه (الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات)[٢].

٣) تدقيق العناية في تحقيق الرواية[٣].

٤) إيضاح الأغاليط الموجودة في الوسيط[٤].

٥) الفرق الإسلامية[٥]: وهو مفقود كـــ كتاب منفرد لكن هناك نقول منه في كتابات بعض المؤرخين كالصفدي الذي اعتمد عليه في كتابه الوافي بالوفيات.

٦) الفتاوى[٦].

٧) التاريخ الإسلامي أو الموسوم بـــ (التاريخ المظفري)

ثمة إشكال يتعلق باسم هذا الكتاب فبعضهم أورد أن اسم الكتاب الكبير هو (التاريخ المظفري) بينما آخرون قالوا إن اسمه (التاريخ المقفى)، وما انطبق من إشكال على التاريخ الكبير من ناحية التسمية فإنه انطبق على الصغير فقيل اسمه (الشماريخ في التواريخ) وقيل (التاريخ المظفري) تحدث عن التاريخ الإسلامي من البعثة النبوية[٧] وحتى قتل العباسيين لمروان بن محمد في بوصير من أعمال مصر.

١- الجزء الأول منه موجود بدار الكتب المصرية برقم ٤٢١ فقه تيمور، خط قديم ويوجد منه صورة كاملة في معهد المخطوطات في الجامعة العربية مصور رقم ٢٦٨، فقه شافعي عن مكتبة أحمد الثالث بتركيا ؛ابن أبي الدم: أدب القضاء، ص ١٢.

٢- هذا الكتاب مطبوع، تحقيق محمد مصطفى الزحيلي ؛ابن أبي الدم: أدب القضاء، ص ١١.

٣- هذا الكتاب مخطوط ؛الزركلي: الأعلام، ج١، ص ٤٢، البغدادي (اسماعيل باشا): هدية العارفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، اسطنبول، ١٩٥٦م، مج١، ص١١.

٤- البغدادي: المرجع السالف، مج١، ص١١.

٥- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص ٣٧٠ ــ ٣٧١.

٦- البغدادي: المرجع السالف، مج١، ص ١١.

٧- هذا الكتاب تحقيق حامد زيان غانم زيان اعتمد في التحقيق على ثلاث نسخ مخطوطة ١ ــ النسخة المحفوظة بمكتبة البلدية بالإسكندرية رقم ١٢٩٢ ، تألف من ٢٣ ورقة (وجه وظهر) تحتوي الصفحة على ٢٩ سطر، هناك بعض الصفحات تحتوي على ٢٨ سطر، مقاس ٣٠ × ٢١ سم، تقع في مجلد واحد مكتوبة بخط نسخ بدون تاريخ. ٢ ــ النسخة المحفوظة بمكتبة خدابخش بتنة رقم ٣٨٦٨، عدد أوراقها ٢٠٠ ورقة (وجه وظهر) تحتوي كل صفحة على ١٥ سطر مقاس ١٨×١٢ سم مكتوبة بخط عادي. ٣ ــ النسخة المحفوظة بمكتبة خدابخش بتنه أيضاً رقم ٣٨٦٩، عدد أوراقها ٢٨ ورقة (وجه وظهر) تحتوي كل صفحة على ١٥ سطر مقاس ٢١ × ١٠.٥ سم هي منسوخة بخط نسخ عادي، اتخذت النسخة الأولى أصلاً في التحقيق والنسختين التاليتين للمقارنة ؛ ابن أبي الدم: التاريخ المظفري، ص ١٤ – ١٦.

ولهذا الكتاب سمات عدة أهمها:

١. جاء بمعلومات هامة بدون استطرادات وتفصيلات كباقي كتب التاريخ العامة.
٢. قلة اهتمام المؤلف في تفصيل سير المعارك، وصف الجيوش، أعدادها إلا إذا اضطر إلى ذكرها لإثبات صحة رأي معين.
٣. اعتناء المؤلف بسير الخلفاء، الملوك، القادة، مبيناً كافة الجوانب الإيجابية والسلبية في سياستهم ويظهر تعمده ذلك حتى تكسب الفائدة والعبرة من كتابه الذي أراد تقديمه هدية للملك المظفر ليستعين بتجارب من سبقه من الملوك والحكام.
٤. ركز ابن أبي الدم على إيضاح دور العلماء، والفقهاء، القضاة داخل الدولة الإسلامية وأراد من ذلك أن يؤكد للملك المظفر محمود بطريقة علمية إن الاهتمام بالعلم والعلماء يدفع عجلة التطور نحو الأمام.
٥. احتواء الكتاب بعض الطرائف المستحسنة لبعض الشعراء، الظرفاء، البخلاء وذلك ليجلب السرور على قلب المظفر من جهة، والعبرة والموعظة من جهة أخرى[١].

يحتوي الكتاب ٣٤٦ صفحة تحدث فيه عن الرسول (ص) مبتدئاً من نسبه ومولده إلى وفاة أبيه، وأمه، وجده من بعدهما، ثم كفالة عمه أبي طالب له، وخروجه بالتجارة إلى الشام[٢]، وتحدث أيضاً عن البعثة النبوية، وخروج النبي (ص) إلى الطائف[٣]، وبدء إسلام الأنصار، نزول القرآن بمكة، الهجرة إلى المدينة المنورة[٤].

كما تحدث عن خلفاء الرسول (ص) أولهم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) شارحاً لأهم الأحداث في ولايته[٥] وذكر الأحداث في عهد عمر (رضي الله عنه)، ولم يغفل خلافة عثمان (رضي الله عنه)، وأهم الأحداث التي جرت فيها من فتح قبرس[٦]، طبرستان[٧] وغيرها[٨].

١- ابن أبي الدم: التاريخ المظفري، ص ١٤ ــ ١٦.

٢- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ٤٩ ــ ٦٥.

٣- الطائف: تقع من أوائل الإقليم الثاني، من الحجاز تقريباً، والطائف بلدة كبيرة كثيرة الفواكه وهي على ظهر جبل غزوان، وهو أبرد مكان بالحجاز، وهي طيبة الهواء؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٩٥.

٤- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ٦٦ ــ ٨٣.

٥- ابن أبي الدم: المصدر السالف ، ص ١١٧ ــ ١٢٤.

٦- قبرس: جزيرة في بحر الروم ؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، ج٢، ص ٧٧٥ ــ ٧٧٦.

٧- طبرستان: هي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم فمن بلدانها دهستان وجرجان واستراباذ وأفل الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ١٤ ــ ١٦.

٨- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ١٢٥.

وكان التركيز في عهد الخليفة الراشدي الرابع علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) على معركة الجمل وصفين[١].

ثم أوضح انتقال الخلافة إلى البيت الأموي عندما بايع الحسن بن علي بن أبي طالب، معاوية ابن ابي سفيان[٢] على الرغم من اختلاف الروايات وتناقضها حول عدم صحة هذه البيعة، واقتصر حديثه في عهد كل من عبد الملك بن مروان، وابنيه الوليد، وسليمان على ذكر الفتوح والمعارك التي حدثت في عهدهم[٣].

أما عهد عمر بن عبد العزيز فوصف زهده وعبادته ومحاسن أعماله[٤] بينما ركز على مفاسد الوليد بن يزيد ومساوئه الأخلاقية من الشرب وفساد عقيدته[٥].

وانتهى الكتاب بمقتل آخر خليفة أموي مروان بن محمد بعد أن دام حكم الأمويين اثنتين وتسعين سنة، ولم يكن التركيز على النواحي السياسية فقط بل شمل النواحي الاجتماعية والعمرانية، وأهمها المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار. بناء الوليد للبيمارستان ودار الضيافة، إلى جانب إعطائه العميان والمساكين، الأموال وغيرها[٦]، وأهم المظاهر العمرانية بناء مدينة البصرة، الكوفة، توسيع المسجد الحرام إضافةً إلى تشييد عدد من المساجد في جزيرة قبرص بعد فتحها[٧].

من خلال استعراض التاريخ الإسلامي يستنتج:

١ ــ الكتاب جاء مختصراً إلا أن أهميته تبرز في كونه أرخ لحقبة هامة من تاريخ الأمة الإسلامية وهي بدء الدعوة والمصائب والعوائق التي تعرضت لها أثناء نشرها، وهو لم يعاصر هذه الأحداث بل نقلها عن غيره، مع اتباعه طريقة الإسناد في الرواية.

١- ابن أبي الدم: التاريخ المظفري، ص ١٨٣، ١٧٤.
٢- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ١٨٧ ــ ١٨٩.
٣- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ٢٥٦ ــ ٢٦٠.
٤- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ٢٨١ ــ ٢٨٧.
٥- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ٣٣١.
٦- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ٢٦٣ ــ ٢٦٤، ٨٤.
٧- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ١٩٣، ١٤٢، ١٦٠.

٢ ــ معرفة السيرة النبوية لأنها تعد دراسة حركية، سياسية، عسكرية، شخصية، فقهية، واقعية، غيبية، عقائدية، حضارية لشخص جمع في عقله وقلبه الإنسان الملهم، والرسول المختار ليبلغ رسالة الله إلى البشر، إضافة إلى معرفة أحوال المسلمين وتاريخ الدولة الأموية.

٣ ــ وترجع قيمة هذا الكتاب في أنه استطاع أن يجمع بين دفتيه عدداً كبيراً من المصادر التي سبقته والتي عرفها العرب قبله، خاصة تلك المودعة في كتب الحديث والتفسير والسير والمغازي وتاريخ الأحداث والرجال وبالتالي يمكن القول بأن إنتاج ابن أبي الدم يعد غنياً، ومواضيعه شديدة التنوع تعكس ثقافته وعلومه.

ج ــ منهجه في التأريخ:

منهج التأريخ لم يختلف عند ابن أبي الدم عن منهج معظم المؤرخين العرب والإسلام، فالمنهج الحولي كان طريقه الذي سلكه حيث أرخ الأحداث تبعاً للسنوات مبتدئاً بذكر الرسول الكريم (ص)، ثم من بعده ذكر الخلفاء وفق تسلسل السنوات، كما ذكر أحداث بعض السنوات بشكل مختصر جداً يكاد يقتصر على التراجم، وبعضها الآخر لا يذكرها نهائياً[١].

واعتمد طريقة الإسناد في الرواية مما يدل على أمانته العلمية، ودقته في نسبة المعلومات لأصحابها فيقول: (روى مسلم بإسناده عن علي عليه السلام: قال: كفن رسول الله (ص) في ثلاثة أثواب بيض سجولية ...).

(روى سيف بإسناده عن علي عليه السلام قال: ما شئنا نقلب منه عضواً إلا قلب لنا حتى نفرغ منه ...)[٢].

وعلى الرغم أن المؤرخ ابن أبي الدم لم يعاصر الأحداث، إنما أخذها عن غيره فالمصادر التي اعتمدها كثيرة متنوعة منها كتب المغازي والسيرة النبوية، كتب التاريخ، الأخبار، والأنساب، السير والتراجم بأنواعها وأشكالها بالإضافة إلى كتب الحديث والفقه، ويلاحظ اعتماده على مصادر فقدت مما يزيد أهمية تاريخه.

١- ابن أبي الدم: التاريخ المظفري ، سنة ١٠١ هـ، ص ٣٠٤، سنة ١١٧ هـ، ص ٣١١ والأمثلة على ذلك كثيرة.

٢- ابن أبي الدم: المصدر السالف ، ص ٩٣، ٩٤.

كما أن مصادره التي استقى منها لم تكن غامضة وإنما واضحة فيقول مثلاً (ذكر ابن واضح[1]....)[2].

ومما تميز به ابن أبي الدم أنه لم يقبل الروايات كما هي بل كان يذكرها ثم يقارنها مع مصادر أخرى ويبين رأيه في أي الروايات أصح، ويجري النقد عليها، ويذكر آراءه بصراحة في كثير من المواقف فكثيراً ما يقول بعد أن يذكر في إحدى الروايات (وهذا غير صحيح).

وهذا أمر نادر ما يوجد في كتابات الكثير من المؤرخين السابقين عليه أو المعاصرين له الذين اكتفوا فقط بالنقل عمن سبقوهم، على سبيل المثال لا الحصر، عندما تحدث عن الخليفة عمر ابن عبد العزيز يقول: (ذكر ابن واضح في تاريخه قال: نزل عمر بن عبد العزيز، وثلاثة من ولد سليمان في القبر لدفن سليمان فلما تناولوه ليلحدوه تحرك على أيديهم فقال: ولد سليمان تحرك عاش أبونا، ورب الكعبة فقال عمر بل عوجل أبوكم ورب الكعبة وكان من بعض من يطعن على عمر من بني أمية يقول: إنه دفن سليمان حياً، قلت هذا غير صحيح، ومنزلة عمر رضي الله عنه من الدين والإسلام أعظم من أن ينسب إليه شيء من هذا، ولا خلاف بين أهل العلم بهذا الشأن، إن عمر رضي الله عنه ولي الخلافة على كراهة علمها الناس عنه)[3].

إن نقده للروايات يعود إلى غنى معارفه وسعة إطلاعه وتصويبه وترجيحه للصحيح منها.

كما تميز أسلوبه بالسلاسة والوضوح، وانعدام الألفاظ الغريبة إلا في بعض الحالات النادرة عندما وردت بعض الكلمات المنقولة من نصوص أو الواردة ضمن أبيات من الشعر[4].

واتسمت كتابته بحرفية عالية فقد استخدم السجع والشعر ليخاطب به عقول مختلف الفئات الاجتماعية التي تعد الشعر الصورة الحقيقية لمشاعر الناس لذلك كان يستشهد بأبيات شعرية لشعراء عرب مشهورين، فأورد شعر يمدح به الملك المظفر محمود:

فـــلا فضـــيلةٌ إلا مـــن فضـــائِلِهِ ولا غريبـــــةٌ إلا وهـــــو منشـــــأها

١- ابن واضح: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي، كان جـده مـن مـوالي المنصور، وكان رحالة يحب الأسفار، ساح في بلاد الشام شرقاً وغرباً ورحل إلى الهند وعاد إلى مصر وبلاد المغرب، وألف كتاب البلدان وله التاريخ المعروف بالتاريخ اليعقوبي توفي سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م؛ القمـي (عباس): الكنى والألقاب، بيروت ــ لبنان، مؤسسة الوفاء، ط٢، ١٤٠٣ / ١٩٨٣م، ج٣، ص ٣٩٦.

٢- ابن أبي الدم: التاريخ المظفري، ص ٢٥٩.

٣- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ٢٦٧ ــ ٢٦٨.

٤- الأمثلة زيم اسم للحرب، ص ٢٤٠، اللكعاء: الحمقاء من الإماء، ص ٢٤١.

حاز الفخارَ بفضـــلِ العلـــمِ وارَتفعَـــــ تْ بـــــه الممالـــكُ لمَّـــا أنْ تولَّاهـــا[١]

ومن الأمثلة على السجع يقول مثلاً: (وقد كنت فيما مضى من الزمن متشوقاً إلى أن أخدم الجانب العالي الأعظم الأفخم السلطان الملكي المظفري خلد الله سلطانه وأعظم شأنه، بتصنيف كتاب أقص فيه شكر النعمة وأقيم به رسم الخدمة، وأجتني بما أتعاطاه ثمار القبول وأبلغ بتصنيفه غاية المأمول ....)[٢].

لم يعتمد المؤرخ ابن أبي الدم نمطاً واحداً في كتابة التراجم فعندما ترجم للرسول (ص) توسع في ترجمته فذكر أسمائه، كنيته، لقبه، كتابه، زوجاته، أولاده، ملابسه، شمائله، أخلاقه[٣] بينما في بعض التراجم الأخرى كان يقتصر على ذكر مكان الوفاة فيقول: (توفي فلان بالمدينة، توفي فلان بدمشق، قتل فلان بمرو)[٤].

وهنا يمكن التساؤل حول الفرق بين الترجمة والسيرة؟

السيرة النبوية تعد أوسع ما في التراجم وأقدمها ظهوراً فهي المحور الذي تدور حوله حياة الإسلام ونشأته واتساعه، وجرت عادة المؤرخين أن يطلقوا كلمة ترجمة على المؤلف الذي لا يطول الكاتب في ترجمته، وإذا ما استرسل واتسعت الترجمة سميت سيرة، وسمي المؤرخون الذين كتبوا في السير والمغازي بأصحاب السير[٥].

وتوسع المؤرخ في سير العلماء الذين شغلوا دوراً فاعلاً في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية فذكر مثلاً (... توفي فيها الباقر[٦] محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله الله عنهم ...) وأورد اسمه، واسم أبيه، نسبه، كنيته، سبب تسميته الباقر، علمه، صفاته، وحكمته[٧].

١- ابن أبي الدم: التاريخ المظفري ، ص ٥١.

٢- ابن أبي الدم: المصدر السالف ، ص ٥٠.

٣- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ٩٦ ــ ١١٦.

٤- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ١٦١ ــ ١٦٢.

٥- حسن: التراجم والسير، ص ٢٨.

٦- الباقر: محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، الإمـــام، الحبـــر، الحســـيني، التابعي، من فقهاء أهل المدينة وعلمائها، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الإمامية توفي سنة ١١٤ هـــ / ٧٣٢م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص ٤٠١.

٧- ابن أبي الدم: المصدر السالف، ص ٣١١.

٣ ــ ابن واصل ٦٠٤ ــ ٦٩٧ هـ / ١٢٠٧ ــ ١٢٩٧ م

العلامة، المؤرخ، القاضي، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر بن سالم المشهور بابن واصل التميمي الحموي. ولد في حماه سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٧م[١].

تنقل في بلدان عديدة بهدف تحصيل العلم، فبدايةً اصطحبه والده إلى القدس من أجل العبادة وتحصيل العلوم كما قصد مراكز العلم في عصره دمشق، حلب، لنهل العلوم من مصادرها واتصل بعلماء وأمراء مصر، وأقام معهم علاقات واسعة أثناء إقامته فيها، وعين أيضاً مدرساً في الجامع الأقمر[٢] بالقاهرة، إضافة إلى توليه منصب القضاء فيها[٣].

لم تقتصر علاقات ابن واصل على العلماء فقط، بل شملت السلطة السياسية الحاكمة فقد أقام في الكرك[٤] مدة من الزمن في خدمة الملك الناصر داود[٥] الذي أرسل في طلبه مع والده للإقامة في كنفه وذلك في سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١م فوصف الكرك وأهلها أدق وصف وذكر دخول مواكب الملوك إليها[٦].

أرسله السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سفيراً إلى ملك صقلية منفرد بن فردريك الثاني سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥م، فمكث بضيافته مدة طويلة، استغلها بتصنيف موجز في المنطق عنوانه (الأنبرورية) لكنه عرف في الشرق باسم (نخبة الفكر)، كما أثرت رحلاته ومجالسته كبار علماء عصره باتساع معارفه العلمية، الدينية والعقلية على السواء فحصل الكثير من العلوم منها: الأدب، الفقه على مذهب الشافعي، علم الكلام، النحو، العروض، القوافي، الأدب،

١- الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص ٨٥.

٢- الجامع الأقمر: أنشأ هذا الجامع الوزير محمد بن فاتك البطايحي بأمر من الخليفة الآمر بأحكام الله المنصور، ويعرف بالجامع الأقمر ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ٢٩٠ ــ ٢٩٣.

٣- زكار (سهيل): من التاريخ الصالحي لابن واصل ينظر الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، تأليف وتحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٢١، ص٨-٩.

٤- الكرك: هو أحد المعاقل بالشام وهو على أطراف الشام من جهة الحجاز وبين الكرك والشوبك نحو ثلاث ثلاث مراحل ؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧.

٥- الملك الناصر داود عيسى بن أبي بكر العادل الأيوبي ولد بدمشق سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦م، وتولى السلطنة بدمشق بعد وفاة أبيه الملك المعظم عيسى في سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦م، ثم انتقل إلى الكرك بعد سنتين، كان يؤوي العلماء في بلاطه من الحكماء والأطباء والشعراء والأدباء والفلاسفة والكتاب وغيرهم توفي سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م ؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٤٩٦.

٦- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ص ١١.

التاريخ، الفلسفة، المنطق، الهندسة، الطب، الفلك، حتى قيل اشتغل ثلاثين علم وبناء على هذا يمكن أن يطلق عليه العالم الموسوعي[١].

ومثلما أبدى اهتماماً بالتاريخ والأدب فقد اهتم أيضاً بالسياسة، واكتسب خبرته السياسية بفضل عوامل كثيرة على رأسها اتصاله بكبار رجال دولة المماليك الناشئة، وشدة نكبات زمانه، وذكائه الشديد كل ذلك جعله يتجه إلى الإهتمام بالتاريخ دراسة وكتابة فطغى على نشاطاته العلمية الأخرى. بحيث صنف العديد من الكتب[٢].

لقد كان بحق موسوعي الثقافة وبقي حتى وفاته يرفد أهل حماه بعلومه المتنوعة وقد تمتع بذهن متقد وذكاء شديد، نوه به كل الذين كتبوا سيرته وترجموا له، من ذلك يتضح أن ابن واصل مؤرخ عملاق في علاقاته الواسعة مع سلاطين وملوك عصره.

أ ــ شيوخه وتلامذته:

نظراً لترحال ابن واصل الواسع من جهة، وتنوع معارفه من جهة أخرى فلا بد أن شيوخه وأساتذته الذين أخذ العلم عنهم كثيرون، وكان والده أول مدرس لقنه منذ صغره العلوم وذلك بحكم التربية والتنشئة الأسرية وبحكم المرافقة الدائمة لسنوات طويلة بينهم ومن شيوخه أيضاً كان ابن شداد وسبط ابن الجوزي:

فأما **ابن شداد**: يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عتاب الأسدي الشيخ، الإمام، العلامة، قاضي القضاة، الحلبي الأصل، الموصلي المولد والنشأة، الشافعي، الفقيه المشهور بابن شداد نسبةً إلى أخواله الملقب بهاء الدين، كان يكنى أبا العز ثم جعلها أبا المحاسن، ولد بالموصل ليلة العاشر من شهر رمضان سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م[٣].

جعله حبه للعلم يرتحل إلى مناطق عديدة، فتوجه بداية إلى بغداد لينهل من علومها، فتفقه ووصل إلى درجة علمية جعلته محدثاً بمصر ودمشق وحلب، وبرع في تصنيف الكتب ومن أهم مؤلفاته (دلائل الأحكام) و(الموجز الباهر) في الفقه، و(النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين). دون فيه سيرة صلاح الدين الأيوبي، فكان ابن شداد ثقةً،

١- بدوي (أحمد أحمد): الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ط١، د.ت، ص ٢٨٠ ــ ٢٨١.

٢- سيرد ذلك لاحقاً، ص ١٠٠ ــ ١٠٥.

٣- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص٨٩.

حجةً ، عارفاً بأمور الدين، ذا صلاح وعبادة فاشتهر اسمه وذاع صيته وكثر مديحه، وبفضل ذكائه وحنكته دبر أمور الملك بحلب.

قام بأعمال عمرانية حيث أنشأ دار حديث بحلب، ومدرسة بالقرب من باب العراق إضافة إلى دار الحديث النبوي بجانبها، وكان لجماعة مدرسته من الفقهاء في زمانه حرمة تامة ورعاية فقد كانوا يحضرون مجالس السلطان وهذا يدل على علو مكانته لدى السلطان، كما جعل داره خانقاه للصوفية لأنه لم يكن له وارث.

وحضر مجلسه ابن واصل في حلب سنة ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩م، واستفاد منه وأقام بمدرسته التي أنشأها إلى جانب داره نحو سنة وزيادة فلا بد أنه أخذ عنه الكثير خلال هذه المدة. توفي ابن شداد سنة ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤م[١].

أما نبع العطاء العلمي الأخر فهو **سبط ابن الجوزي**: العلامة، الواعظ، المؤرخ شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزا أوغلي بن عبد الله التركي ثم البغدادي، الحنفي سبط الإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي ولد ببغداد سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥م، كان محدثاً مفسراً عارفاً بالفقه، والنحو، واللغة، محباً للشعراء، علامة في التاريخ والسير وبهذه العلوم التي حصل عليها استحق أن يكون مدرساً ففوض إليه التدريس بالمدرسة البدرية[٢].

كما دون عدداً من المؤلفات في الوعظ والتاريخ منها (شرح الجامع الكبير) في مجلدين، و (مرآة الزمان) وهو من أجل الكتب في معناها. حضر ابن واصل مجلس وعظ سبط ابن الجوزي الذي كان يعقده في الجامع الأموي الكبير بدمشق سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م، واستفاد منه، توفي سبط ابن الجوزي سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م[٣].

١- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص ٨٩ ــ ٩١- أبو الفداء: المختصر، ج٣، ص ١٥٦- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢، ص ٢٣٦- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٥، ص ١٥٨ ــ ١٥٩- البغدادي: هدية العارفين، مج٢، ص ٥٥٣ ــ ٥٥٤- كحالة (عمر رضا): معجم المؤلفين، د.م، مكتبة المثنى، د.ت،ج١٣، ص ٢٩٩.

٢- المدرسة البدرية: هذه المدرسة برحبة الأيدمري بالقرب من باب قصر الشوك فيما بينه وبين المشهد الحسيني بناها الأمير بيدمر البدري الأيدمري في سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤م، وتوفي الأمير بيدمر البدري صاحب المدرسة مقتولاً بغزة في أوائل جمادى الآخرة سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م. ؛ المقريزي: الخطط ، مج٤، ص ٥٧.

٣- سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزا أوغلي ت ٦٥٤ هـ): مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق حسان عباس القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٤٠٥ هـ ــ ١٩٨٥م، ص ٢٩، ٣٣، ٣٥- ابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص ٣٥٠- ابن سباط (حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سباط المتوفى بعد ٩٢٦ هـ): صدق الأخبار تاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، طرابلس ــ لبنان، جروس بروس، ط١، ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٣م، ج١، ص ٣٧٩- كحاله: معجم المؤلفين، ج١٣، ص٣٢٤.

بينما توفي ابن واصل في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧م[١] بحماه عن ثلاث وتسعين سنة.

تلامذته:

اتساع معرفة وعلوم ابن واصل إضافةً إلى شهرته ورحلاته العلمية جعلت الكثير من المؤرخين والعلماء يأخذون عنه ومن أهمهم:

١ ـ أبو الفداء[٢]: سيرد لاحقاً الحديث عنه بشكل مفصل.

كان أبو الفداء من تلامذة ابن واصل حيث ذكر في كتابه (ترددت إلى ابن واصل بحماه مراراً كثيرة. وكنت أعرض عليه ما أحله من أشكال الكتاب إقليدس، وأستفيد منه ....)[٣] ومن تلامذته أيضاً ابن الأكفاني[٤]، ابن النفيس[٥] وغيرهم كثر.

١- الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص ٨٥- الصفدي: أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، لبنان- بيروت ، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨م، ج٤، ص ٤٤٦ ـ ٤٤٩، الصفدي: نكت الهيمان في نكت العميان، أشرف على طبعه أحمد زكي بك، مصر، المطبعة الجمالية، ١٣٢٩ هـ ـ ١٩١١م، ص ٢٥٠ ـ ٢٥١- ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ) تذكره النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، ط١، ١٩٧٦م، ج٢، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧- السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج١، ص ٩٩ ـ ١٠٠- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص ٧٦٦- مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٤، ص ٣٤ ـ ٣٦- زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣، ص ١٨١- فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج٣، ص ٦٨٥ ـ ٦٨٩- الزركلي: الأعلام، ج٦، ص ١٣٣- كحالة (عمر رضا): المستدرك على معجم المؤلفين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥ م، ص ١٧٥- برنارد لويس، ب . م هولت، مؤرخو العرب والإسلام حتى العصر الحديث، ترجمة سهيل زكار، دمشق، دار التكوين، ٢٠٠٨م، ص ١٤٨، ١٤٩، سبانو: ملكة حماه، ص ١٨٩.

٢- لمزيد من التفاصيل انظر الصفحة رقم ١٠٩ ـ ١١٠.

٣- أبو الفداء: المختصر، ج٤، ص ٣٨.

٤- محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، السنجاري، المصري، المعروف بابن الأكفاني، زاول صناعة الطب وله العديد من المصنفات منها (نخبة الذخائر في أحوال الجواهر)و (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد) توفي سنة ٧٤٩ هـ / ١٢٤٨م.؛الصفدي: أعيان العصر، ج٤، ص ٢٢٥ ـ ٢٣١.

٥- ابن النفيس: علي بن أبي الحزم، ابن النفيس الدمشقي، شيخ الأطباء في عصره، اشتغل وبرع في الصناعة والعلاج وله العديد من الكتب منها كتاب (الشامل) في الطب و (شرح القانون)، و(المهذب) توفي سنة ٦٨٧ هـ ـ ١٢٨٨م. ؛ ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢، ص ٢٣٤.

ب ــ مصنفاته:

تنوعت مصنفات ابن واصل بتنوع معارفه العلمية، فصنف في علوم عدة كالمنطق، والفلك، والطب والتاريخ، وأصول الدين، والعروض والقوافي أما أهم كتبه فهي:

١ ــ **التاريخ الصالحي**[١]: كتاب هام ألفه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، وربما كتبه له، دون فيه تاريخ الأنبياء والخلفاء إلى أيام الخليفة المستنصر العباسي المعاصر للملك الصالح الأيوبي، وتنتهي حوادثه عند دخول الملك الصالح دمشق سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨م[٢].

٢ ــ **التاريخ الكبير**: أشار ابن واصل إلى هذا التاريخ في كتابه مفرج الكروب، ويحتوي على أخبار الفاطميين والحروب الكثيرة التي قامت بين قراقوش التقوي قائد صلاح الدين، وبين المغاربة وهذا الكتاب مفقود، ولكن من غير المعلوم متى فقد[٣].

٣ ــ **نظم الدرر في التاريخ والسير**: انتهى من تأليفه في رجب سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢م يوجد فيه المجلد الأول مع ثلاث كراسات من المجلد الثاني، ويبدو أن المؤلف توقف عندها ولم يتح له تجاوزها، وهذه النسخة كانت في ملك أحمد عبيد صاحب المكتبة العربية ثم بيعت لأوروبا[٤].

٤ ــ **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**: كتاب يتناول حقبة زمنية واسعة من نشوء دولة بني أيوب ووجود الدولة الأتابكية حتى سنة ٦٦١ هـ / ١٢٦٢م[٥].

وهذا الكتاب يتألف من ستة أجزاء يتناول في الجزء الأول نسب الأيوبيين وابتداء أمر دولتهم حتى وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م.

١- هذا الكتاب لا يزال مخطوط وهو موجود في خزانة فاتح رقم ٤٤٢٤، باستانبول، نسخة في الظاهرية بدمشق رقم ١٩٥، نسخة ثالثة في لينغراد متحف روزن ٦٣، رابعة في غوته رقم ٥٦٣، وتوجد منه نسخة أيضاً في المتحف البريطاني رقم Or ٦٦٥٧؛ مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٤، ص ٣٥.

٢- البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص ١٣٨.

٣- ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص ٢٠٤، ٢٣٦.

٤- مصطفى: المرجع السالف، ج٤، ص ٥٣٥.

٥- حققه كل من جمال الدين الشيال للأجزاء الثلاثة الأولى، ثم حسنين محمد ربيع، سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزئين الرابع والخامس، ليحقق بعد طول انتظار عمر عبد السلام التدمري للجزء السادس وللذيل اعتمد في التحقيق على مخطوطات كل من ١ ــ جامعة كمبردج رقم ١٠٧٩. ٢ ــ نسخة باريس رقم ١٧٠٢ وهي أقل قيمة. ٣ ــ نسخة باريس رقم ١٧٠٣. ٤ ــ نسخة استنبول رقم ١١٩ وهي أقيم النسخ ولقد اعتمد عليها المحققون. ؛ مصطفى: المرجع السالف ، ج٤، ص ٣٦ ــ ٣٧.

ويؤرخ في الجزء الثاني لعهد صلاح الدين من سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٣م حتى وفاته سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣م، ويعرض ابن واصل في الجزء الثالث لأحداث سنوات ٥٩٠ حتى ٦١٥ هـ / ١١٩٣ ـ ١٢١٨م، واستعرض في الجزء الرابع لوقائع حوادث السنوات من ٦١٥ ـ ٦٢٨ هـ / ١٢١٨ ـ ١٢٣٠م، ويعالج في الجزء الخامس أحداث سنوات ٦٢٩ إلى ٦٤٥ هـ / ١٢٣١ ـ ١٢٤٧م.

ويبدأ الجزء السادس بأحداث سنوات ٦٤٦ وينتهي بـ ٦٦١ هـ / ١٢٤٨ ـ ١٢٦٢م وذيل عليه علي بن عبد الرحيم بن أحمد الكاتب المعروف بابن المغيزل (ت ٧٠١ هـ / ١٣٠١م) عن مخطوطة باريس من سنة ٦٦١ هـ ـ ١٢٦٢م / إلى سنة ٦٩٥ هـ ـ ١٢٩٥م.

المحتوى ويتضمن:

يعد كل جزء من أجزاء (مفرج الكروب) تتمه للجزء الذي قبله بحيث يتابع سرد الأحداث فيه متنقلاً من عهد إلى آخر لكن ما يميز الأجزاء الأخيرة من الكتاب أن المؤلف كان معاصراً للأحداث لا بل ومشاركاً فيها أحياناً وهنا يمكن التساؤل على ماذا ركز المؤرخ في مصنفه هل على أسرة بني أيوب، هل ركز على أحداث سياسية اجتماعية، اقتصادية أم ماذا؟

يظهر من خلال الإطلاع على هذا المصنف بأنه كتاب جامع لتاريخ الدولة الأيوبية، ويعد أهم ما صنف لهذه الدولة، ويتضمن التركيز على الأحداث السياسية بدءاً من عهد قسيم الدولة أق سنقر البرسقي[١] وحتى وفاة نور الدين زنكي، مضمناً تلك الأحداث سيرة البرسقي ووفاته، وتولى ابنه عماد الدين وأهم أعماله الحربية وخاصة تحرير الرها سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤م، وركز على الأحداث في عهد نور الدين محمود من فتحه لأفامية، وتل باشر وإعادة فتح الرها، وغيرها من الحوادث في هذه الحقبة[٢].

١- أق سنقر البرسقي: أبو سعيد آق سنقر البرسقي الغازي، الملقب قسيم الدولة سيف الدين صاحب الموصل والرحبة، وهو من كبراء الدولة السلجوقية، وله شهرة كبيرة بينهم قتلته الباطنية، بجامع الموصل يوم الجمعة التاسع من ذي القعدة سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

٢- ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص ٣ ـ ٢٨٠.

ثم تابع سرد الأحداث فأرخ لعهد صلاح الدين، وعلاقاته مع كل من بيزنطة والفرنج وقضاءه على ورثة نور الدين، وتوحيد بلاد الشام ومصر، وركز على موقعة حطين وتحرير صلاح الدين لبقية المناطق المحتلة من قبل الصليبيين[١] مثل عكا[٢]، نابلس[٣]، صيدا[٤] وغيرها.

ولم يغفل أوضاع اليمن السياسية حتى سيطر عليها سيف الإسلام طغتكين[٥].

وأظهر المؤرخ موقف العادل محمد بن أيوب من الصراع الذي نشأ بين أبناء أخيه صلاح الدين بعد وفاته والذي استغله العادل لصالحه فسيطر على حكم مصر، ثم وحد أركان البلاد باستثناء حلب، كما وصف الحملة الصليبية الرابعة التي اتجهت إلى القسطنطينية سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣م، وتطرق للحملة الصليبية الخامسة والصراع مع الفرنج. ووفاة الملك العادل وسيرته، ثم تابع الحديث عن أولاد الملك العادل بعد وفاته واقتسامهم الحكم[٦]. ولم يهمل الحديث عن ظهور المغول في البلاد وتحركاتهم، وعن دولة خوارزم شاه وجلال الدين منكبرتي وحروبه مع المغول، وإقامته في غزنة[٧]. والبلاد التي أصبحت تحت سيطرته وينهي الحديث بمقتله على يد المغول، ويلاحظ عدم اهتمام ابن واصل بالروم قياساً على اهتمامه بالمغول والخوارزمية.

فتحدث عن تزايد خطر المغول والخوارزمية في وقت ساءت فيه العلاقات مع سلاجقة الروم إضافة إلى الكيان الصليبي في بلاد الشام، والذي يؤثر على الأحداث الدائرة في المنطقة وعلى سياسة الحكام والأمراء من بني أيوب[٨]. كما ذكر علاقة الملك الكامل ابن العادل بـ فريدريك وتسليمه القدس سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م[٩].

١- ابن واصل: مفرج الكروب ، ج٢، ص ٨ – ٢١٠.

٢- عكا: اسم بلد على ساحل بحر الشام، من أعمال الأردن؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، ج٢، ص ٩٥٤.

٣- نابلس: مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة ؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٨٨.

٤- صيدا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور ؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٤٨ـ٢٤٩.

٥- ابن واصل: المصدر السالف، ج٣، ص ٢١ ـ ١٩٦.

٦- ابن واصل: المصدر السالف، ج٢، ص ٨ ـ ٢١٠.

٧- غزنة: ولاية واسعة في طرف خراسان بينها وبين بلاد الهند مخصوصة بصحة الهواء وعذوبة الماء وجودة التربة، وهي جبلية شمالية بها خيرات واسعة إلا أن البرد بها شديد جداً؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٤٢.

٨- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٥، ص ٢ ـ ٣٣٤.

٩- ابن واصل: المصدر السالف، ج٤، ص ٢٠ ـ ٣٤٠.

وأفرد جزءاً واسعاً للحديث عن حال الخوارزمية وتحالفهم مع الصالح نجم الدين أيوب حاكم البلاد، كما تحدث عن مرضه في آخر أيامه، واضطراره لمواجهة الحملة السابعة بقيادة لويس التاسع، وإخفاء زوجته أمر وفاته وعقد السلطنة لشجر الدر[١]. وإكمال الحرب مع الفرنج الصليبيين ويصف هزيمتهم وأسر ملكهم وأخذ دمياط منهم.

وذكر زواج المعز عز الدين أيبك من شجر الدر، فأدى ذلك إلى بروز المماليك في مصر. كما استطرد في الحديث عن دخول المغول بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م. وقتلهم للخليفة المستعصم بالله، وما أحدثوه من دمار وهلاك ثم وصف هزيمتهم في معركة عين جالوت بعدها موت قطز وتولي الظاهر بيبرس حكم البلاد[٢].

ولم تسترعِ المظاهر الاجتماعية اهتمام ابن واصل مثل الأوضاع السياسية بل تناولها لماماً فمثلاً ذكر الأوبئة والمجاعات التي أدت إلى فناء أهل دمياط سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م[٣]، والاحتفالات بالأعياد وصف مظاهرها وحضورها من قبل السلاطين. وقيامهم بالشعائر الدينية فيقول: (ولما كان يوم العيد المبارك ركب السلطان، صحبه الخليفة تحت المظلة، وطلبا صلاة العيد، وفي خدمتهما الملوك وسائر الناس، وتوجه كل واحد منهما إلى خيامه، وجلس لأصحابه على طعامه ...) إضافة إلى منع شرب الخمور[٤].

وهنا يمكن التساؤل هل تناول الأوضاع الاجتماعية ليفسر ضمنها الأحداث السياسية والعسكرية؟

من المرجح أن هذا هو الذي هدف إليه فهو مثلاً يسوغ استيلاء الفرنج على دمياط فيقول حدث ذلك نتيجة الجوع والوباء فتمكنوا من السيطرة عليها.

١- شجر الدر: هي الملكة عصمت الدين أم خليل شجر الدر محظية السلطان الصالح نجم الدين أيوب أم ولد السلطان خليل كانت امرأة عاقلة خبيرة بالأمور، ومن أمرها أنها أخفت وفاة زوجها الملك الصالح نجم الدين أيوب، واستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا، وسلمت إليه مقاليد الأمور ثم أساء السيرة فقتلته البحرية بعد سبعين يوماً من ولايته،وبموته انتهت دولة بني أيوب من مصر ثم اجتمع المماليك ونصبوا شجر الدر ملكة عليهم، ثم تزوجها الأمير عز الدين أيبك التركماني، وتنازلت له عن السلطة وكانت مدة حكمها ثمانين يوماً (زينب بنت علي بن حسين فواز العاملي المتوفاة سنة ١٣٣٢ هـ): معجم أعلام النساء، تحقيق منى محمد زيادة الخراط، بيروت ــ لبنان، مؤسسة الريان، ط١، ١٤٢١ هـ ــ ٢٠٠٠م، ص ٤١٩ ــ٤٢٠.

٢- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ص ٣٠ ــ ٣٨٣.

٣- ابن واصل: المصدر السالف، ج٦، ص ٧٤.

٤- ابن واصل: المصدر السالف، ج٦، ص ١٠٩، ٣١٦، ١٥٧.

وإذا كان جل اهتمامه منصباً على الأوضاع السياسية، وأقل منها الاجتماعية فإن الاقتصادية استعرضها ببعض الومضات كغلاء أسعار المماليك، وأسعار المواد الغذائية في دمشق وحلب[١].

وذكر حركة تجار اليمن، ووصولهم من اليمن إلى عيذاب[٢]، وسبب ذلك عدل السلطان وحسن سمعته[٣].

أما الإقطاع فلا يتناوله كقضية زراعية، وعسكرية أو ضمان. إنما يذكره كغنيمة أو مكافأة سياسية فذكر إقطاع العزيزية والناصرية التي كانت في خدمة الملك المعز وكيف أن مقدما العزيزية أقطعوا الإقطاعات الجليلة بالديار المصرية[٤]، مما يعني أن ابن واصل لم يكن يهتم بهذا الأمر، ولم يتناوله إلا توضيحاً لأحداث عسكرية وسياسية، كما تحدث عن الإقطاع في عهد نور الدين[٥].

وكان للإدارة حصة في تأريخه. لكنها اقتصرت على العزل والتعيين وبعض المصطلحات الإدارية مثل الدوادار[٦]، الحوايص[٧]، الجوسق. يمكن القول أن كتاب (مفرج الكروب) حظي بأهمية كبيرة تجلت في سمات متعددة منها:

١. يعد صورة صادقة، ومرآة صافية انعكست عليها أحداثه وسير رجاله، بحيث جمع فيه من الحوادث والأخبار ما يعد فريداً في بابه، دقيقاً في معناه.
٢. انعكس في كتابه أثر مقابلاته للعلماء والمشايخ الذين خالطهم في حله وترحاله، وأخذ عنهم وانتفع بهم، بجانب ما عرف عنه من مزاولة مناصب هامة كالقضاء والتدريس، وأفاد أيضاً من معرفته الشخصية لبعض الملوك كالملك الناصر داود، أثناء خدمته

١- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ص ٣١٥، ٢٤٨.

٢- عيذاب: بلدة على ساحل بحر القلزم، وهي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد ومنها يعدى إلى جدة ؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، ج٢، ص ٩٧٤.

٣- ابن واصل: المصدر السالف، ج٦، ص ٣٣٦.

٤- ابن واصل: المصدر السالف، ج٦، ص ١٧٥.

٥- ابن واصل: المصدر السالف، ج١، ص ٢٨٠.

٦- الدوادار: لقب موظف كانت مهمته تبليغ الرسائل والأوامر الموجهة من السلطان، وتقديم الأوراق والإحالات والأوامر بعد صياغتها للسلطان من أجل الإطلاع عليها وتوقيعها؛ الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص ١٨٦.

٧- الحوايص: مفردها حياصة، وهي حزام كان يتقلده العسكريون في العصرين الأيوبي والمملوكي، أو نطاق يشد به الوسط، كان يتخذ إما من الذهب أو الفضة المطلية بالذهب؛ الخطيب: المرجع السالف،ص١٥٣.

بالكرك، والملك - منفرد بن فردريك- صاحب صقلية ... وغيرهم فوقف على أمور لم يطلع عليها غيره.

٣. إن القيمة التاريخية /لمفرج الكروب/ تكمن بصورة خاصة في الحوادث التي عاصرها ابن واصل فهو بحكم علاقته بالسلاطين، والأمراء، ومشاهداته الشخصية أصبح كتابه مصدراً أصيلاً لكثير من الكتب التي جاءت بعده، وخصوصاً في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، والذين كتبوا عن العصر الأيوبي مثل أبي الفداء، والذهبي، والمقريزي وغيرهم.

ج ــ منهجه في التأريخ:

تنوعت طرائق وأساليب ابن واصل في التأريخ. فقد استخدم الأسلوب السردي في الجزء الأول والثاني من كتابه /مفرج الكروب/ حيث أرخ للأحداث الهامة التي جرت في تلك الحقبة فسرد الأحداث وركز على الشخصيات التي قامت بها، بينما اعتمدت الطريقة الأخرى على التأريخ للمدن الهامة في بلاد الشام، أو التي تمت بعلاقة لموضوعه مثل دمشق، حلب، حمص، حماه، القاهرة، حصن كيفا[١].

وتركزت الثالثة على الاسلوب الحولي. وذلك في الأجزاء المتبقية من الكتاب المذكور والتاريخ الصالحي، وقد كانت مصادره وموارده المعتمدة شديدة الوضوح، غنية جداً، كثيرة التنوع، خصوصاً في المراحل التاريخية السابقة على عصره. وكانت طريقته ذكر اسم المؤلف وعنوان كتابه، أو اسم المؤرخ من دون كتابه لأنه بدوره مشهور ومن الأمثلة على ذلك (ذكر القاضي شهاب الدين أبو شامة في الدولتين في أخبار الروضتين)، و(ذكر عماد الكاتب في كتابه المعروف بالبرق الشامي).

ويبدو أن عناية ابن واصل بذكر مصادره قد جاء نتيجة طبيعة نشأته العلمية وثقافته واهتمامه بالأسانيد[٢]. ومن الواضح أن لابن واصل منهجاً واضحاً يعتمد على النقد، والمقارنة، والمفاضلة بين النصوص واختيار الأفضل والأوثق فهو لا ينقل أخبار الحادثة الواحدة عن مصدر واحد، بل يبدأ النقل عن مصدر ما فيأخذ منه سطوراً ثم ينتقل إلى غيره فينقل سطوراً أخرى، وقد يعود إلى المصدر الأول فيأخذ عنه أو قد يتم النقل عن مصدر ثالث أو رابع

١- حصن كيفا: هي مدينة من ديار بكر وحصن كيفا على دجلة بين جزيرة ابن عمر وميافارقين ؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٨٠ ــ ٢٨١.

٢- ابن واصل: مفرج الكروب، ج١، ص ١٤٧، ١٧٠، ج٢، ص ١٠٠، ٣٢٧.

وهكذا ومن الأمثلة على ذلك ــ تخريب بيت الأحزان ــ حيث ينقل عن ابن الأثير سطوراً ثم ينقل عن العماد الأصفهاني[١].

والمرجح أنه يدون بهذه الطريقة ليثبت تنوع مصادره وإطلاعه على تلك المصادر وليثبت للقارئ أنه ينقل الأصح. فابن واصل لا يقبل الأخبار على علاتها كما وردت في المصادر، بل كان يناقشها عندما يشك أو يشعر بعدم صحتها، وهو أثناء هذا كله يقارن بين النصوص ويشير إلى الفروق بين آراء المؤرخين ويأخذ بالرأي الذي يراه صحيحاً مع تسويغ هذا الاختيار، مثال ذلك: (غلط ابن الأثير في تاريخه ما ذكره عماد الدين في البرق الشامي، وهو أن عسكر سيف الدين في هذه الوقعة كان عشرين ألف فارس ...)[٢].

وهنا يمكن التساؤل: لماذا أقدم ابن واصل على إتباع هذا المنهج؟ هل رآه الأصح أم رأى التنوع هو الاصح أم عدم ثقته بكل ما كتبه المؤرخون؟

ربما كل هذه العوامل دفعته لاتباع هذا الأسلوب ومن خلال منهجه هذا تبدو شخصيته العلمية واضحة، وهي تستند إلى رصيد ثقافي معرفي غني مكنه من تمحيص النصوص وضبطها وترجيح الصحيح وتوثيقها لا بل والاستدراك عليها أيضاً.

وعلى الرغم من انتشار التدوين والتأليف بشكل واسع في عصر ابن واصل، إلا أن الرواية الشفوية ظلت تحتفظ بمكانة جيدة لما تميزت به من خصائص معينة كالدقة والضبط فضلاً عن كونها منهجاً تقليدياً لكبار العلماء وخاصة المحدثين منهم، لذلك كان من الطبيعي أن يعتمد ابن واصل عليها كمورد رئيسي من موارده في تأليفه، فقد أورد الكثير منها مستعملاً ألفاظ المشافهة مثل (حكى لي ....، حكى عماد الدين الكاتب، ... لقد أخبرني، حج أخي ..... أخبرني أخي ....، سمعت والدي رحمه الله يقول ونحن بالبيت المقدس ...)[٣].

وتعود مصادره الشفوية بمعظمها لحوادث عاصرها، واستقاها من الذين شاركوا بالأحداث أو ارتبطوا بها مباشرة بطرق متنوعة كالأمراء، الأجناد، المؤرخين، وساعد في ذلك قربه من السلطة، وتسلمه منصب القضاء.

١- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص ٨١.

٢- ابن واصل: المصدر السالف، ج٢، ص ٨١، ٤٠.

٣- ابن واصل: المصدر السالف، ج٢، ص ٢٣١ ــ ٢٣٢، ج١، ص ١٧٩ ــ ١٩١، ج٦، ص ٣٣٩، ٧٤، ج٥، ص ١١٢.

وقد أورد المؤلف في كتابه نصوصاً عن بعض الوثائق التي تمكن من الإطلاع عليها ووظف مادتها حيث استفاد منها وهذه النصوص تؤكد اطلاعه على وثائق رسمية مثل هزيمة الفرنج في تونس[١] حيث يقول: (وردت إلى السلطان المنصور قدس الله روحه البشرى، بذلك، وأنا يومئذ بخدمته بحماه، ووقفت على كتاب البشرى ... الوارد إليه بذلك ...)[٢]

ويلاحظ استخدامه لضمير المتكلم في أكثر من موضع حيث يقول: (سافرت أنا من حماه لأهنئ الملك الناصر داود بقدومه ... ولازمت خدمته إلى أن سافر إلى الكرك فسافرت معه، وأقمت عنده بالكرك ... ثم سافرت من خدمته ورجعت إلى حماه ...)[٣].

ولم تخل كتاباته التاريخية من مقطوعات شعرية هامة، انفرد بذكرها، ولا توجد في المصادر التاريخية المعاصرة الأخرى مثل قصيدة ابن سنا الملك[٤] التي مطلعها:

وصـــفتكَ واللاجـــئ يعانـــدُ بالعْـــدلِ فكنـــتَ أبـــا ذَّر، وكـــانَ أبـــا جهـــل[٥]

كما أورد عدداً من النصوص دون أن يذكر المورد الذي أخذه عنها، ومن هنا يتبين ثقته بأهل العلم والمؤرخين مثال قال العلماء (وكانت ولادة يحيى بن زكريا عليهما السلام في ملك سابور ابن أزدشير ....)،وذكر بعض المؤرخين (إن الذي غزا بيت المقدس بعد قتل يحيى هو بخت نصر ...)[٦].

أما بالنسبة للتراجم فإن سعتها في هذا الكتاب تختلف الواحدة عن الأخرى فقد لا تزيد عن بضعة أسطر، وقد تبلغ بضعة أوراق، وذلك حسب طبيعة المترجم له، وقيمته العلمية أو الأدبية أو مكانته السياسية من جهة لذلك من الطبيعي أن يوجد اختلاف واضح في محتويات

١- تونس: مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل البحر، عمرت على أنقاض قرطاجنة، وهي علـــى ميلـــين منها وقيل يحيط بسورها ألف ذراع، ويشرب أهلها من آبار ومصانع يجتمع فيها ماء المطر، والمينـــاء فـــي شرقها. ؛ البغدادي: مراصد الإطلاع، ج١، ص ٢٨٢.

٢- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٦، ص ١٣٥.

٣- ابن واصل: المصدر السالف، ج٥، ص ١١٢، ج٦، ص ٧٤.

٤- ابن سنا الملك: القاضي، الأثير، البليغ، المنشئ، أبو القاسم هبة الله بن جعفر بـــن القاضـــي ســـنا الملـــك محمد ابن هبة الله المصري الشاعر، المشهور، توفي في رمضان سنة ٦٠٨ هـــ / ١٢١١ م؛ الذهبي: ســـير أعلام النبلاء، ج٢١، ص ٤٨٠ ــ ٤٨١.

٥- ابن واصل: المصدر السالف، ج٢، ص ١٦٠ ــ ١٦١.

٦- ابن واصل: مخطوط التاريخ الصالحي، موجود في مكتبة الأستاذ الدكتور سهيل زكار، ص ٧٠ ــ ٧١. ٧١.

ترجمة السياسي عن الأديب والأديب عن المحدث أو الفقيه ونحو ذلك، إلا أنه وعلى الرغم من وجود هذا التباين في سعة التراجم، إلا أنه يلاحظ اشتراكها في بعض أو في جميع عناصر الترجمة المتعارف عليها، فعندما يترجم للسلطان أو أية شخصية معروفة يذكر صفاته، أخلاقه، عدد أولاده، أمواله، أبرز إنجازاته البنائية والأخلاقية والسياسية. والواضح أنه استطرد في الترجمة للسلاطين الذين أحسنوا في إدارة الدولة، مثل نور الدين محمود، الملك الصالح نجم الدين أيوب[١]، أما بالنسبة للعلماء فغالباً ما كان يذكر اسم العالم، واسم أبيه ونسبه، ولقبه، وكنيته، ومصنفاته، ومكانته العلمية ومن أمثلة ذلك سبط ابن الجوزي، لكنه لم يتقيد في كتابة الوفيات بنهاية كل سنة[٢].

١- ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص ٢٦٣، ٢٧١، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٥، ج٦، ص٨٠.

٢- ابن واصل: المصدر السالف، ج٦، ص ٨٠.

٤ ــ أبو الفداء ٦٨٢ ــ ٧٣٢ هـ / ١٢٨٣ ــ ١٣٣١م

آخر رواد الحركة الذين تحدث عنهم البحث هو أبو الفداء إسماعيل بن علي، ويعود بنسبه إلى نجم الدين أيوب يكنى أبو الفداء، ويلقب بالصالح، والمؤيد، وعماد الدين، ولد بدار الزنجبيلي بدمشق سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م[١]، حيث التجأ والده إليها خشيةً من المغول وتلقى فيها ثقافته الأولى فنشأ في بيت عريق ألم أفراده بعناصر الثقافة فكان منهم الأدباء والشعراء والملوك أيضاً ومنذ طفولته تعلم ما كان يتعلمه أبناء طبقته في عصره من ثقافة عربية إسلامية عامة إلى جانب التدريبات العسكرية والخبرة السياسية[٢].

فوصِفَ أبو الفداء بأنه كان جامعاً لأشتات العلوم والمعارف في عصره، فقد درس علوم الفقه، التفسير ، النحو، العروض، علم الميقات، المنطق، الطب، الفلسفة، التاريخ، والجغرافيا إضافة إلى موهبته وبراعته في مجال الشعر[٣]، ولهذا كان من العلماء الموسوعيين.

حيث غطت شهرته العلمية على سائر أفراد أسرته فكان عالماً، أديباً، محباً للعلماء، والأدباء لذلك أكثر من أعطياتهم[٤]. إلى جانب اهتمامه بالعلم فقد اهتم بالسياسة، وذلك من أجل تحقيق هدفه في الوصول إلى الحكم فمنذ نعومة أظفاره[٥]. رافق والده في معركة استرداد حصن الأكراد من الفرنج الصليبيين وشجاعته الحربية جعلته يشارك في عدة معارك ضد الصليبيين لإجبارهم على إخلاء المواقع الأخيرة. التي كانت تحت سيطرتهم في بلاد الشام، كما أن ذكائه الشديد دفعه إلى ربط مصيره السياسي بالمماليك. وبذل جهداً كبيراً في إرضائهم وذلك لبلوغ هدفه، وتحقيق أمنيته بحكم حماه فكسب ود الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي طالما وعده بحكم حماه منذ كان في خدمته بمدينة الكرك بجنوب بلاد الشام، وبعد تولي الملك الناصر

١- ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٢، ص ٣٩٩- De Slane, Autobiogra phied, Aboul Feda, Extraitede sa chrohique, R.H.C. T.I, P.١٦٩ - ١٨٦.

٢- زكار (سهيل): أبو الفداء والبيئة، مجلة العمران، عدد ٢٩، ٣٠، حماه، ١٩٧٤م ، ص ٤٨.

٣- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص ١٧٢ ــ ١٧٣.

٤- الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص ١٨٤.

٥- Cinn (H.A.R): Islamic Biographical Literatare, Historians of the Middle East, (ed Bernad Lewiset Holl, London, ١٩٦٣). p. ١١٨.

محمد السلطنة في القاهرة كان أبو الفداء يتوجه إلى مصر كل عام حاملاً معه كل ثمين من الخيول، الرقيق والجواهر ليقدمها إلى السلطان[١].

وأخيراً تحققت آمال أبي الفداء فأقيم والياً على حماه سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠م، وأميراً سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢م وذلك كتابع لنائب الشام المملوكي سيف الدين تنكز[٢]، ثم لم يلبث أن حصل على لقب ملك وذلك سنة ٧٢٠ هـ / ١٣٢٠م[٣].

وحياة أبي الفداء الحافلة لم تكن مقتصرة على الجهاد والعلم فحسب بل شملت الأعمال العمرانية خاصة المنشآت الدينية ومن أهمها جامعه الذي يحمل اسمه (جامع أبي الفداء)[٤].

ووفاته كانت بحماه سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م[٥]، ودفن بتربته التي أنشأها في جامعه المشهور باسمه.

١- زريق (قسطنطين): عبرة من عصر، مجلة العمران، عدد ٢٩، ٣٠، حماه، ١٩٧٤م، ص ٢٥ ــ ٢٧.

٢- سيف الدين تنكز: نائب السلطنة بالشام،وجلب إلى مصر وهو حدث فنشأ بها تولى نيابة دمشق سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢م، كان رجلاً عبوساً، شديد الهيبة، وافر الحرمة، لا يجترئ أحد من الأمراء أن يكلم أحداً بحضرته وله آثاراً حسنة في أماكن من البلاد الإسلامية، توفي سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠م؛ الكتبي: فوات الوفيات، ج١، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠.

٣- فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج٣، ص ٧٤١.

٤- الكيلاني (قدري)، شحاده (كامل) :أبو الفداء ملكاً وعالماً، مجلة العمران، عدد ٢٩، ٣٠، حماه، ١٩٧٤م، ص ٢٦٣.

٥- أبو الفداء: التبر المسبوك، ص٧- أبو الفداء: الكناش، تحقيق رياض بن حسن الحوام، بيروت - صيدا، المكتبة العصرية، د. ت، ج١، ص ١٥ ــ ٢٠- ابن الجزري (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ت ٧٣٩ هـ): تاريخ حوادث الزمان ووفيات الأكابر والأعيان، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، بيروت - صيدا، المكتبة العصرية، ١٤١٨ هـ ــ ١٩٩٨م، ج٢، ص ٥٤٠- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢، ص ٤٢٢ ــ ٤٢٣- الحنبلي: شفاء القلوب، ص ٢٥٩- ابن حبيب: تذكره النبيه، ج٢، ص ٢٢١- ابن سباط: صدق الأخبار، ج٢، ص ٦٥١- عوض (محمد مؤنس أحمد): الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٢م، ص ١٩٠، مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٤، ص ٤٠- زيدان: تاريخ أداب اللغة العربية، ج٣، ص ١٩٦ ــ ١٩٨، أحمد (أحمد رمضان)، الرحلة والرحالة المسلمون، ص ١٩٨- أحمد (نفيس): الفكر الجغرافي، ص ١١١ ــ ١١٢- الكيلاني (أحمد قدري): الملك العالم أبو الفداء والملوك الأيوبيين في مملكة حماه،ص٣١ــ٣٢.

أ ــ شيوخه وتلامذته:

عاش أبو الفداء في بيت علم وأدب وفضل، حيث حظي بعناية فائقة، وقد برزت اهتماماته بالعلم والأدب، وتردد على العلماء والمؤدبين أو جاؤوا إليه فأخذ عنهم ونهل من معارفهم ومن شيوخه:

١ ــ أثير الدين الأبهري: عبد الرحمن بن عمر بن محمد السيواسي المعروف بالأبهري، كان بارعاً في الطب، الهيئة، يعرف الحساب، المساحة، والاصطرلاب، رتب له أبو الفداء رزقاً فلم يزل بحماه إلى أن توفي صاحبها أبو الفداء فتحول إلى حلب يعالج الأبدان ويشغل الطلبة إلى أن توفي سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢م[١].

أخذ عنه أبو الفداء الرياضة والهندسة والهيئة وغيرها[٢].

٢ ــ ابن البارزي: عبد الرحيم بن إبراهيم المعروف بابن البارزي الجهني الحموي، كان قاضياً، ممتازاً، حازماً يراعى جانب الحق دون تعدٍّ أو محاباة، عالماً، فاضلاً، قضى شيخوخته في تحقيق العلوم، والتأليف من كتبه (توثيق عرى الإيمان في تفضيل حبيب الرحمن) و(البستان في تفسير القرآن) كان أستاذ أبي الفداء وقد توفي في حماه سنة ٧٣٨ هـ /١٣٣٧م[٣].

٣ ــ ابن واصل[٤]: وقد ورد عنه مفصلاً فيما سبق أما تلامذته فلم تذكر المصادر، أي واحد منهم ولا يعلم لماذا؟

١- أبو الفداء: التبر المسبوك في تواريخ الملوك، ص ٧- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٣، ص ٣٠٣، الكتبي: فوات الوفيات، ج٤، ص ٧١ ــ ٧٢- أحمد (أحمد رمضان): الرحلة والرحالة المسلمون، ص ١٩٨، الكيلاني (قدري)، شحادة (كامل): المؤيد أبو الفداء ملكاً وعالماً، مجلة العمران، عدد ٢٩ ــ ٣٠، حماه ، ١٩٧٤م ، ص ٢٤٢.

٢- الكيلاني ، شحادة : المرجع السالف، ص ٢٤٢.

٣- الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص ٣٠٦- اليافعي: مرآة الجنان، ج٤، ص ٢٩٧- السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٩، ص ١٨٩ ــ ١٩٠- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٦، ص ١١٩- ابن الغزي: ديوان الإسلام، ج١، ص ٢٣٢ ــ ٢٣٣.

٤- انظر ترجمته ص ٩٦-٩٧.

ب ــ مصنفاته:

ترك أبو الفداء العديد من المؤلفات، وجميعها تبين مدى قدرته العلمية على البحث والدرس وأهمها:

١ ــ المختصر في أخبار البشر: كتاب يتناول حقبة زمنية واسعة منذ بدء الخليقة إلى سنة ٧٢١ هـ / ١٣٢١م وقد لخصه ابن الوردي زين الدين عمر المتوفى سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م، وسماه (تتمة المختصر)، وذيله حيث توقف صاحبه عن الكتابة إلى آخر سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م.

واختصره من بعده أيضاً القاضي أبو الوليد محمد بن الشحنة[١] المتوفى سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢م[٢]، وذيله إلى زمانه وسماه (روضة المناظر في علم الأوائل)[٣].

اعتمد على عدد من المصادر أوردها بوضوح وتسلسل في مقدمة كتابه.

محتوى الكتاب:

يبدأ المختصر بالبسملة والحمد لله، ويتألف من قسمين ما قبل الإسلام والتاريخ الإسلامي ما قبل الإسلام يبدأه بقصة خلق آدم وما كان بعده من أخبار الأنبياء والرسل، وذلك لأن الأنبياء هم صلة الوصل بين الخالق والبشر، وقد اهتم أبو الفداء بذكرها، لأنه يعدها محطات سابقة للإسلام، لا بل ممهدة له، كما تحدث عن بني إسرائيل، وتناول تاريخ ملوك اليونان والرومان، وتاريخ قبائل عرب الحيرة والأنبار، وما جرى في زمنهم من حروب وحوادث.

وعندما أرخ لحقبة ظهور الإسلام، حاول المؤلف تبيان رفعة الدين الإسلامي على أنه أفضل الديانات لأن اليهودية والمسيحية مهدتا له، وتتوضح هذه الصورة أكثر عندما يؤرخ السيرة النبوية مبيناً عظمة الرسول (ص) والإسلام.

١- ابن الشحنه: محمد بن محمد بن محمد بن محب الدين أبو الوليد الحلبي الحنفي له مؤلفات منها (شرح على الكشاف)، ولد سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م وتوفي سنة ٨١٥ هـ / ١٤١٢م (ابن الغزي: ديوان الإسلام، ج٣، ص ١٧٨).

٢- مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٤، ص ٤٠ ــ ٤١.

٣- مصطفى: المرجع السالف، ج٤، ص ٤٠ ــ ٤١.

ويتحدث أيضاً عن العصر الراشدي محاولاً إبراز أهم المنجزات وكأنه يود القول: إن الإسلام أثمر مع الصحابة وأكمل مسيرته خصوصاً في عهد أبي بكر، وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) وهذان العهدان يعدان من أبرز الركائز المتينة للتاريخ الإسلامي بعد مرحلة الرسالة[١].

كما يحصر المؤلف اهتمامه بالصراعات خصوصاً في المرحلة الثانية من عهد عثمان (رضي الله عنه) فيذكر تسلسلياً المآخذ عليه، ويستمر في التأريخ لانقسام الأمة، من خلال الصراع بين علي ومعاوية بطريقة موضوعية[٢].

وركز في العصر الأموي على الأحداث البارزة فجعل منها مفاصل للحركة التأريخية من دون أن يهمل الثورات وحركات التمرد، تطغى في نهاية العصر الأموي الأحداث في خراسان[٣] على ما عداها من الأقاليم والمناطق وذلك نتيجة ظهور دعوة بني العباس فيها[٤].

أرخ قيام الدولة العباسية وذكر مقتل أبي مسلم الخراساني، كما لم يهمل التأريخ لأحداث الأندلس مثل قيام الدولة الأموية هناك، وفي مدوناته التاريخية تظهر نظرته العسكرية من خلال تركيزه على الأحداث العسكرية كالثورات مثل ثورة إبراهيم وأخوه محمد (النفس الزكية) فيصبح العراق محور الأحداث كونه مركز السلطة والقرار السياسي[٥].

كما أن انتقال الفاطميين إلى المشرق لم يمنعه من التأريخ لهم في المغرب دارساً علاقة

ولا تهم بهم موضحاً محاولاتهم الاستقلال عنهم، كما أعطى أحداث إفريقية أهمية شأن أخبار بقية أرجاء الدولة على الرغم أنها لم تكن خاضعة للخلافة العباسية، وغير خاضعة تماماً للخلافة الفاطمية.

في العصر البويهي تزداد أخبار بلاد فارس، وما وراء النهر أهمية، وتحتل مساحة أكبر خصوصاً في أواخر هذا العصر، مركزاً على الانهيار السريع للدولتين السامانية سنة ٣٨٩هـ

١- أبو الفداء: المختصر، ج١، ص ٣ ــ ١٦٦.

٢- ابو الفداء: المصدر السالف، ج١، ص ١٦٦ ــ ١٨٦.

٣- خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق ازاذوار قصبة جوين وبيهق وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات البلاد منها نيسابور وهراة ومرو؛ الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٤٠١.

٤- أبو الفداء: المصدر السالف، ج١، ص ٢١٠ ــ ٢١٥.

٥- أبو الفداء: المصدر السالف، ج٢، ص ٢ – ٣، ص ٦ – ٧.

/ ٩٩٨م لصالح الغزنويين، والبويهية سنة ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥م في العراق لصالح السلاجقة[١].

ويولي أخبار اليمن أهمية أيضاً بحيث يذكرها ضمن أخبار السنة المدون لها ، كما يذكر انتهاء الخلافة الأموية بالأندلس[٢].

لا يغفل أخبار الإسماعيلية بالشام، كما يشيد بالزنكيين ودورهم في الجهاد ضد الصليبيين[٣]، أما موقفه من الصليبيين فواحد ورؤيته لهم شاملة وذلك بسبب رغبتهم بالسيطرة على بلاد الإسلام، ولا يبدل الموقع الجغرافي شيء سواء أكان في الأندلس، أو شمالي إفريقيا أو المشرق، فالصليبيون أعداء الإسلام وهدفهم كان القضاء عليه، رغم موقفه العدواني من الصليبيين لم يصفهم بأوصاف دنيئة. كما وجه لوماً إلى صلاح الدين الأيوبي، واتهمه بالتهرب من الخضوع لسيده نور الدين محمود، لأنه في قرارة نفسه مزمع على تأسيس ملك خاص به فعده مسؤولاً عن تصدع الجبهة الإسلامية، لأنه أخذ السلطة من الملك الصالح ابن نور الدين محمود مما سمح للصليبيين بالمحافظة على مواقعهم، ثم بعد ذلك تبدل موقفه هذا بعد أن أسس صلاح الدين دولته ووحد مصر وبلاد الشام فأصبح المجاهد خصوصاً بعد معركة حطين وفتح القدس[٤].

وفصل ما آلت إليه الأوضاع بعد وفاة صلاح الدين وتقسيم البلاد بين أبنائه، كما صور مأساة المسلمين بظهور المغول، وما فعلوه بالإسلام من فتك، وقتل وتدمير إلى غير ذلك إضافة إلى قتل الخليفة المستعصم بالله[٥] والقضاء على الدولة العباسية ووصف هزيمة المغول في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م، على يد المماليك فكأن هذه المعركة كانت الثأر للمسلمين.

١- أبو الفداء: المختصر ، ج٢، ص ١٣٤ ــ ١٣٥، ١٧٣ ــ ١٧٤.

٢- أبو الفداء: المصدر السالف ، ج٢، ص ١٤٥ ــ ١٤٩.

٣- أبو الفداء: المصدر السالف، ج٣، ص ٢، ١٢، ١٤.

٤- أبو الفداء: المصدر السالف، ج٣، ص ٧١ ــ ٨٨.

٥- المستعصم بالله: الخليفة أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بالله منصور ابن الظاهر محمد بن الناصر أحمد ابن المستضئ الهاشمي، العباسي، البغدادي، ولد سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م، كان فاضلاً، كريماً، حليماً، ديناً، سليم الباطن، حسن الهيئة، توفي سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص١٧٤ــ١٨٤.

وتحدث أيضاً عن إكمال المماليك لأعمال سلفهم وذلك بطرد الصليبيين عن بلاد الإسلام[١].

من خلال استعراض محتويات الكتاب يلاحظ أنه هام جداً.

أولاً ــ لأنه نقل نصوصاً من كتب مفقودة مثل تاريخ اليمن للفقيه عمارة اليمني[٢] فحفظها من الضياع.

ثانياً ــ كتب من قبل ملك من ملوكها فأعطى صورة صادقة عن مجريات الأحداث نتيجة إطلاعه على أدق التفاصيل، من خلال كونه شاهد عيان فاعل للأحداث ومشارك فيها، فقدم الأدلة والبراهين، والوثائق لذلك امتاز كتابه عن سائر كتب التاريخ بإقتصاره على الأمور الهامة والأخبار الصحيحة.

٢ ــ التبر المسبوك في تواريخ الملوك[٣]:

ابتدأ الحديث فيه من خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وانتهى في سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨م، وهذا التاريخ يدعو إلى الريبة والشك، لأنه ينتهي بسلطنة الملك الأشرف كجك.

ووفاة أبي الفداء متقدمة على سلطته أكثر من عشر سنوات. أي أن أبي الفداء توفي سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م فهذا يدعو للتساؤل كيف يؤرخ بعد وفاته؟

لكن من المحتمل أن مؤرخاً جاء بعد وفاة أبي الفداء، وذيل على التبر المسبوك من حيث توقف، حتى انتهى إلى سلطنة الملك الأشرف كجك[٤].

١- أبو الفداء: المختصر، ج٤، ص ٢٤ ــ ٢٦.

٢- عمارة اليمني: هو الفقيه عمارة اليمني بن علي بن زيدان، الإمام، العالم، الأديب، الشاعر، نجم الدين أبو محمد الحكمي، اليمني، المصري، ولد سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١م، له مؤلفات منها (أخبار اليمن)، (النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية) توفي سنة ٥٦٩ هـ /١١٧٣م؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٣١ ــ ٤٣٦.

٣- والتبر يعزى إلى الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل حققه محمد زينهم عزب، اعتمد بالتحقيق على نسخة من مخطوطة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم تاريخ ١٤٦٧ م عن النسخة الموجودة بدار الكتب المصرية تاريخ ٨٦٠ م وتقع في ٣٦ صفحة كتبت هذه المخطوطة بخط جميل سنة ١٠٥٠ هـ / ١٦٤٠م؛يعزى إلى أبو الفداء: التبر المسبوك، ص ٧.

٤- الأشرف كجك: كجك بن محمد بن قلاوون علاء الدين الملك الأشرف ابن الملك الناصر، من سلاطين الدولة القلاونية بمصر والشام تولى السلطة بعد خلع أخيه أبي بكر ابن الملك الناصر محمد سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١م، وركب بشعار السلطنة ولقب بالملك الأشرف وقيل كان عمره دون سبع سنين؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣، ص ٢٦٥.

بدأ المؤلف الحديث عن الخلفاء الراشدين وأعمالهم بإيجاز ثم اتبع ذلك بذكر الدولة الأموية متحدثاً عن خلفائهم موضحاً الفتوحات في زمنهم والقادة الذين شاركوا بها[١].

كما تحدث عن العصر العباسي، الأتابكي، الأيوبي، المملوكي، ذاكراً الفتوحات الإسلامية، وأسماء القادة الذين شاركوا بها إضافة إلى ذكر بعض أعمالهم العمرانية[٢].

ويلاحظ من خلال استعراض هذا الكتاب ما يلي:

أولاً ــ امتاز المؤلف بوضع جداول أورد فيها أسماء الخلفاء، كناهم، ألقابهم، مواليدهم، عهودهم، أعمارهم، وفاتهم، ولايتهم، مصارعهم، قبورهم، أسماء آبائهم وأمهاتهم.

ثانياً ــ المؤلف لم يعاصر الأحداث بل نقل عن غيره، كما تبين من خلال الكتاب أن الحكم أصبح وراثياً منذ العصر الأموي.

ثالثاً ــ اقتصر تاريخ المؤلف على الخلفاء ذاكراً بإيجاز أهم أعمالهم دون التطرق لأحوال العامة من الشعب.

رابعاً ــ يعد هذا المصنف مختصراً لأمهات كتب التاريخ مثل تاريخ الطبري، ومروج الذهب، والكامل في التاريخ، وذيل تاريخ دمشق، وتاريخ دمشق، وتاريخ الروضتين، والمختصر في أخبار البشر.

مقارنة بين المختصر في أخبار البشر والتبر المسبوك:

يعد كتاب أبي الفداء (المختصر في أخبار البشر)، أوسع وأغنى من كتابه الآخر (التبر المسبوك) من حيث المدة الزمنية التي أرخ لها وكذلك التراجم التي تناولها كانت شاملة لجميع فئات المجتمع مما يدل على سعة النطاقين الزماني والمكاني لكتاب "المختصر" أما الكتاب الآخر "التبر المسبوك" فقد اقتصرت تراجمه على الملوك والخلفاء.

أما بالنسبة لأسلوب أبي الفداء في الكتابين الأول المختصر والثاني المنسوب إليه فقد امتاز بوضع الجداول وسهولة التعبير، وسلاسة الألفاظ وانتظامها في تراكيب واضحة هادفاً من ذلك بيان الدقة والأمانة في نقل معاني الأقوال فيسهب حين يرى الإسهاب لازماً ويوجز حين لا

١- أبو الفداء: التبر المسبوك، ص ٣١ ــ ٤٢.

٢- أبو الفداء: المصدر السالف، ص ٤٣ ــ ٩٠.

فائدة منه. وهكذا نجد أن الكتابين مهمين جداً لما يحتويانه على معلومات سياسية واقتصادية واجتماعية، وثقافية لا غنى عنها لأي باحث في التاريخ الإسلامي.

٣ ــ اليواقيت والضرب في تاريخ حلب:

اختصره عماد الدين إسماعيل أبو الفداء صاحب حماه من كتاب (زبدة الحلب من تاريخ حلب) لابن العديم[١] وهو كتاب هام تناول فيه جزءاً من تاريخ هذه المدينة العريقة[٢].

٤ ــ مختصر اللطائف السنية في التواريخ الإسلامية[٣]:

هذا الكتاب لفخر الدين عثمان بن إسماعيل بن علي المعروف بالعدولي الحمصي. اختصره أبو الفداء في مجلد صغير أوله: (الحمد لله مصرف الدهور، ومقدر الأمور ...) إلخ، وتأتي أهمية هذا المصنف من أن أبو الفداء اختصره من تواريخ جهابذة المؤرخين مثل الذهبي، ابن عساكر، ابن الأثير وغيرهم إلى سنة إحدى وعشرين وسبعمئة.

٥ ــ تقويم البلدان[٤]:

كتاب في الجغرافيا طالع أبي الفداء من أجله مختلف الكتب الجغرافية التي أنتجها العرب، إضافة إلى كتب الأنساب، وكتب الأطوال والعروض، وأضاف إليه بعض معرفته، وجعل الكتاب على شكل جداول مقلداً في ذلك أحد الأطباء، الذي دون كتاب أسماه (تقويم الأبدان)، وانتهى أبو الفداء من تدوين كتابه سنة ٧٢١ هـ / ١٣٢١م[٥].

١- ابن العديم: عمر بن أحمد بن هبة الله، بن أبي جرادة كمال الدين العقيلي الحلبي، ولد سنة ٥٨٦ هـ / ١١٩٠م كان محدثاً، حافظاً، مؤرخاً صادقاً، فقيهاً، مفنناً، منشئاً، بليغاً، كاتباً، مجوداً، من مصنفاته (بغية الطلب في تاريخ حلب) و(زبدة الحلب المنتخب من بغية الطلب) توفي سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٧م؛ الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص ١٢٦.

٢- أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل ت٧٣٢هـ): اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، تحقيق محمد كمال، فالح البكور، حلب ، دار القلم العربي، د.ط، د.ت، ص ٧ – ٨.

٣- حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ١٥٥٣.

٤- اهتم المستشرقون بالكتاب مبكرين جداً، فنقلوا قطعاً منه إلى اللاتينية عن خوارزم، وما وراء النهر وطبعوه مع الأصل العربي في لندن سنة ١٦٥٠م، ثم نشروا قطعاً منه في ليبرنغ سنة ١٧٧٦م وعن إفريقية من غوتنغن سنة ١٧٩١م، ونشر الكتاب كله باللاتينية سنة ١٨٢٥م، ثم نشره دوسلان بالعربية سنة ١٨٤٠م في ٥٣٩ صفحة؛ مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٤، ص ٣٩ ــ ٤٢.

٥- مصطفى: المرجع السالف، ج٤، ص ٣٩ ــ ٤١.

يتضح مما تقدم تنوع الموضوعات التي تناولها أبو الفداء في مؤلفاته، والتي أظهرت جلياً الإمكانات العلمية للمؤرخ رغم المحن والظروف التاريخية التي كانت سائدة آنذاك.

ج ــ منهجه في التأريخ:

استخدم التأريخ الحولي في كتابه المختصر في أخبار البشر، أما مؤلفاته الأخرى مثل التبر المسبوك في تواريخ الملوك، واليواقيت والضرب في تاريخ حلب، فقد اعتمد فيهما الأسلوب السردي. وانفرد عن غيره من المؤرخين بصنع جداول لتوضيح ما بين التواريخ المشهورة من المدد[١].

كما وضع جداول للخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين بطريقة مبسطة هادفاً تسهيل معرفة التاريخ الإسلامي[٢].

وقد اعتمد في تاريخه على عدد من المصادر، من أجل رفع قيمة مؤلفه، ويتبين من خلال مؤلفاته أنه كان صريحاً في ذكرها، ومن الأمثلة على ذلك (ذكر أبو الريحان البيروني في كتابه القانون المسعودي ...)[٣] (قال ابن سعد ...)[٤]، (من الكامل لابن الأثير ...)[٥].

واعتمد أيضاً أبو الفداء على جملة من المصادر الشفهية، والتي تعود بمعظمها لحوادث استقاها من الذين شاركوا بالأحداث مثل (حكى الشيخ سيف الدين الآمدي ...) و(قال جمال الدين ابن واصل ...)[٦].

إلى جانب استخدامه مصادر مجهولة إجمالاً فهذا يعني أنه اطلع على عدد وافر من كتب الأقدمين، وخرج فيما بين رواياتهم وصاغ روايته الخاصة فيقول: (سوريا هي الشام الأولى، وهي حلب وما حولها من البلاد على ما ذكره بعض الرواة ...)[٧].

١- أبو الفداء: المختصر، ج١، ص ٧.
٢- أبو الفداء: التبر المسبوك، ص ١٣ ــ ٢٧.
٣- أبو الفداء: اليواقيت والضرب، ص ٢٤ ــ ٢٥.
٤- أبو الفداء: التبر المسبوك، ص ٣٩.
٥- أبو الفداء: المختصر، ج١، ص ٨.
٦- أبو الفداء: المختصر، ج٣، ص ١٤٠ ــ ٨٣.
٧- أبو الفداء: اليواقيت والضرب، ص ٥.

كما اتبع منهج سلاسل الإسناد في الرواية، وذلك لإثبات صحة الأخبار التي يدونها فيقول: (حكى لي أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الحسين الحراني أيده الله أن أبا أسامة الخطيب بحلب حكى له أن أباه حدثه أنه أحضر مع أبي الصقر ومعهما رجل يقرأ باليوناني ...)[١].

(روى ابن الجوزي بإسناده عن الحسن البصري أنه قال ...)[٢].

ويلاحظ أن أبو الفداء اعتمد مثل غيره من المؤرخين عند تعدد الروايات على المقارنة والمفاضلة بين الروايات فعندما يشك بصحة الرواية كان يدون بعد سردها قوله: (والله أعلم)[٣]. إضافةً إلى استخدامه ضمير المتكلم في الجزء الرابع الذي عاصر فيه الأحداث وشارك فيها فيقول: (توجهت إلى الأبواب الشريفة وخرجت إلى حماه ... ووصلت إلى قلعة الجبل، وحضرت بين يدي المواقف الشريفة السلطانية ...)[٤]

إضافة إلى أنه استشهد بالآيات القرآنية في سياق كلامه حول مسالة معينة ليؤيد رأياً أو يدحض آخر، كونها المنهجية المتبعة في التأليف قديماً وحديثاً لإعطاء قيمة لوجهة النظر المراد إثباتها من قبل مؤلفها لأن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، كما أورد عدداً من أبيات الشعر لكل من البحتري[٥]، المتنبي[٦].[٧]

وشغلت أيضاً الوثائق والرسائل الرسمية مكانة مهمة بين المصادر المستخدمة عند أبي الفداء كالرسائل وكتب التعيين والعزل، وذلك يعود لمكانته فهو صاحب حماه، وقريب من مصدر

١- أبو الفداء: اليواقيت والضرب، ص ٢٥.

٢- أبو الفداء: المختصر، ج٤، ص ٦٨ ــ ٦٩.

٣- أبو الفداء: اليواقيت والضرب، ج٤، ص ٢٥.

٤- أبو الفداء: المختصر، ج٤، ص ٦٧.

٥- البحتري: الوليد بن عبيد بن يحيى الشاعر البليغ المجيد أبو عبادة الطائي، ولد سنة ٢٠٥ هـ / ٨٢٠م، صاحب الديوان المشهور، وله كتاب (معاني الشعر) و(كتاب الحماسة) توفي سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦م؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٣، ص ٤٨٦.

٦- المتنبي: أحمد بن الحسين بن الحسن الأديب، الشاعر، المجيد، البليغ، أبو الطيب الكوفي ولد سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥م، صاحب الديوان المشهور، قتله الأعراب سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥م؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ١٢٠.

٧- أبو الفداء: اليواقيت والضرب، ص ٦٤، ٨٠، ٨٥.

الحدث ومطلع على كل الأمور ومن الوثائق التي ذكرها التقليد الذي كتبه الملك الناصر محمد[١] بمملكة حماه، المعرة، بارين، وأحياناً كان يذكر نص الوثيقة كاملاً[٢].

أما بالنسبة للتراجم فلم يعتمد خطة واحدة في تدوينها فبعضها لم يعطِها أهمية كبرى حيث جاءت في سطر أو سطرين مثال ذلك: (وفاة نوح صاحب ما وراء النهر ...)، وبعضها الآخر في عدة أسطر مثل (ذكر وفاة العزيز بالله[٣] الفاطمي ...)[٤].

ولم تحظ التراجم في كتابه الآخر اليواقيت والضرب باهتمام كبير، مع ذلك لم يتبع نمط واحد في كتابتها فيلاحظ أنه يذكر اسم المتوفي، مرضه، تاريخ وفاته، مكان دفنه حيناً[٥]، وحيناً آخر آخر يذكر المثالب وذلك لجعلها عظات فيذكر مثلاً اسم أول من أظهر البرطيل بالشام[٦].

يتضح مما تقدم:

١ ــ إن أغلبية المؤرخين الحمويين كانوا من المحدثين والفقهاء، وهذا منسجم مع واقع الحياة الفكرية الإسلامية من جهة، وواقع المدارس التاريخية الأخرى، فقد ندر جداً أن اختص عالم بعلم واحد دون أن يشارك في علوم أخرى كثيرة، وقيل: أن بعض المؤرخين الحمويين اشتغلوا بثلاثين علم، وهذا يدل على غنى معارفهم أو ثقافتهم، كما اتجهت مشاريع التأريخ عندهم إلى التوسع والإسهاب في ميدان التواريخ العامة، فكأنها كانت يقظة إسلامية، ومن خلال ذلك يتبين أن العصر الأيوبي شهد نهضة تأريخية.

٢ ــ شهدت حركة تدوين التأريخ تطوراً مذهلاً، تمثل بظهور الموسوعات التاريخية الضخمة التي ظهرت بشكل واضح وجلي في العصر المملوكي، والتي غالباً ما تبدأ منذ الخلق حتى

١- الناصر محمد: محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي، أبو الفتح من كبار رجال الدولة القلاونية له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل، بجلائل الأعمال، كان وقوراً مهيباً، لم يضبط عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش في شدة غضبه يدعو رجاله بأجل ألقابهم، ويكره الاقتداء بمن تقدمه من الملوك، ولا يحتمل أن يذكر عنده مالك، ومع مبالغته في الحرص على ألا ينسب إليه ظلم أو جور؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٤، ص١٤٤.

٢- أبو الفداء: المختصر، ج٤، ص ٦٨ ــ ٦٩.

٣- العزيز بالله: نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بالله محمد بن المهدي بالله عبيد الله خامس الخلفاء الفاطميين في مصر ولد بالمهدية سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٥م، وتولى الحكم سنة ٣٦٥ هـ / ٩٧٥م، وتوفي سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص ٣٧١.

٤- أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص ١٣١ ــ ١٣٣.

٥- أبو الفداء: اليواقيت والضرب، ص ١٢٠، ١٤٠، ١٤٦.

٦- أبو الفداء: اليواقيت والضرب، ص ٥٨.

عصر المؤلف، ومن هذه الموسوعات الهامة المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء، كما ظهرت تواريخ الدول مثل تاريخ الدولة الأيوبية لابن واصل، إضافة إلى تواريخ الخلفاء والعالم مثل التاريخ المظفري لابن أبي الدم، وتواريخ السلاطين مثل التبر المسبوك في تواريخ الملوك لأبي الفداء.

٣ ــ اتبع المؤرخون الحمويون المنهج الحولي في تدوين الأحداث حيث رتبوا وقائع الأحداث على السنين كما اعتمدوا على الأسلوب السردي في تدوين الأحداث متبعين أسلوب نقد الروايات عند تعددها، وذلك من خلال المقارنة والمفاضلة بين الروايات فكثيراً ما يكتبون بعد سرد الرواية (والله أعلم).

٤ ــ اعتمدوا عند تأريخهم لعصرهم على وثائق، كنصوص عقد الصلح والمعاهدات وكذلك على الرسائل المتبادلة بين الخليفة والولاة، ومما ساعدهم على ذلك أن بعضهم كانوا ملوكاً مثل ابن شاهنشاه الأيوبي، وأبو الفداء فأتاح ذلك لهم سهولة الإطلاع على الوثائق أما ابن أبي الدم وابن واصل فقد كانوا مقربين من الملوك إضافة إلى كونهم قضاة مما سهل لهم الحصول على الوثائق وتوظيف مادتها في الكتابة التاريخية.

خاتمة :

استعرض هذا البحث الحركة التأريخية في مملكة حماه بين عامي ٥٧٣ ــ ٧٤٢ هـ / ١١٧٨ ــ ١٣٤١م فتبين أن هذه الحركة بلغت أوجها في العصر الأيوبي نتيجة انجذاب السلاطين الأيوبيين إلى العلم ورغبتهم في إنعاش الحركة العلمية ، وهذه الظروف شجعت العلماء في الأقاليم ، والأقطار القريبة ، والبعيدة للقدوم إلى حماه ، وذلك بهدفين إما لينهلوا من علومها أو ليقدموا ما عندهم فدفع ذلك الحركة التأريخية قدماً إلى الأمام .

وعلى الرغم من التمزق السياسي الذي عانت منه بلاد الشام عامةً ، ومملكة حماه خاصةً ، وكثرة الإضطرابات والحروب التي حصلت على أراضيها في عصر تزايد فيه الغزو المغولي ، إضافةً إلى الوجود الصليبي ، حيث لم تكن دولتهم دولة هادئة ومستقرة ، ومع ذلك كون الفكر مرحلة هامة ، ومتميزة عن مراحل تطور الفكر الإسلامي. فعرفت حماه ازدهاراً فكرياً واسعاً ، وكانت عوامل متعددة قد أدت إلى هذا الازدهار فهي لم تتأثر بهجمات الصليبيين أولاً ثم حملات المغول المتتالية ، وتدمير بغداد، بل كان ذلك عاملاً من عوامل ازدهار الحياة الفكرية إضافةً إلى عوامل متعددة أدت إلى هذا الازدهار ، ومنها حث الإسلام على العلم والتعلّم ، والموروث الحضاري الغني فيها ، وازدهار صناعة الورق ، وتوافر أدوات القراءة والكتابة ، وتوافر المناخ المناسب للإبداع الفكري وما كان يحظى به الأدباء والعلماء من تشجيع وتقريب من بعض الأمراء والحكام الذين كانوا مهتمين بخلق جوٍ علمي ــ أدبي ، وعملوا على احتضان رجال الفكر والأدب ، وتكريمهم ورعايتهم هذا وقد كان للأيوبيين أكبر نصيب في ذلك. حيث عملوا على إقامة مجالس فكرية في بلاطاتهم التي كانت عامرة بالمناظرات والمناقشات في اختصاصات العلوم المختلفة. وفي نهايتها كان يتم تكريم الشعراء والأدباء، والعلماء بالمنح والعطايا. وشغلت المجالس الأدبية والعلمية التي عقدها بعض الأمراء في قصورهم، وبلاطاتهم دوراً بارزاً في النشاط التعليمي والثقافي حيث تمتع العلماء والأدباء ــ بحكم عملهم ــ بمكانة اجتماعية مرموقة إذ كانوا محط احترام المجتمع، وكانت كلمتهم مسموعة لدى السلطة والناس .

كما عرفت حماه خلال العصر الأيوبي الكثير من الأبنية العلمية، من كتاتيب ومدارس ومساجد ومكتبات قام السلاطين والأمراء بتشييدها والإنفاق على طلبة العلم استجلاباً لهم ، فوجد الكثير من المدرسين والطلبة في هذه المدارس بيوتاً يؤون إليها ، بحيث هيأت لهم كل وسائل العيش للدراسة والبحث من غير

أن يصرفهم شاغل من شواغل الحياة. وثمة ظاهرة جديرة بالأهمية ، كان لها دورها في الإنفاق على التعليم والقائمين عليه وطلاب العلم ، وهي الصدقات والأوقاف. ونتيجة ذلك كان النتاج الفكري ضخماً وخصباً ، حيث شمل حقول العلم المختلفة ، فظهرت دراسات ومؤلفات كثيرة اتصفت بالإبداع والابتكار ، وقد ساهم جميع أبناء مملكة حماه في النشاط الفكري، الذي لم يكن مقصوراً على الملوك والأمراء فحسب بل شارك فيه جميع أبناء الشعب. هذا ولم يكن كل الذين شاركوا في الازدهار الفكري من أصول حموية بل كان بعضهم من الوافدين من أمصار العالم الإسلامي المختلفة إلى المملكة الحموية التي أصبحت مهجراً مستطاباً لعلماء الأمصار ، فكان لهجرتهم إلى حماه واستقرارهم بها أثر مباشر في تطور الحياة العلمية حيث شكل هؤلاء تياراً فكرياً بارزاً ، كما تمتع رجال الفكر خلال العصر الأيوبي بحرية كبيرة في التنقل والإقامة والأخذ ، والعطاء والتأثر والتأثير ، فقد استطاعوا أن يضعوا مؤلفاتهم في كل بلد نزلوا فيه.

وتميز معظم المؤرخين الحمويين بالتنوع الفكري ، إذ كانوا يلمون بعلوم مختلفة ، وكان من النادر أن يقتصر أحدهم على علم واحد دون الإلمام والتبحر بعلوم أخرى ، وهكذا فقد برز العديد من نوابغ العلم الذين مازالوا مضرباً للمثل على المستوى العالمي للنهضة العلمية في الحضارة العربية الإسلامية أمثال : ابن شاهنشاه الأيوبي ، ابن أبي الدم ، ابن واصل ، أبو الفداء ، ابن الوردي وكثيرون غيرهم ممن رفدوا المكتبة الإنسانية بنصيب وافر من المعرفة من خلال مؤلفاتهم ومصنفاتهم المهمة التي اتسمت بالإبداع والابتكار ولا يزال قسم كبير منها يحتفظ بقيمته العلمية حتى اليوم ، كما أن المعارف الفنية والمتنوعة التي أنتجت في هذا العصر ساهمت أيضاً بدور كبير في البناء الفكري الإنساني ، فبرز العديد من المؤرخين الذين دونوا كتابات تاريخية هامة ، وكان معظمهم من الملمين بعلوم أخرى مثل : الحديث ، والفقه ، والأدب والكتابة والنحو ، والطب .... الخ ، فلذلك تنوعت مؤلفاتهم وتباينت باختلاف أغراضها ، حيث حققت جملة من الفوائد الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية الواضحة ، فألف المؤرخون في أكثر من اختصاص، وأكثر من جانب ، فجاءت كتاباتهم في أطر تاريخية متنوعة ومتعددة كالتاريخ الحولي ، والتراجم والطبقات ، وكتب البلدان والتاريخ المحلي وكتب الوفيات ، والسير والإنساب وغير ذلك ، وكانت كتابات هؤلاء المؤرخين من المصادر الأساسية في العصور التالية وكان لها مميزات جديدة من ظهور فنون تأريخية لم تكن موجودة من قبل بكثرة كالتأريخ المحلي ، والاهتمام بتصنيف التراجم ضمن

نظم معينة ، إضافةً إلى ظهور عدد من المؤرخين حرصوا على إكمال مؤلفات تاريخية جيلاً بعد جيل مع ظهور لتواريخ عالمية واهتمام بإدخال السياسة إلى التاريخ من خلال جعله منبراً لعرض الأفكار السياسية الداعية لمناصرة السلطة ودحض الفئات المناوئة من خلال العقل والمنطق والحجج الدامغة ، فمما هو جدير بالملاحظة في العصر الأيوبي ، انتماء بعض المؤرخين إلى ملوك حكام وعصرهم فبعضهم أفتى فتاوى لصالح الملوك مثل ابن أبي الدم الذي سوغ تسليم الملك الكامل القدس للصليبيين ، كما أن علاقة هذا المؤرخ بالحكام والسلاطين تظهر من خلال تأليفه مصنف (التاريخ المظفري) نسبةً إلى الملك المظفر الثاني محمود . كما يبين البحث أن التاريخ هو من العلوم المهمة لأنه يشتمل على فكر وعبر وهو أصل كل خبر وأثر ، وخزينة أخبار الناس والرجال والروايات والأمثال ، إضافةً إلى أنه زينة الأديب وعمدة اللبيب ، وعون المحدث ، ويدون أخبار الملك ، والوزير والقائد ، فكل تلك العوامل شكلت دافعاً لظهور فئة كبيرة من المؤرخين زخر بهم القرن السابع والثامن الهجريين / الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين/. فكانوا مختلفي الانتماء ، والإمكانات ، متمايزين في الأسلوب وتقسيم المادة. ومما يلاحظ ظهور مؤلفات كثيرة كتبت من قبل مؤرخين وفقهاء ورجال علم ودين وسياسة رصدت أوجه الحياة في العصر الأيوبي في حماه ليس فقط الأوضاع السياسية وإنما أيضاً الأوضاع الاقتصادية التي تأرجحت ما بين انفراج وتأزم لكثرة ما أصاب بلاد الشام عامة ، وحماه خاصة من كوارث طبيعية وفوضى وحروب داخلية ، إضافةً إلى تشجيع الأيوبيين لنظام الإقطاعات والتي أدى فيما بعد إلى نشوء إمارات ودول مستقلة وإذا ما تم الانتقال من فنون الكتابة إلى الأسلوب المتبع فيلاحظ في التدوين اعتماد المؤرخين أسلوب الاقتباس عن سابقيهم ومعاصريهم دون ذكر مصدر النقل. وأحياناً لأجل الأمانة العلمية يُذكر المصدر. أما الأحداث المعاصرة فقد اعتمد المؤرخون في تدوينها على الإطلاع الشخصي، والمشاهدة العيانية إضافةً إلى جمع الشهادات الشفوية من الشهود والمعاصرين ، وتارةً أخرى اعتمدوا فيها على الوثائق المتوفرة لديهم وقيامهم بتحليل وتعليل التاريخ ، وربطهم العوامل الاجتماعية والاقتصادية بحركة التاريخ مما جعلهم عباقرة مجددين مبتكرين سابقين لعصرهم ، كما أن معظم المؤرخين الحمويين اتبعوا الأسلوب الحولي وكانت عباراتهم سهلة التعبير لا حشو فيها ، ولا زخارف لفظية إلا ما ندر معتمدين مبدأ انتقاء الكلمات والميل إلى الاختصار .

ولعل أهم ما يمكن التوصل إليه من خلال دراسة الحركة التأريخية هو التعرف إلى المصادر المتخصصة في التاريخ ، والقريبة إلى تاريخ وقوع الأحداث ، والتعرف أيضاً إلى رجال العلم الذين عاصرهم المؤرخون الحمويون من خلال كتب معاجم الشيوخ وغيرها . فهذه الأمور تُمكنْ من التعرف إلى مدى اتساع الحركة العلمية في العصر الأيوبي والتي كانت حماه من مراكز العلم فيها ومحجة لطالبي العلم ، ومنارة إشعاع ثقافي ، كما قدمت هذه الحركة أيضاً رجالها الذين خطوا إنجازات رائعة ، وحازوا قصب السبق في أكثر من مجال ، ولم تقتصر هذه الحركة ونشاطها على الرجال فحسب ، بل كان للمرأة نصيب فيها فحصلت مثل ما حصّل الرجل من حقوق التعلّم والتعليم فقد كنَّ محدثات ، ومؤرخات ، وشاعرات ، وعالمات فأخذ عنهم بعض رجال العلم الذين لم يجدوا مشكلة في التعلّم والأخذ عن نساء .

جريدة المصادر والمراجع

أولاً ــ المخطوطات

ثانياً ــ المصادر :

ثالثاً : **المراجع** :

١ــ المراجع العربية

٢ ــ المراجع المترجمة إلى العربية

٣ ــ الأبحاث والدوريات والمقالات

٤ ــ المراجع الأجنبية .

جريدة المصادر والمراجع:

أولاً: المخطوطات:

- ابن واصل (محمد بن سالم بن نصر الله ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م):

١- التاريخ الصالحي ، مخطوط ، موجود في مكتبة الأستاذ الدكتور سهيل زكار.

ثانياً: المصادر:

- ابن أبي الدم (شهاب الدين إبراهيم ت ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م):

١- التاريخ الإسلامي المعروف بالتاريخ المظفري ، تحقيق حامد زيان غانم زيان ، القاهرة دار الثقافة للنشر ، ١٩٨٩ م.

٢- أدب القضاء أو الدرر المنظومات في الأقضية والحكومات ، تحقيق محمد مصطفى الزحيلي ، د. م ، د. ن ، د. ت.

- ابن الأثير (علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م):

٣- الكامل في التاريخ ، راجعة وصححه محمد يوسف الدقاق ، لبنان ــ بيروت ، دار الكتب العلمية، ط ٢ ، ١٤١٥ ه – ١٩٩٥ م ، مج ١٠.

- ابن الأخوة (محمد بن أحمد القرشي: ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ م) :

٤- معالم القربة في أحكام الحسبة ، عني بنقله وتصحيحه روبن ليون ، كمبرج ، مطبعة دار الفنون ، ١٩٣٧ م.

- الأدفوي (أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م).

٥- الطالع السعيد ، تحقيق سعيد محمد حسن ، مراجعة طه الحاجري ، د. م ،الدار المصرية لتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ م.

- الأسنوي (عبد الرحيم الأسنوي ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م):

٦- طبقات الشافعية ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ط١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، جـ ١.

- باشا (محمد علي):

٧- الرحلة الشامية، بيروت – لبنان، دار الرائد العربي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

- ابن بطوطة (أبو عبدالله محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م):

٨- رحلة ابن بطوطة ، بيروت ، دار صادر ، ط١ ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

- البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل ت ٢٥٦هـ /٨٦٩م):

٩- صحيح البخاري، بيروت، عالم الكتب ، ط١، د.ت، ج١.

- البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م):

١٠- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، د. م ، دار إحياء الكتب العربية ، ط١ ، ١٣٧٣ هـ /١٩٥٤ م ، جـ١ ، جـ٢.

- البغدادي (عبد اللطيف البغدادي ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م):

١١- الإفادة والاعتبار ، تحقيق أحمد غسان سبانو ، دمشق ، دار قتيبة ، ط١ ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

- البرزالي (أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م):

١٢- المقتفى على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، ط١ ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ، جـ١- ق١، جـ١- ق٢ ،جـ٢- ق١ ، جـ٢- ق٢.

١٣- الوفيات ، تحقيق أبو يحيى عبد الله الكندري ، الكويت ، غراس للنشر والتوزيع ، ط١، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

- ابن تغري بردى الأتابكي (جمال الدين أبي المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م):

١٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، لبنان ــ بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، جـ٦ ، جـ٧ ، جـ٨ ، جـ٩ ، جـ١٠ ، جـ١١.

١٥- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق محمد محمد أمين ، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ م ، جـ١ ، جـ٢ ، جـ٣.

- ابن جبير (محمد بن أحمد الأندلسي ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) :

١٦- رحلة ابن جبير ، لبنان ــ بيروت ، دار التراث ، ط١ ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.

- ابن جماعة (محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م):

١٧- مشيخة قاضي القضاة ، تخريج البرزالي المتوفي سنة ٧٣٩ هـ ، تحقيق موفق بن عبدالله ابن عبد القادر ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

- ابن جماعة (عبد العزيز بن جماعة ت ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥ م):

١٨- المختصر الكبير في سيرة النبي محمد (ص) ، تحقيق كرم حلمي فرحات أحمد ، القاهرة الدار الثقافية للنشر ، ط١ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م.

١٩- المختصر الكبير في سيرة الرسول (ص) ، تحقيق سامي مكي العاني ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.

٢٠- المختصر الندى في سيرة النبي (ص) ، تحقيق عبد الحميد السعدي ، القاهرة ، مكتبة القرآن ، د. ت.

- ابن الجوزي (أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧ هـ /١٢٠٠ م):

٢١- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ،راجعه وصححه نعيم زرزور ، لبنان - بيروت، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.

- حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله القسطنطيني ت ١٠١٧ هـ / ١٦٠٨ م)

٢٢- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م ، جـ١ ، جـ٢.

- ابن حبيب (الحسن بن عمر ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧م):

٢٣- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ، تحقيق محمد محمد أمين ، مراجعة سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب ، ط١ ، ١٩٧٦ م ، جـ٢.

- ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م):

٢٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق ، مصر ، دار الكتب الحديثة ، جـ٢ ، جـ٣ ، جـ٤.

٢٥- أنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ ، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية د. ت ، ط٢ ، جـ١ ، جـ٧ .

- الحنبلي (أحمد بن ابراهيم الحنبلي ت ٨٧٦ هـ / ١٤٨١ م):

٢٦- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق ناظم رشيد ، العراق ، وزارة الثقافة و الفنون، ١٩٧٨ م.

- ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٢٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق حسان عباس ، بيروت ، دار صادر د. ت ، جـ١ ، جـ٢ ، جـ٣ ، جـ٤ ، جـ٧.

- الذهبي والحسيني(محمد بن علي بن الحسن ت ٧٦٥ هـ / ١٣٦٣ م) :

٢٨- من ذيول العبر ، تحقيق محمد رشاد عبد المطلب ، راجعه صلاح الدين المنجد وأخرون ، مطبعه حكومة الكويت.

- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م):

٢٩- سير أعلام النبلاء ، تحقيق بشار عواد معروف وأخرون ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، جـ١ ، جـ٤ ، جـ٥ ، جـ٧ ، جـ١٣ ، جـ١٥ ، جـ١٨ ، جـ٢١ ، جـ٢٢ ، جـ٢٣.

٣٠- العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، د. م. ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م ، جـ١ ، جـ٥.

٣١- معجم الشيوخ ، تحقيق وتعليق روحيَّه عبد الرحمن السيوقي ، لبنان- بيروت، دار الكتب العلمية ط١ ، ١٤١٠ هـ/ ١٩٩٠ م.

- ابن رافع (محمد بن رافع بن أبي محمد بن شافع بن محمد سلام السلامي ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م):

٣٢- الوفيات ، تحقيق صالح مهدي عباس ، أشرف عليه وراجعه بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، مج ١.

- ابن سباط (حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سباط المتوفي بعد ٩٢٦ هـ / ١٥١٩م):

٣٣- صدق الأخبار تاريخ ابن سباط ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، لبنان- طرابلس ، جروس برس ، ط١ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ، جـ١.

- سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزا أوغلي ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م):

٣٤- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تحقيق حسان عباس ، القاهرة ، دار الشروق ، ط١ ، ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥.

- السبكي (تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ت ٧٧١ هـ/١٣٦٩م):

٣٥- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، عبد الفتاح الحلو ، هجر للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م ، جـ١ ، جـ٩ .

٣٦- معيد النعم ومبيد النقم ، قدم له وشرحه وأعد فهارسه صلاح الدين الهوّاري ، صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، ط١ ، ١٤٢٨ هـ /٢٠٠٧ م.

٣٧- معيد النعم ومبيد النقم ، حققه وضبطه وعلق عليه محمد علي النجار وآخرون ، القاهرة ،دار الكتاب العربي ،ط١ ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م

- السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م).

٣٨- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، مصر – القاهرة ، مكتبة ابن سينا ، د. ط ، د. ت.

٣٩- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، بيروت – لبنان ، منشورات دار مكتبة الحياة ، د. ط ، د. ت ، جـ١ ، جـ٢ ، جـ٩.

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م):

٤٠- الشماريخ في علم التاريخ ، تحقيق أنور محمود زناتي ، محمد سالم صقر ، القاهرة ، دار الأفاق العربية ، ط١ ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.

٤١- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق علي محمد عمر ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ط١ ، جـ١ ، جـ٢.

- أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م):

الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق ابراهيم الزيبق ، لبنان ــ بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، جـ١.

- ابن شاهنشاه (محمد بن تقي الدين عمر ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م):

٤٢- مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ، عالم الكتب ، د. ت.

- الشوكاني (محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م):

٤٣- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين بن عبد الله العمري ، دمشق ، دار الفكر ، ط١ ، ١٤١٩ هـ /١٩٩٨ م.

- ابن شيخ الربوة (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م):

٤٤- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، لبنان - بيروت، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م..

- الشيرزي (عبد الرحمن بن نصر ت ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م):

٤٥- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق ومراجعة السيد الباز العريني ، بيروت ، دار الثقافة ، ط٢ ، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

- الصفدي (صلاح الدين بن أيبك الصفدي ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م):

٤٦- الوافي بالوفيات ، اعتناء س در يدينغ ، دار النشر فرانز شتاينز ، بفسبادن. ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م ، جـ٢ ، جـ٣ ، جـ٤ ،جـ٥ ،جـ٦ ، جـ١٥.

٤٧- أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق علي أبو زيد وآخرون ، بيروت – لبنان ، دار الفكر المعاصر ، ط١ ، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م ، جـ٢ ، جـ٣ ، جـ٤ ،جـ٥.

٤٨- نكت الهميان في نكت العميان ، أشرف على طبعه أحمد زكي بك ، مصر ، المطبعة الجمالية ١٣٢٩ هـ – ١٩١١ م.

- ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي ت ١٠٨٩ هـ /١٦٧٨م):

٤٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق محمود الآرناؤوط ، دمشق – بيروت ، دار ابن كثير ، ط١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١م ، جـ٤ ،جـ٥ ،جـ٦ ،جـ٧ ، جـ٨.

- ابن الغزي (شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن المتوفي سنة ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣م):

٥٠- ديوان الإسلام ، تحقيق سيد كسروي حسن ، بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، جـ١ ، جـ٢ ، جـ٣ ، جـ٤.

- العماد الأصفهاني (محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠م):

٥١- الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح ، د. ط ، د. ت.

- العمري (شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م):

٥٢- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد عبد القادر الشادلي ، د. م ، المجتمع الثقافي ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، جـ٣.

٥٣- التعريف بالمصطلح الشريف ، تحقيق محمد حسين شمس ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م.

- أبو الفداء (عماد الدين اسماعيل ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م):

٥٤- المختصر في أخبار البشر ، لبنان ــ بيروت ، دار المعرفة ، د.ت ، جـ١ ، جـ٢ ، جـ٣ ، جـ٤.

٥٥- تقويم البلدان ، تحقيق البارون ماك كوكين ديسلان ، باريس ، ١٨٥٠م.

٥٦- يعزى إلى أبي الفداء التبر المسبوك في تواريخ الملوك ، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، ط١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.

٥٧- الكناش ، تحقيق رياض بن حسن الحوام ، صيدا – بيروت ، المكتبة العصرية ، جـ١.

٥٨- اليواقيت والضرب في تاريخ حلب ، تحقيق محمد كمال ، فالح البكور ، حلب ، دار القلم العربي ، د. ط ، د. ت.

- ابن قاضي شهبة (أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٧ م):

٥٩-طبقات الشافعية ، اعتنى بتصحيحه وعلق عليه الحافظ عبد العليم خان ، بيروت ، دار الندوة الجديدة ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، مج١ ، مج٢.

٦٠- تاريخ ابن قاضي شهبة ، تحقيق عدنان درويش ، د. م ، د. ن ، ١٩٩٤م ، مج٢.

- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م):

٦١- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧ م ، جـ٤.

- الفزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م):

٦٢- أثار البلاد وأخبار العباد ، دار بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م.

- المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م):

٦٣- السلوك لمعرفة دول الملوك ، قام بنشره محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف للترجمة والنشر ، د . ت ، ق١ ، جـ١.

٦٤- الخطط المقريزية ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، لندن ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م ، مج١، مج٢.

- الكتبي (شاكر ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م):

٦٥- فوات الوفيات والذيل عليها ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، جـ١ ، جـ٢ ، جـ٣ ، جـ٤.

- ابن كثير (الحافظ عماد الدين اسماعيل ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م):

٦٦- البداية والنهاية ، تحقيق عبدالله بن عبد المحسن التركي ، الرياض ، دار عالم الكتب ، ط٢ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، جـ١ ، جـ١٧.

- ابن المغيزل (نور الدين علي بن عبد الرحيم بن أحمد الكاتب الملكي المظفري ت ٧٠١ هـ /١٣٠١ م):

٦٧- ذيل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، صيدا – بيروت المكتبة العصرية ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

- المكي (تقي الدين محمد بن الحسين الفارسي المكي ت ٨٣٢ هـ / ١٤٢٨ م):

٦٨- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة ط٢ ، جـ٣ ، جـ٤ ، جـ٥.

- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت سنة ٧١١ هـ / ١٣١١ م):

٦٩- لسان العرب ، بيروت ، دار صادر ، ط١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، جـ١٣.

- ابن النديم (محمد بن اسحاق ت ٣٨٠ هـ /٩٩٠م):

٧٠- الفهرست ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٩٨٧ م.

- ابن نظيف (أبو الفضائل محمد بن علي ت ٦٤٤ هـ /١٢٤٦م):

٧١- التاريخ المنصوري (تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان) ، تحقيق أبو العيد دودو ، مراجعة عدنان درويش ، دمشق ، مطبعة الحجاز ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

- النعيمي (عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي المتوفى سنة ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠م):

٧٢- الدارس في تاريخ المدارس ، أعد فهارسة ابراهيم شمس الدين ، لبنان - بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م ، جـ١.

- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١م):

٧٣- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق أحمد كمال زكي ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩-جـ٣٣.

- ابن واصل (محمد بن سالم بن نصر الله ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧م):

٧١- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٥٧م ، جـ١ ، جـ٢.

والجزء الثالث تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، دار القلم ، الجمهورية العربية المتحدة د. ط ، الجزءان الرابع والخامس ، تحقيق حسنين محمد ربيع ، مراجعة وتقديم سعيد عاشور ، مطبعة دار

الكتب ، ١٩٧٧ م ، والجزء السادس ، تحقيق عمر عبد السلام التدمري ، بيروت المكتبة العصـــرية ، ط١ ، ١٤٢٥ هـــ / ٢٠٠٤ م.

- ابن الوردي (زين الدين عمر بن الوردي ت ٧٤٩ هـــ / ١٤٤٨ م):

٧٢- تتمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق أحمد رفعت البـــدراوي ، لبنـــان - بيـــروت ،دار المعرفة ، ط١ ، ١٣٨٩ هـــ / ١٩٧٠م ، ج١، ج٢.

- اليافعي (أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان المتوفي سنة ٧٦٨هـــ /١٣٦٦م):

٧٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، لبنان ـــ بيروت ، دار الكتب العلمية ، د. ت ، جـــ١ ، جـــ٤.

- ياقوت الحموي (شهاب الدين بن أبي عبد الله ت ٦٢٦ هـــ / ١٢٢٨ م):

٧٤-معجم البلدان ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، لبنان ـــ بيروت ، دار الكتب العلميـــة ، د. ت ، جـــ١ ، جـــ٢ ، جـــ٣ ، جـــ٤.

٧٤- المشترك وضعاً والمفترق صعقاً ، بيروت ، عالم الكتب ، ط٢ ، ١٤٠٦ هـــ / ١٩٨٦م.

ثالثاً: المراجع:

١.المراجع العربية

١- أبو دمعة (أمين) : الحياة الاقتصادية في العصر الأيوبي ، رسالة ماجستير لم تنشر ، جامعة دمشق ، ١٤٠٩ هـــ / ١٩٨٨ م .

٢- أحمد (أحمد رمضان) الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع د. ط ، د. ت.

٣- أحمد (نفيس): الفكر الجغرافي التراث الإسلامي ، ترجمة فتحي عثمان ، الكويت ، دار العلم ، ط٣ ، ١٤٠٤ هـــ – ١٩٨٤م.

٤- أمين (أحمد): فجر الإسلام ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٨ ، ١٩٦١م.

٥- بدوي (أحمد أحمد): الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ط١ ، د. ت.

٦- البغدادي (اسماعيل باشا): هدية العارفين ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية ، استنامبول ، ١٩٥٦م ، مج١ ، مج ٢.

٧- بيضون (ابراهيم): مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية ، بيروت ، دار المؤرخ العربي ، ط١ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٨- بيطار (أمينة): تاريخ العصر الأيوبي ، دمشق ، دار الطباعة الحديثة ، ١٤٠١-١٤٠٢هـ/١٩٨١-١٩٨٢ م.

٩- ترحيني (محمد أحمد):

١٨- المؤرخون والتأريخ عند العرب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤١١ هـ/١٩٩١م.

- حسن (محمد عبد العنى):

١٠- التراجم والسير ، د. م ، د. ن -١٩٥٥.

١١- التاريخ عند العرب ، القاهرة ، دار المعارف ، د. ت.

- حسين (طه):

١٢- في الأدب الجاهلي ، القاهرة ، ١٩٢٧.

- حلاق (حسان):

١٣- مقدمة في مناهج البحث التاريخي ، دار النهضة العربية ، د. م ، ١٩٨٦م.

- حميدة (عبد الرحمن):

١٤- أعلام الجغرافين العرب ، دمشق ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٨٠م.

- خضر (عبد العليم عبد الرحمن):

١٥- المسلمون وكتابة التاريخ ، الرياض ، الدار للكتاب الإسلامية ، ط٢ ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٩٥م

- الخطيب (نشأت نور الدين):

١٦- التاريخ والمؤرخون العرب تصور ومنهج ، د. م ، الناشر شركة النعمان التجارية. ط١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م.

- الخطيب (مصطفى):

١٧- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٩٩٦م.

- الجمل (شوقي):

١٨- علم التأريخ نشأته وتطوره ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، ١٩٨٢م.

- الدفاع (علي بن عبدالله):

١٩- رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية والإسلامية ، السعودية ــ الرياض ، مكتبة التوبة ، ط٢ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

- الدوري (عبد العزيز):

٢٠- بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية. ١٩٦٠م.

- الزحيلي (محمد):

٢١- مرجع العلوم الاسلامية، دمشق، دار المعرفة، د.ت.

- الزركلي (خير الدين):

٢٢- الأعلام ، لبنان ــ بيروت ، دار العلم للملايين ، ط١٧ ، جـ١٠ ، جـ٤ ، جـ٦ .

- زكار (سهيل):

٢٣- من التاريخ المظفري لابن أبي الدم ، انظر الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، جـ٢١.

٢٤- من التاريخ الصالحي لابن واصل ، انظر الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية تأليف وتحقيق وترجمة سهيل زكار ، دمشق ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م ، جـ٢١.

- زيدان (جرجي):

٢٥- تاريخ أداب اللغة العربية ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٧م ، جـ٣.

- سالم (السيد عبد العزيز):

٢٦- التاريخ والمؤرخون العرب ، الإسكندرية ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٦٧م.

٢٧- مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية ، الاسكندرية ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، د. ت.

- سبانو (أحمد غسان):

٢٨- مملكة حماه الأيوبية ، دمشق ، دار قتيبة د.ت.

- الشريف (أحمد ابراهيم):

٢٩- مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، د. م ، د. ن ، د. ت.

- الشكعة (مصطفى):

٣٠- مناهج التأليف عند العلماء المسلمين ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣م.

- الشيخ (عبد الرحمن عبدالله):

٣١- المدخل إلى علم التاريخ ، الناشر المكتبة الأكاديمية ، ط١ ، ١٩٩٤م.

- الصابوني (أحمد):

٣٢- تاريخ حماه ، المطبعة الأهلية ، حماه ، د. ت.

- الصالح (صبحي):

٣٣- مباحث في علوم القرآن، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٨ ، ١٩٧٤ م

٣٤- علوم الحديث ومصطلحه ، مطبعة جامعة دمشق ، ط١ ، ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٩ م.

- ضومط (أنطوان):

٣٥- التأريخ في العصور الوسطى الإسلامية ، بيروت ، دار الحداثة ، ط١ ، ٢٠٠٥ م.

- طه (عبد الواحد ذنون):

٣٦- أصول البحث التاريخي ، ليبيا ــ بنغازي ، دار المدار الإسلامي ، ط١ ، ٢٠٠٤ م.

- عاشور (فايد حماد محمد):

٣٧- العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي ، تقديم جوزيف نسيم يوسف ، دار المعارف ، د. ت.

- عبد الحميد (صائب):

٣٨- علم التاريخ ومناهج المؤرخين في علم التأريخ نشأة وتدويناً ونقداً وفلسفة ومناهج كبار مؤرخي الإسلام ، لبنان ــ بيروت، الغدير ، ط١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م.

- عثمان (محمد فتحي):

٣٩- المدخل إلى التاريخ الإسلامي ، د. م ، دار النقاش ، د. ت.

- العلبي (أكرم حسن):

٤٠- دمشق بين العصر المملوكي والعثماني ، دمشق ، الشركة المتحدة للطباعة والنشـــر ، ط١ ، ١٤٠٢هـــ / ١٩٨٢م.

- عوض (محمد مؤنس أحمد):

٤١- الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط١ ، ١٩٩٢م.

- فروخ (عمر):

٤٢- تاريخ الأدب العربي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، د. ت ، جـــ٣.

٤٣- تاريخ الجاهلية ، بيروت ، ١٩٦٤م.

- القمي (عباس):

٤٤- الكني والألقاب ، ، لبنان ــ بيروت ، مؤسسة الوفاء ، ط٢ ، ١٤٠٣ هـــ /١٩٨٣م ، جـــ٣.

- كاشف (سيدة):

٤٥- مصادر التاريخ الإسلامي ، لبنان ــ بيروت ، دار الرائد العربي ، ١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م.

- كحالة (عمر رضا):

٤٦- معجم المؤلفين ، بيروت ، مكتبة المثنى ، د. ت ، جـــ١٣.

٤٧- المستدرك على معجم المؤلفين ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٦ هـــ /١٩٨٥م.

٤٨- أعلام النساء ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ط٤ ، ١٤٠٢ هـــ/ ١٩٨٢م ، جـــ ٢.

- كرد علي (محمد):

٤٩- خطط الشام ، دمشق ، الناشر مكتبة النوري ، ط٢ ، ١٤٠٣ هـــ / ١٩٩٣م ، جـــ٤.

- الكيلاني (أحمد قدري):

٥٠- أبو الفداء والملوك الأيوبيين فـــي مملكـــة حمـــاه ، دمشـــق ، المطبعـــة الأهليـــة ، ط٢ ، ١٤٢١هـــ/٢٠٠٠م.

- الكيلاني (راشد):

٥١- حماه تاريخ وحضارة ، حمص ، مطبعة اليمامة ، د. ت.

- ماجد (عبد المنعم):

٥٢- مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي تعريف بمصادر التاريخ الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٤م.

٥٣- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

- مصطفى (شاكر):

٥٤- التاريخ العربي والمؤرخون ، لبنان ــ بيروت ، دار العلم للملايين ، ط٣ ، ١٩٨٧م ، جـ١ ، جـ٢ ، جـ٣ ، جـ٤.

٥٥- في التاريخ الشامي ، دمشق – دار طلاس ، ط١ ، ١٩٩٨م.

٥٦- موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها ، لبنان ــ بيروت ، دار العلم للملايين ، ط١ ، آذار ، ١٩٨٣م ، جـ٢.

- منجد (صلاح) وآخرون:

٥٧- منهج البحث التاريخي ، جامعة دمشق ، ط١ ، د. ت.

- النجار (حسين فوزي):

٥٨- التاريخ والسير ، القاهرة ، الثقافة والإرشاد القومي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دار العلم ، ١٩٦٤م.

٢. المراجع المترجمة إلى العربية:

١- أ. أشتور: التاريخ الإقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى. ترجمة عبد الهادي عبلة ، مراجعة أحمد غسان سبانو ، دار قتيبة ، ١٩٨٥م.

٢- حتي (فيليب): تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٨٣م ، جـ٢.

٣- روزنثال (فرانز): علم التأريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، مراجعة محمد توفيق حسين ، بغداد ، الناشر مكتبة المثنى ، ط١ ، ١٩٦٣م.

٤- كاهن (كلود): تاريخ الشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الأمبراطورية العثمانية ، ترجمة بدر الدين الفاسي ، بيروت ، مج١ ، ط١ ، ١٩٧٢م.
٥- كب: علم التأريخ ، ترجمة ابراهيم خورشيد ، عبد الحميد يونس ، حسن عثمان ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، ١٩٨١ م.
٦- كراتشكوفسكي (أغناطيوس) : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقلة عن الروسية ، صلاح الدين عثمان هاشم ، دار الغرب الإسلامي ، ط٢ ، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٧ م.
٧- لويس(برنارد) ، ب. م هولت: مؤرخو العرب والإسلام حتى العصر الحديث ، ترجمة سهيل زكار ، دمشق ، دار التكوين ، ٢٠٠٨م.
٨- مارغوليوس: دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة حسين نصار ، بيروت ، دار الثقافة ،د.ت.
٩- هاملتون (جب): دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة إحسان عباس ، محمد نجم زايد ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٤ م.

٤. الأبحاث والدوريات والمقالات:

- حميدة (عبد الرحمن):
١- أبو الفداء: احتفالية حماه بذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة المؤرخ أبي الفداء، حماه ، ١٩٧٤م.
- الحوراني (محمد غالب):
٢- الصناعات في حماه التقليدية القديمة والحديثة والمتطورة ، مجلة العمران. عدد ٢٩-٣٠، حماه ١٩٧٤م.
- زريق (قسطنطين):
٣- عبرة من عصر ، احتفالية حماه بذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة المؤرخ أبي الفداء ، حماه، ١٩٧٤م.
- زكار (سهيل):
٤- أبو الفداء والبيئة ، احتفالية حماه بذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة المؤرخ أبي الفداء ، حماه، ١٩٧٤م .

- شحادة (كامل):

٥- مأثور نور الدين محمود زنكي العمرانية في حماه ، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية ، ١٩٧٠م ، ق١ ، مج١ .

- العظم (إحسان):

٦- حماه في عصر أبي الفداء ، احتفالية حماه بذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة المؤرخ أبي الفداء ، حماه، ١٩٧٤م .

- الكيلاني (شوقي):

٧- تطور التعليم في حماه ومراحلة ، مجلة العمران ، عدد ٢٩-٣٠ ، حماه ، ١٩٧٤م.

- الكيلاني (قدري) ، شحادة (كامل):

٨- أبو الفداء ملكاً وعالماً ، احتفالية حماه بذكرى مرور سبعمائة عام على ولادة المؤرخ أبي الفداء ، حماه ، ١٩٧٤م.

٣. المراجع الأجنبية:

1- AA,DURI," the irag school of history to the ninth century "IN History of the Middle East,ed, Bernard Lewis,OXFORD university press, 1964.

2- Cinn(H.A.R): Islamic Biographical Literatare, Historians of the East (ed Bernad Lewiset Holl, London, 1962).

3- De slan Autobiographie d'Aboul Feda, Extraite de sa chronique, R.H.C, T.I.

4- De planhol, the world of Islam, new York, 1959.

الفصل الرابع

نماذج من المؤرخين الحمويين والوافدين

١ ــ ابن الوردي ٦٨٨ – ٧٤٩ هـ /١٢٨٩ ــ ١٣٤٨م

أ ــ شيوخه وتلامذته

ب ــ مؤلفاته.

ت ــ منهجه في التأريخ

ث ــ مقارنة بين موارد ومنهج أبو الفداء وابن الوردي

٢ ــ ابن جماعة ٦٩٤ – ٧٦٧ هـ /١٢٩٤ ــ ١٣٦٥ م

أ ــ شيوخه وتلامذته

ب ــ مؤلفاته.

ت ــ منهجه

٣ ــ المؤرخون الوافدون إلى حماه

البرزالي ٦٦٥ ــ ٧٣٩ هـ /١٢٦٦ ــ ١٣٣٨ م نموذجاً

أ ــ شيوخه

ب ــ تلامذته

ت ــ مؤلفاته.

ث ــ منهجه في التأريخ

نماذج من المؤرخين الحمويين والوافدين:

مثل الفكر العربي الإسلامي مجموعة من المؤرخين الذين استطاعوا استيعاب كل الاتجاهات في حركة التأليف التاريخي، فكانوا بحق الممثلين النموذجيين للحضارة العربية الإسلامية في القرن السابع الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وما تلاه من القرون الأخرى، فأصبح علم التاريخ وثيق العرى بغيره من العلوم كالأدب والجغرافية، والإقتصاد، والإجتماع، والعلوم الدينية التي كان لها الدور الأبرز فيه، وفي تحريك كثير من مفاصله، ودواعي تأليفه، وكتّابه الذين كانوا في الأعم الغالب فقهاء، ومحدثين، وحفّاظاً، ومفسرين بالإضافة إلى كونهم مؤرخين، فظهر عدد من المؤرخين الحمويين اهتموا إضافةً إلى التاريخ بالعلوم الأخرى ، ومنهم مَنْ كانوا رجال دولة وسياسة ومن أشهر هؤلاء:

١ــابن الوردي: ٦٨٨ ــ ٧٤٩ هـ / ١٢٨٩ ــ ١٣٤٨ م

أبو حفص البكري، زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد المولود بمعرة النعمان حوالي سنة ٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩م، والمتوفي بالطاعون سنة ٧٤٩ هـ /١٣٤٨م [١]. أحد المؤرخين المشهورين في هذا العصر كان إماماً، فقيهاً، بارعاً، أديباً، نحوياً، مؤرخاً، جغرافياً، شاعراً، مفنناً في العلم، جمع بين ممارسة الأعمال العلمية والادارية، فقد تنقل بين مختلف المناطق ودرس في معرة النعمان وفي حلب، واشتهر بأنه شاعر، لكن أكثر شعره ألفه لبلده معرة النعمان.

وللنابهين الذين ظهروا فيها، وبعد أن استعفى ابن الوردي من القضاء[٢] بدأ حياته من جديد في البحث والتفرغ للعلم دراسة وتدريساً بحيث ظهرت شهرته كمؤرخ وذلك من خلال كتابه تتمة المختصر في أخبار البشر[٣].

١- الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص ١٥٧ ــ ١٦٠- الذهبي والحسيني: من ذيول العبر، ص ٢٧٢- السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج١، ص ٣٧٣ ــ ٣٧٧- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٣، ص ٣٧٢ ــ ٣٧٣- السيوطي: بغية الوعاة ، ص ٢١٨ ــ ٢١٩- ابن الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦- ابن الغزي: ديوان الإسلام، ج٤، ص ٣١٥ــ٣١٦- الشوكاني: البدر الطالع، ص ٥١٥ ــ ٥١٦- مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٤، ص ٧٢ ــ ٧٣.

٢- السيوطي: بغية الوعاة، ج٢، ص ٢١٨ــ ٢١٩- مصطفى: المرجع السالف، ج٤، ص ٧٢ ــ ٧٣.

٣- مصطفى: المرجع السالف، ج٤، ص ٧٢ ــ ٧٣.

أ ــ شيوخه وتلامذته:

تتلمذ ابن الوردي على كثير من الشيوخ العارفين والفقهاء والقضاة منهم:

شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن نجم الدين أبي محمد عبد الرحيم بن البارزي. تتلمذ ابن الوردي عنده حيث ذكر في مصنفه تتمة المختصر (في ذي القعدة توفي شيخي المحسن إليّ، ومعلمي المتفضل قاضي القضاة شرف الدين أبو القاسم هبة الله ...) ولم يكن هو الوحيد الذي تتلمذ على يديه وإنما شاركه أيضاً فخر الدين عثمان بن زين الدين علي بن عثمان المعروف بابن خطيب جبرين الذي كان فاضلاً في الفقه ومشاركاً في المنطق، والبيان، له العديد من المصنفات أشهرها (شرح مختصر ابن الحاجب في الاصول)، و(شرح البديع لابن الساعاتي)، توفي سنة ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨ م[١]، ذكر ابن الوردي أيضاً أنه تلميذ عند ابن خطيب جبرين، ويضاف إليهم عيسى بن عيسى بن علوان السرحاوي العليمي، وتاج الدين جعفر السراج الحلبي[٢].

تلامذته:

اشتهر ابن الوردي، وذاع صيته بين الناس، وأصبح معروفاً من طلبة العلم، ورواد المعرفة فسارعوا بالرحلة إليه، والأخذ عنه والسماع عليه ومنهم:

بدر الدين أبي اليسر محمد بن القاضي عز الدين محمد بن الصائغ الدمشقي، كان عالماً، فاضلاً، زاهداً، توفي سنة ٧٣٩ هـ /١٣٣٨ م[٣].

مؤلفاته:

تميزت الحقبة التي عاصرها ابن الوردي بكثرة عدد العلماء والمؤرخين والأدباء، وكان ابن الوردي من المؤرخين الذين تمتعوا بمنزلة عالية، ووجاهة عظيمة، وعلم غزير، فدون العديد من المصنفات التاريخية ومن أهمها:

١- أبو الفداء: المختصر، ج٤، ص ١٢٧- الذهبي والحسيني: من ذيول العبر، ص ٢٠٥- ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣، ص ٦٠ ــ ٨٥- ابن الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ٢١٤.

٢- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢، ص ٤٤٢ ــ ٤٦٤.

٣- الذهبي والحسيني: من ذيول العبر، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧- ابن الحنبلي: المصدر السالف، ج٨، ص ٢١٦.

٢ ــ صفو الرحيق في وصف الحريق:

ربما المقصود حريق حماه سنة ٧٣٥ هـ /١٣٤٤ م، والذي ذهبت به الأموال واحترق ٢٥٠ دكاناً[١].

٣ ــ نظم البهجة الوردية في خمسة آلاف وثلاث وستين بيت[٢].

٤ ــ شرح ألفية ابن مالك[٣].

٥ ــ ضوء الدرة[٤].

٦ ــ تتمة المختصر في أخبار البشر (دراسته)

شهدت حركة تدوين التاريخ في العصر الأيوبي تطوراً مذهلاً تمثل بظهور الموسوعات التاريخية الضخمة، والتي غالباً ما تبدأ منذ الخليقة، وحتى عصر المؤلف أمثال تتمة المختصر لابن الوردي، والذي بدأ الكتابة فيه منذ الخليقة وحتى سنة ٧٤٩ هـ /١٣٤٨م.

ويتألف الكتاب من جزأين، اهتم الجزء الأول بدراسة بداية الخليقة، أخبار الأنبياء كما تضمن عرضاً رائعاً لتواريخ ما قبل الإسلام مثل بني إسرائيل، الإغريق، الرومان، اليونان، فراعنة مصر، الفرس، النصارى[٥] وضمنه المؤرخ أيضاً الأخبار التي شهدها النبي محمد (ص) قبل الإسلام، ثم انتقل إلى دور الرسالة، فتحدث عن الحقبة المكية من بدء نزول الوحي إلى بيعة العقبة،ثم تناول الحقبة المدنية من الهجرة والمغازي، والسرايا، ثم رسائل وسفارات الرسول إلى هرقل وكسرى، ثم يشير إلى حجة الوداع والمرض الأخير للرسول ووفاته إثر ذلك[٦].

وهكذا أعطى ابن الوردي إطاراً واضحاً للسيرة النبوية، وقد راعى بصورة عامة التسلسل التاريخي للحوادث، وذكر بعض التواريخ مثل تاريخ الهجرة، وتواريخ بعض الغزوات.

كما تناول حقبة الخلفاء الراشدين فتحدث عن اختيار أبي بكر (رضي الله عنه) خليفة وعن مدة خلافته، وتحدث عن إنشاء ديوان الجند في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وعن

١- الشوكاني: البدر الطالع، ص ٥١٥ ــ ٥١٦.
٢- الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص ١٥٧ ــ ١٦٠.
٣- ابن الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ٢٧٥ ــ ٢٧٦.
٤- ابن الحنبلي المصدر السالف: ج٨، ص ٢٧٦.
٥- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج١، ص ١٥ ــ ٨٦.
٦- ابن الوردي: المصدر السالف، ج١، ص ١٥١ ــ ٢١١.

بعض الأحداث في عصره، وعن خلافة عثمان (رضي الله عنه)، ثم تحدث عن الفتنة والانقسامات في المدينة، ثم وفاة عثمان (رضي الله عنه)، وانتخاب علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، وعن النزاع بين علي ومعاوية، والأحداث التي أدت إلى تنازل الحسن بن علي عن الخلافة[١] مع أن هذه الحادثة ليست مؤكدة وأرخ أيضاً للأمويين محدداً أبرز أعمالهم على مستوى المجتمع والدولة[٢].

وتابع مع أعمال الخلفاء العباسيين، وما تعرضوا له من ثورات في العراق[٣]، وصور أيضاً ما آلت إليه الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني من تشرذم وانقسام القادة الأتراك وتصارعهم على السلطة[٤].

وتجلت براعته الكتابية أثناء تأريخه للخلافة الفاطمية بإظهار أحداثها، بحيث تقاطعت في المشرق العربي[٥]، وأبرز تعاطفه واهتمامه بعماد الدين زنكي وذلك لرغبته الصادقة بتأسيس جبهة إسلامية عريضة للقضاء على الصليبيين، ولحسن أخلاقه والمقدرة على سياسة البلاد بدراية.

وانتقل بعدها للحديث عن ابتداء الدولة الأيوبية، ووصف حروب صلاح الدين وشجاعته مع الصليبيين، كما صور الأحداث المحلية بحيث ذكر العلاقات بين أبناء البيت الأيوبي من جهة ووصف الخطر المتزايد من قبل المغول، والخوارزمية من جهة أخرى[٦]، واستيلاء المغول على بغداد[٧]، ورسم صورة الوضع في العراق، ثم ثم أنهى الحديث بسقوط عاصمة الخلافة بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م[٨] مع أن المسوغات التي قدمها بعض المؤرخين لا تشكل الركيزة أو الدعامة التي حددت بالخلافة العباسية إلى السقوط، بل تضافرت عوامل كثيرة سببت هذا الانهيار للخلافة

١- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج١، ص ٢١٣ ــ ٢٥٣.

٢- ابن الوردي: المصدر السالف، ج١، ص ٢٥٢ ــ ٢٨١.

٣- ابن الوردي: المصدر السالف، ج١، ص ٢٨٣ ــ ٣٠٥.

٤- ابن الوردي: المصدر السالف، ج١، ص ٣٣٨ ــ ٣٩٣.

٥- ابن الوردي: المصدر السالف ، ج١، ص ٤٠٠ ــ ٥٧٥، ج٢، ص ٥ ــ ١١٥.

٦- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ١١٥ ــ ٢٢١.

٧- بغداد: من آخر الإقليم الثالث، وتقع على شط دجلة، فالجانب الغربي منها يسمى الكرخ والجانب الشرقي يسمى عسكر المهدي، وذلك لأن المهدي المنصور أول من سكنه بعسكره ويسمى أيضاً الرصافة؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣.

٨- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٢٨٢ ــ ٢٨٧.

العباسية، حيث بدأت عوامل الضعف، تدب بجسم الخلافة منذ تحكم القادة الأتراك والفرس وغيرهم بالخليفة نفسه، ولم يغفل المؤرخ دور المماليك وأعمالهم ومنها الجهاد ضد الصليبيين ودفاعهم عن بلاد الإسلام[١].

كما تضمن كتابه جوانب اجتماعية كالاحتفالات الدينية لليهود والنصارى[٢]. وتحدث أيضاً عن بعض النواحي الاقتصادية كوصف الغلاء بمصر، ودمشق[٣]، وحلب[٤]، فذكر المؤرخ أن الغلاء بدمشق كان أشد بحيث ارتحل كثيرون منها إلى حلب، وكان ذلك سنة ٧٤٨ هـ /١٣٤٧م [٥].

ولم تقل الحوادث الطبيعية اهتماماً عند ابن الوردي عما سبقتها من النواحي الاقتصادية والاجتماعية فقد أولاها عناية ملحوظة وأوضح آثارها فذكر هطول الأمطار الغزيرة، وما سببته من أضرار مادية وبشرية ومن الأمثلة على ذلك ما حدث سنة ٦٨٢ هـ /١٢٨٣م[٦].

وتطرق المؤرخ أيضاً إلى ذكر الآفات الزراعية التي كانت تداهم الزراعة، ومنتجاتها، فذكر تأثيرها السلبي، وإفسادها للغلات، وآثارها على الناس، ومنها ما حدث سنة ٧٤٣ هـ /١٣٤٢م[٧]. كما تحدث عن الأوبئة، والأمراض التي كانت تعصف بالمجتمع والحيوانات وما تسببه من خسائر فادحة[٨].

من خلال ما تقدم يمكن القول بأن الكتاب له أهمية تكمن في:

١. أنه كتاب جامع لتاريخ الحوادث والأخبار، وتاريخ العلم والعلماء، والأدب والأدباء، وهذه الميزة التي وجدت في هذا الكتاب تعود إلى أن مؤلفه لم يتخذ التأريخ صنعة وحرفة يتخصص بها ويقتصر جهده عليها، بل اعتبره علماً كسائر العلوم التي درسها، وتعمق

١- ابن الوردي: تتمة المختصر ، ج٢ ، ص ٣١٠ ــ ٣٥٦.

٢- ابن الوردي: المصدر السالف، ج١، ص ١٢٥ ــ ١٢٦، ص ١٢٨ ــ ١٣٠.

٣- دمشق: من آخر الإقليم الثالث وهي مدينة أولية مشهورة وقاعدة الشام، وفي شمالها جبل يعرف بجبل قاسيون؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣.

٤- حلب: تقع في الإقليم الرابع من قواعد الشام العظيمة وهي من جند قنسرين وهي بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة ولها بساتين ويمر بها نهر قويق؛ أبو الفداء: المصدر السالف ، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧.

٥- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٤٩٥.

٦- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٣٣.

٧- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٤٨١.

٨- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٤٨٩.

بها. فدون بها مؤلفات ومصنفات شاملة كانت ولازالت مرجعاً لكل من يريد الاستزادة والمعرفة.

٢. إلمام ابن الوردي بعلم التاريخ عند العرب المسلمين منذ نشأته حتى عصره، فحفظ بذلك ثروة تاريخية عظيمة، كادت تضيع لولا تدوين بعضها في تتمة المختصر.

٣. امتاز هذا الكتاب بفيض غزير من التراجم، لا للحكام والسلاطين والخلفاء، والقادة والشخصيات السياسية فحسب بل للفقهاء، والأدباء، والعلماء، والشعراء مع قسط وافر من شواهد نبوغهم في فنهم علماً كان أو فقهاً، أو بلاغة ، أو خطابة، أو شعراً، كما ترجم ابن الوردي لكثير من الشخصيات التي وجدت قبل عصره، وشخصيات معاصرة له، ولا يخفى أن كتابة التراجم ليس بالأمر السهل، لأن كاتبها يتعرض بالذكر لأناس ماتوا لهم حسناتهم وسيئاتهم، ويتطلب الحكم عليهم نظرة أمينة فاحصة بعيدة عن الظن وسليمة من التحيز، مجردة من العاطفة، فعلى المؤرخ أن يعطي كل ذي حق حقه دون إفراط أو تفريط، ويزداد الحرج الذي يصادفه إذا كان يكتب عن شخص تربطه به صلة من الصلات فلا بد أن يكون كالقاضي المنصف.

ج ــ منهجه في التأريخ:

جعل ابن الوردي مؤلفه مرتباً حسب السنين، وابتدأ تاريخه منذ بدء الخليقة فلذلك عمد في الجزء الأول من تاريخه الذي تناول فيه حقبة ما قبل الإسلام إلى عرض الحوادث بدون ترتيب حسب السنين، لأن ذلك كان مستحيلاً ومع تناوله لحقبة ظهور الإسلام، بدأ كتابه بمراعاة ترتيب الحوادث ترتيباً زمنياً دقيقاً عاماً بعد عام من الهجرة إلى سنة ٧٤٩ هـ /١٣٤٨م. ويلاحظ من خلال الإطلاع على تتمة المختصر أن هناك حوادث بعض السنوات أوردها المؤلف بشكل مختصر جداً من سنة ٤٦ هـ /٦٦٦ م وإلى سنة ٥٣ هـ / ٦٧٢ م بحيث يكاد يكتفي بسطرين لكل سنة[١].

أما بالنسبة للتراجم فإنه على الرغم من تفاوت تراجم ابن الوردي نتيجة لما احتواه من خليط أعلام لكن ثمة ما يجمعهم، وهو الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية، ورفدها بالجديد ورفع مستواها، ووضعها جنباً إلى جنب مع أزهى عصور النهضة، فقد اتبع ابن الوردي منهجاً في التراجم يبدأ بذكر اسم من يترجم له واسم أبيه وجده، وكان يلي اسم صاحب الترجمة وكنيته ونسبه، وكانت ولادة صاحب الترجمة تلي الاسم وملحقاته، وقد حرص على ذكر المولد في

١- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج١، ص ٢٥٥.

أغلب التراجم، أما الوفاة فيضعها في آخر الترجمة، ولم يذكر المولد والوفاة معاً في بداية الحديث عن المترجم له كما فعل غيره من المؤرخين، ولكنه في بعض الأحيان لم يذكر تاريخ المولد بل يكتفي بذكر عمره وعن هذا الطريق يتحدد تاريخ مولده، علماً أن تاريخ الوفاة معلوم، ومن الأمثلة على ذلك " ... توفي الملك المظفر صاحب حماه تقي الدين محمود بن الملك المنصور محمد بن المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب يوم السبت ثامن جمادى الأولى ... عاش ثلاثاً وأربعين سنة ... "[١].

وكان يؤرخ الولادة بالسنة والشهر واليوم، وأحياناً اليوم من الأسبوع ويستعمل في بعض الأحيان لفظ (مستهل أو خلون)، أو يحدده في يوم مشهور كيوم عرفة أو عاشوراء، أو في أجزاء اليوم كقوله عند الغروب أو السحر، أو بعد الصلاة ومن الأمثلة.

"... توفي المستنصر بالله[٢] أبو جعفر المنصور بن الظاهر محمد بن الناصر أحمد بكرة الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة ... ".

قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين[٣].. ليلة الجمعة حادي عشر ربيع الآخر أول الليل.."[٤].

أما عمر صاحب الترجمة، فكان يرد في الغالب بعد تاريخ الوفاة فهو يحدده بالسنين أو يعطي أرقاماً مقاربة لقوله: قارب أو جاوز ...

١- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢، ص٢٥٤ .

٢- المستنصر بالله: أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور ابن الظاهر بأمر الله محمد بن الناصر لدين الله أحمد ابن المستضي بأمر الله حسن ابن المستنجد بالله يوسف البغدادي ولد سنة ٥٨٨ هـ /١١٩٢م، وأمه تركية بويع عند وفاة والده يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ٦٢٣ هـ /١٢٢٦م، فنشر العدل وقرب العلماء وبنى المساجد والمدارس والربط ودور الضيافة والمارستانات وكانت دولته سبع عشرة سنة؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص ١٥٥ ــ ١٦٨.

٣- حسام الدين لاجين: هو لاجين المنصور حسام الدين بن عبد الله المنصوري من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام وهو الحادي عشر من ملوك الترك، وكان مملوكاً للمنصور قلاوون وإليه نسبته، وتقدم إلى أن تولى نيابة السلطنة في أيام العادل كتبغا ثم خلع العادل وتولى السلطة سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥م، وتلقب بالملك المنصور، وجعل مملوك منكوتمر نائباً للسلطة، وأساء هذا السيرة فكره الناس (لاجين) فقام بعض مماليك الأشرف خليل فقتلوه سنة ٦٩٨ هـ /١٢٩٨م، وكان مهيب الشكل، موصوفاً بالفروسية عاقلاً يحب العدل ومجالسة الفقهاء، أبطل كثيراً من المكوس ؛ ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٨، ص ٨٥.

٤- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢، ص ٣٥٠.

أما أسباب الوفاة فهو يذكرها مرة ويهملها مرة أخرى مثال وفاة بهرام بن أرتق صاحب حلب[١]، أما مكان الوفاة فكان يحدد بالمدينة أو بالمحلة[٢].

واعتمد ابن الوردي أسلوب الإسناد في الرواية، وهذا ليس بأسلوب جديد بل كان متبعاً منذ بداية التاريخ للحوادث وقد سبقه في ذلك الكثيرون، ومن الأمثلة على أسلوب الإسناد: " روى البيهقي بإسناده المتصل بالعباس رضي الله عنه قال ... "[٣].

مما لا ريب فيه أن معاصرة المؤرخ لأحداث زمانه تطبع روايته التاريخية بطابع الصدق والدقة فالمؤرخ الذي يعيش في زمن قريب من الزمن الذي دارت فيه الأحداث التي يقوم بتأريخها أقدر من غيره من المؤرخين اللاحقين على تصويرها بألوانها الحقيقية، وذلك لأن الكتابة التاريخية المعاصرة لزمن الأحداث، تعتمد كثيراً على المعاينة، والمشاهدة، والسماع من مصادر متنوعة وهو تطبيقاً لمقولة (التاريخ خبر ورؤية)، فالجزء الذي عاصره اعتمد فيه على مشاهدته للأحداث، ومشاركته لها، حيث دون كل ما يستطيع أن يقف عليه من معلومات عن أحداث شاهد وقوعها عن قرب أو بعد وتأثر بها وأثر فيها، أو نقلها إليه ثقة.

كما التقى ابن الوردي بالكثير من الأعلام من مختلف الطبقات وتلقى منهم الأخبار والأحاديث، وكان يدونها بقوله: (قال لي)[٤]، (بلغنا)[٥] عدا اقتباساته عن شيوخه، ومن الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر: (أخبرني والدي رحمه الله تعالى انه رأى شحنة التتار على قلعة المعرة ...)[٦]، (أخبرني شيخنا قاضي القضاة شرف الدين هبه الله بن البارزي...)[٧]، (لقد أخبرني الثقاة ...)[٨]، (أخبرني بعض من بني تيمه ...)[٩] وفي بعض الأحيان كان يغفل ذكر اسم من من أخذ عنه مكتفياً بالقول: (حدثني رجل من السماسرة ...)[١٠]

١- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج٢، ص ٥٢.
٢- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ١١٣.
٣- ابن الوردي: المصدر السالف ، ج٢، ص ١٥٢.
٤- ابن الوردي: المصدر السالف ، ج٢، ص ٤١٤.
٥- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٤٦٣، ٤٧٨، ٤٨٨.
٦- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٢٩٥.
٧- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٣١٨.
٨- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٣٧٩.
٩- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٤٩٦.
١٠- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٤٢٠.

ولم يقتصر عمل ابن الوردي على المشاهدات فقط بل اعتمد في تدوين تاريخه على عدد من المصنفات كان صريحاً بذكرها، حيث امتاز باعتماده منهج التعريف بالمورد الذي ينقل عنه والإشارة إليه، وإلى اسم مؤلفه صراحةً في كتابه، ولم يكتف بانتقاء المورد على أساس قرب مؤلفه من الحدث، أو معاصرته له بل اعتمد أيضاً على شهرة مؤلف المورد، ومكانته العلمية، والملاحظ من أسماء المؤلفين الذين ذكرهم في مؤلفه أنهم بمجملهم أعلام في مجال تخصصهم، متميزون بعلمهم ومن الأمثلة على ذلك (عن ابن الجوزي ...)[١]، (من كتاب أبي عيسى...)[٢]، (من تاريخ ابن القفطي[٣] وزير حلب قال...)، (قال ابن الأثير...)، (في تاريخ ابن خلكان...)، (قال ابن خلكان، وابن أبي الدم ...)[٤] ودعم ابن الوردي مؤلفه التاريخي بنصوص لوثائق تمكن من الحصول عليها، وهذه مقتطفات منها: (ورد مرسوم السلطان بإطلاق مكس الغلة بالبلاد الشامية...)[٥]، (ورد كتاب من القاهرة أن السلطان الملك الناصر نصره الله أبطل مكس المأكول بمكة زادها الله شرفاً...)[٦].

١- ابن الوردي: تتمة المختصر، ج١، ص ١٨.

٢- ابن الوردي: المصدر السالف، ج١، ص ٤٧.

٣- ابن القفطي: القاضي الأكرم، الوزير الأوحد جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي المصري صاحب " تاريخ النجاة "، وله " أخبار المصنفين وما صنفوه "، و" أخبار السلجوقية " و" تاريخ مصر "، كان عالماً متفنناً جمع من الكتب شيئاً كثيراً يتجاوز الوصف ووزر بحلب توفي في رمضان سنة ٦٤٦ هـ /١٢٤٨م ؛ الذهبي: النبلاء، ج٢٣، ص ٢٢٧.

٤- ابن الوردي: المصدر السالف، ج١، ص ١٢٠، ٤٧٣، ج٢، ص ٦٥ ، ٨٩.

٥- ابن الوردي: المصدر السالف ، ج٢، ص ٣٩٢.

٦- ابن الوردي: المصدر السالف، ج٢، ص ٣٩٠.

دــ مقارنة بين موارد ومنهج أبو الفداء وابن الوردي:

يعد تاريخ أبي الفداء "المختصر في أخبار البشر" تكلمةً لتاريخ ابن الأثير المتوفى سنة٦٣٠هـ/١٢٣٢م فقد أخذ كتاب الكامل ولخصة وأدخل فيه كثير من أخبار الأدباء والعلماء وتوسع في أخبار العرب قبيل الإسلام وأبقاه على حوادث السنين وجاء بعد أبو الفداء عمر ابن الوردي فاختصر تاريخ أبي الفداء وذيله إلى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م وعند الإطلاع على كتاب المختصر في أخبار البشر وتتمة المختصر يتضح أن :

- كلاهما ترتبط نظرته السياسية بالتوجه الإسلامي العام والشامل الذي ساد نظرات المؤرخين العرب المسلمين منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي والذي جعل من ظهور الإسلام مفصلاً أساسياً في حياة الشعوب وخصوصاً المسلمين لذلك استهلا مؤلفيهما ببداية الخلق وتاريخ الأنبياء رابطين بينها وبين الإسلام .

- من الواضح أن أبا الفداء وابن الوردي نظرا إلى التاريخ من الناحيتين السياسية والعسكرية من دون أن يوليا المجتمع والإدارة والإقتصاد منزلة كبيرة في مؤلفاتهم بحيث قدموا السياسة والدور العسكري على النواحي الحضارية التي لم تشغل حيزاً كبيراً كما أن كل منهما امتاز بوضع جداول تتضمن ما بين التواريخ المشهورة من المدد.

من حيث النقل من الموارد : كلاهما كان يشير إلى الموارد المنقول منها بذكر اسم المؤلف وعنوان الكتاب وهذا المنهج وفر إمكانية التعرف على العديد من عناوين الكتب التي كانت معروفة ومتداولة في زمانهما وغير معروفة في الزمن الحاضر كما ساعد هذا المنهج على تثبيت نسبة كتاب ما إلى مؤلفه وتصحيح عناوين بعض الكتب التي عرفت بعناوين غير عناوينها الدقيقة .

- كلاهما أشار إلى موضع النقل من الموارد وهذا يساعد على الوصول إلى المعلومة من مصدرها الأصلي بيسر وسهولة .

- كلاهما كان دقيقاً في نقل موارده .

- كلاهما اتبع منهجاً في مقابلة الروايات وترجيح الصحيح منها.

من حيث المنهج في عرض التراجم : كلاهما ترجم لمختلف فئات المجتمع من الخلفاء والملوك ، والأمراء والسلاطين والقضاة، والوزراء، والسياسيين ، والأدباء ، والمفكرين والفلاسفة، والأطباء ، والمحدثين ، واللغويين ، والنحاة، وسواهم من الشرائح المختلفة في المجتمع.

كلاهما رتب تراجمه حسب السنة التي يؤرخ لها معتمداً اسم المترجم له أولاً ، ثم اسم أبيه وجده ، وكان يلي اسم صاحب الترجمة كنيته ونسبه وقد حرص كل منهما على ذكر المولد في أغلب التراجم.

تختلف تراجم كتابيهما الواحدة عن الأخرى فبعضها لا تزيد عن بضعة أسطر وفي أخرى تبلغ أوراقاً عديدة ، وذلك حسب أهمية ومكانة المترجم له من حيث قيمته العلمية أو الأدبية أو السياسية أو الاجتماعية أو توفر المصادر حوله.

من حيث الموارد : كلاهما اعتمد على موارد عصره والعصر الذي سبقه إضافةً إلى اعتماده على جملة من المصادر الشفهية والتي تعود بمعظمها لحوادث عاصروها إضافة إلى الاقتباسات عن الشيوخ.

أما من ناحية المنهج والاسلوب: كلاهما اتبع المنهج الحولي أي ترتيب الحوادث سنة سنة .

كلاهما عرض مادته الخبرية في وضوح وبساطة وإيجاز متبعين في ذلك أسلوباً سهلاً متجنبين فيه الزخرفة اللفظية .

أوجه الاختلاف:

كتاب "تتمة المختصر في أخبار البشر" أوسع وأشمل من "المختصر في أخبار البشر" من حيث المدة الزمنية التي أرخ لها ابن الوردي والتي ابتدأ بها منذ بداية الخلق وحتى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م بينما ابتدأ أبو الفداء في تدوين مصنفه ببداية الخلق لكنه انتهى في سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م .

لكن أبو الفداء تناول الأحداث بتفصيل أكثر من ابن الوردي ومن الأمثلة على ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

- في سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م[١] ذكر أبو الفداء سبب غزو ملطية وأورد فتحها بتفصيل أكثر من ابن الوردي .

- وفي سنة ٧١٦هـ /١٣١٦م[٢] بدأ أبو الفداء هذه السنة بالتأريخ للسيول العظيمة التي حصلت في حلب وحماه وحمص ... بينما ابن الوردي لم يذكرها نهائياً.

كما يوجد اختلاف في عرض الرواية بين ابن الوردي وأبو الفداء ففي أحداث سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م[٣] ذكر الأول أن (العساكر سارت على السكة إلى حلب ووصل السلطان إلى حلب وتوجه منها إلى قلعة الروم... ونصب المجانيق ودام الحصار حتى فتحت بالسيف... وقتل أهلها ونهب ... واعتصم كتباغيلوس خليفة الأرمن المقيم بها وغيره في القلعة ، ثم طلبوا الأمان...) أما أبو الفداء فقد أورد في تاريخه أن اسم خليفة الأرمن كيناغيلوس، وأنهم لم يطلبوا الأمان إلا بعد أن أمر السلطان صاحب حماه أن يرمي عليهم بالمنجنيق ، وكان منجنيق الحمويين على رأس الجبل المطل على القلعة.

---

(١) انظر أبو الفداء: المختصر، ج ٤، ص٧٤.

(٢) انظر أبو الفداء : المصدر السالف ، ج٤، ص٧٨.

(٣)انظر ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج٢، ص٣٣٨.، أبو الفداء : المصدر السالف ، ج٤،ص٢٦-٢٧.

٢ ــ ابن جماعة ٦٩٤ ــ ٧٦٧ هـ / ١٢٩٤ ــ ١٣٦٥ م

أبو عمر، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، الحموي الأصل، الدمشقي المولد، المصري الدار، الشافعي قاضي القضاة ولد في دمشق سنة ٦٩٤ هـ /١٢٩٤م[١].

كان إماماً، عالماً ، محدثاً، حافظاً، ورعاً ديناً، لين الجانب، حسن السيرة والطريقة والأخلاق كثير التواضع، بصيراً بالأحكام مجتهداً في إقامة الحق، ويعد من كبار المؤرخين الذين أرخوا حقبة هامة من التاريخ الإسلامي، وهي سيرة الرسول محمد (ص).وكان لأسرته في حماه مقاماً معروفاً، ومركزاً مرموقاً في العلم، والفقه واللغة، والقضاء والحديث معروفة بالصلاح والتقوى، فاكتسب العلم منذ نعومة أظفاره، وعرف من آل جماعة عدد من العلماء، والفضلاء المشهورين منهم والد المؤلف قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم وابن عم المؤلف القاضي برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (٧٠٨ ــ ٧٦٤ هـ / ١٣٠٨ ــ ١٣٦٢ م) ، وحفيد المؤلف أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم (٧٤٩ ــ ٨١٩ هـ / ١٣٤٨ ــ ١٤١٦م)[٢].

لذلك من الطبيعي أن يكون ابن جماعة سليل تلك الأسرة الباحثة المنقبة عن أصح الأسانيد في الحديث، والرحالة في طلبه إلى مختلف الأصقاع، قد نهج منهج آبائه في طلب الحديث والبحث عن أصح الأسانيد فيه، وأوثق الرواة، ولعل بحث أسرته عن الحديث وأسانيده ورواته، هو الذي هيأ الجو النفسي والعلمي لكي يكون مؤرخ.

فبين أسانيد الحديث، وأسانيد التاريخ وشائج قربى، وأواصر رحم لاصقة، وبين متون الحديث، ومتون روايات التاريخ، يقوم تشابه في الموضوع والمضمون، وهذا ما دفع البخاري شيخ المحدثين، لأن يكون مؤرخاً أيضاً، وجعل من الطبري، الفقيه، المجتهد عظيماً من عظماء رواة التاريخ.

ففي ظل تلك الأسرة العلمية، نشأ ابن جماعة، وشب على طلب العلم، والاجتهاد فيه حيث ظل يطلبه، ويسعى إليه، فرحل من أجله إلى دمشق، مصر، الإسكندرية، الحجاز[٣].ليستقر به المقام أخيراً في مصر حيث تولى التدريس بالمدرسة الصالحية، ثم بالجامع الأقمر، والزاوية

١- الشوكاني: البدر الطالع، ص ٣٦٦ ــ ٣٦٧.

٢- ابن جماعة (عز الدين بن بدر الدين بن جماعة الكناني ت ٧٦٧ هـ): المختصر الكبير في سيرة الرسول (ص)، تحقيق سامي مكي العاني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٣م، ص ٧ – ٨.

٣- السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج١٠، ص ٧٩.

الخشابية[١]، وجامع ابن طولون، دار الحديث الكاملية[٢] وغيرها. إضافة إلى التدريس أسندت إليه أعمال أخرى، كوكالة بيت المال، ووكالة الخاص، ثم تولى قضاء القضاة بالديار المصرية سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م.

والباحث في حياة ابن جماعة يجد فيه مثال العالم العامل الدؤوب الجاد في تحصيل العلم الحريص على جمعه، وتطبيقه في المسائل الدينية، ثم تدريسه لطلاب العلم.

وابن جماعة كان أيضاً كثير الحج والمجاورة، وكثيراً ما كان يقول: (أشتهي أن أموت وأنا معزول، وأن تكون وفاتي بأحد الحرمين فأعطاه الله عز وجل ما تمناه ...) حيث توفي في مكة سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥م[٣].

أ ــ شيوخه وتلامذته:

إن اهتمام ابن جماعة بالحديث، وعلومه، والفقه وأصوله والآداب، والتاريخ والأنساب والأخبار دفعه إلى تلقي هذه العلوم على عدد من شيوخ عصره منهم:

(١) زينب بنت عمر بن كندي بن سعيد بن علي بنت الحاج زكي الدين الدمشقي زوجة ناصر الدين بن قرقين معتمد قلعة بعلبك، ولدت في حدود سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣م. كانت امرأة صالحة جليلة خيرة دينة، ذات بر وإحسان، أنشأت رباطاً، وجعلت له أوقافاً كثيرة، كما روت وحدثت بدمشق، وبعلبك، وتوفيت بقلعة بعلبك سنة ٦٩٩ هـ /١٢٩٩م عن نحو تسعين سنة. أجاز ابن جماعة من بعلبك الكثير من الشيوخ ومنهم زينب بنت عمر بن كندي[٤].

١- الزاوية الخشابية: من زوايا الجامع العمري بمصر، وكان الإمام الشافعي رحمه الله يجلس فيها، وإنما عرفت بالخشابية لطول مكث المجد عيسى بن عمر بن الخشاب في التدريس بها ؛ المقريزي: الخطط، ج١، ص ٢٩٤.

٢- دار الحديث الكاملية: بالقاهرة أنشأها السلطان الكامل بن الملك العادل ؛ المقريزي: المصدر السالف، ج٢، ص ٣٧٥.

٣- ابن جماعة (عبد العزيز بن محمد بن جماعة سنة ٧٦٧هـ): المختصر الكبير في سيرة النبي محمد (ص)، تحقيق كرم حلمي فرحات أحمد، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م، ص ٥١ ــ ٧٢- ابن قاضي شهبة: تاريخ ابن قاضي شهبة، مج١، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٦- ابن الغزي: ديوان الإسلام، ج٢، ص ١٠٥- الشوكاني: البدر الطالع، ص ٣٦٦ ــ ٣٦٧- .

٤- الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٥، ص ٣٩٨- الذهبي: معجم الشيوخ: تحقيق وتعليق روحيّة عبد الرحمن السيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م، ص ٢٠٤- الصفدي: أعيان العصر، ج٢، ص ٣٨٨ ــ ٣٨٩- الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٥، ص ٦٦- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص ٧٨٢- كحالة، (عمر رضا): أعلام النساء، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م، ج٢، ص ١٠١.

(٢) الأبرقوهي (٦١٥ ــ ٧٠١ هـ / ١٢١٨ ــ ١٣٠١ م)

أبو المعالي، أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد بن علي بن إسماعيل بن أبي طالب الشافعي الهمذاني الأبرقوهي.

نسبة إلى أبرقوه[١] بلدة بأصبهان، ولد بأبرقوه سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م، كان محدثاً، مقرئاً، صالحاً، متوضعاً، فاضلاً. توفي بمكة سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١م. سمع بالقاهرة منه ابن جماعة[٢].

(٣) الدمياطي (٦١٣ ــ ٧٠٥ هـ / ١٢١٦ ــ ١٣٠٥م)

أبو محمد شرف الدين عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي الشافعي، ولد بتونة من أعمال دمياط بمصر في أواخر سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦م.

كان حافظاً للحديث فصيحاً لغوياً، مقرئاً، جيد العبارة، كبير النفس، صحيح الكتب، أديباً وله من المصنفات كتاب (العقد الثمين فيمن اسمه عبد المؤمن)، كتاب (قبائل الخزرج) وكتاب (السيرة النبوية) وغير ذلك، توفي سنة ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥م[٣]، في القاهرة ودفن في مقابر النصر.وكان سمع منه ابن جماعة بالقاهرة[٤].

١- أبرقوه: تقع في الإقليم الثالث، من ناحية اصطخر، يسمونها العجم وركوه، وهي بلد مشهور في نواحي اصطخر من فارس، وتبعد عشرين فرسخاً عن أصبهان ؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٣٢٥.

٢- الذهبي: معجم الشيوخ، ص ٢٦ــ٢٧- الذهبي والحسيني: من ذيول العبر، تحقيق محمد رشاد عبد المطلب، راجعه صلاح الدين المنجد وآخرون، مطبعة حكومة الكويت،دت، ص١٨- الصفدي: أعيان العصر، ج٣، ص ١٧١ ــ ١٧٢- الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٦، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣- المكي (تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفارسي ت ٨٣٢ هـ): العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق، فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م، ج٣، ص ١٤ ــ ١٧- ابن تغري بردي الأتابكي: المنهل الصافي، ج١، ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ٩- ابن الغزي: ديوان الإسلام، ج١،ص٧٨.

٣- الذهبي: معجم الشيوخ، ص ٣٣٦ ــ ٣٣٨-الذهبي والحسيني: من ذيول العبر، ص ٢٣- الكتبي: فوات الوفيات، ج٢، ص ٤١١- الصفدي: أعيان العصر، ج٣، ص ١٧٥ ــ ١٨٠- اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج٤، ص ٢٤١- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٣، ص ٣٠ ــ ٣٢ -الشوكاني: البدر الطالع، ص ٤٠٨ ــ ٤٠٩.

٤- المكي: المصدر السالف، ج٥، ص ٤٥٧.

(٤) ابن جماعة (٦٣٩ ــ ٧٣٣ هـ / ١٢٤١ ــ ١٣٣٢ م)

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر الكناني الحموي الشافعي قاضي القضاة، ولد بحماه سنة ٦٣٩ هـ / ١٢٤١م[١].

كان قوي المشاركة في فنون الحديث عارفاً بالتفسير، والفقه، وأصوله ذكياً يقظاً، مناظراً متفنناً، مفسراً، خطيباً، ورعاً، تام الشكل، وافر العقل حسن الهدى، متين الديانة ذا تعبد وحسن اعتقاد في الأصول، والصالحين من العباد، صنف العديد من الكتب منها: (المختصر الكبير في السيرة)، (البيان في مبهمات القرآن)، (تجنيد الأجناد وجهات الجهاد) تولى القضاء في الشام، وفي مصر، كما ولي خطابة المسجد الأموي، ودرس في العديد من المدارس منها المدرسة القيمرية .. توفي بمصر سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م[٢]، ودفن بالقرافة[٣]ومما لا ريب فيه أن ابن جماعة أخذ الكثير عن والده بحكم التربية الأسرية.

تلامذته:

لم تذكر كتب التاريخ تلميذاً لابن جماعة، ولكن سعة علمه وكثرة رحلاته وحلقات العلم الكثيرة التي حضرها لابد أنها بالطبع مكنت الكثيرين من الاحتكاك به وأخذ القليل من معارفه، ولم تكشف الكتب عن أسماء هؤلاء، ولكنهم بالطبع قد وجدوا واستفادوا من علومه.

مؤلفاته:

دفع النبوغ المبكر لابن جماعة ونشأته ضمن بيئة علمية متمكنة إلى تكوين ثقافة رفيعة لدى المؤرخ ابن جماعة مما دفعه لأن يحتل مكانة رفيعة بين أقرانه وعلماء عصره لذا فقد برع في فنون شتى من العلوم حيث ألف وصنف العديد من الكتب منها:

١- ابن حجر: الدرر، ج٣، ص ٣٦٧.

٢- ابن جماعة ت ٧٣٣ هـ: مشيخة قاضي القضاة، تخريج البرزالي المتوفي سنة ٧٣٩ هـ، تحقيق موفق ابن عبد الله بن عبد القادر، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨ م، ج١، ص ١١ ــ ١٢- الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢، ص ١٨ - الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص ٢٩٧ ــ ٢٩٨- السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٩، ص ١٣٩ ــ ١٤٦- الأسنوي: طبقات الشافعية، ج١، ص ١٨٦ ــ ١٨٧، - المكي: العقد الثمين، ج٤، ص ٢٨٧- ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٦٧ - ابن الغزي: ديوان الإسلام، ج٢، ص ١٠٣ ــ ١٠٤- البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص ١٤٨.

٣- القرافة: اسم لمقبرتان في القاهرة، الأولى تسمى: القرافة الكبرى، في القاهرة بين مصر القديمة، وجبانة الإمام الليث والثانية القرافة الصغرى، وتعرف اليوم باسم جبانة الإمام الشافعي، وهي بسفح جبل المقطم ؛ ابن تغري بردي: النجوم، ج٨، ص ٣٨، ١٠٥.

١ ــ **المختصر الندى في سيرة النبي (ص)**: تحدث فيه بيسر وسهولة عن حياة الرسول (ص) من ولادته ... حتى وفاته (ص)، ودونه بأسلوب سهل واضح، مفهوم، وهذا الكتاب ربما هو الذي ذكرته المصادر باسم " المختصر الصغير "[١].

٢ ــ **هداية المسالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك**[٢].

٣ ــ **التساعيات في الحديث**[٣].

٤ ــ **نزهة الألباب فيما لا يوجد في الكتاب**[٤].

٥ ــ **المختصر الكبير في سيرة النبي محمد (ص)**: عرض الكتاب في ٢٣١ صفحة مبتدئاً بنسب الرسول (ص)،ذهابه إلى الشام، وحضور الرسول (ص) بنيان الكعبة، وحل مشكلة اختلاف القبائل فيمن ينال شرف وضع الحجر الأسود مكانه[٥].

وتحدث المؤرخ أيضاً عن صفات الرسول (ص) وعن أخلاقه، معجزاته، أولاده، أعمامه، عماته، زوجاته، خدمه، مواليه، كتابه، مؤذنيه، أمرائه، سلاحه، ملابسه، دوابه ثم في النهاية الحديث عن وفاته (ص)[٦].

وإن أهمية هذا الكتاب تكمن في:

١. إنه جاء مختصراً وضع بطريقة تجعل قراءته سهلة مبينة للحقائق، واضحة المعنى يسهل تداولها، كما أن مؤلفه عرض مادته الخبرية في وضوح وبساطة وإيجاز.

٢. يعد من أهم الكتب التراثية التي تحدثت عن السيرة النبوية حيث جاء مجرداً من الأشعار الكثيرة التي أحاطت بالسيرة النبوية، ومن القصص الوفيرة حيث يتم التعرف عليه من أقرب سبيل.

١- ابن جماعة ت ٧٦٧ هـ: المختصر الندي في سيرة النبي (ص)، تحقيق محمد عبد الحميد السعدني، القاهرة، مكتبة القرآن، ص ٢٣ ــ ٨٩.

٢- البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص ٥٨٢.

٣- البغدادي: المرجع السالف، ج١، ص ٥٨٢.

٤- الزركلي: الإعلام، ج٤، ص ١٥١ ــ ١٥٢.

٥- ابن جماعة: المختصر الكبير في سيرة النبي محمد (ص)، ص ٥١ ــ ٧٢.

٦- ابن جماعة: المصدر السالف، ص ١٠٤ ــ ١٦٩.

٣. إن قيمة الكتاب تكمن في أنه حفظ أثمن ما في المصادر والكتب والمصنفات التي فقدت وغيبها الزمن.

ج ــ منهجه:

اعتمد في كتابه على عدد من المؤرخين منهم الواقدي[١]، ابن اسحاق[٢]، ابن الجوزي، ابن الأثير وغيرهم، كما اتبع في تدوين مصنفه الأسلوب السردي التأريخي حيث عرض سيرة النبي (ص) مختصرة بعيدة عن الحشو والشعر الكثير، وبعيدة عن التفريعات، مما حقق الغاية والمقصد، ونقلها من مصادر معتمداً الاختصار، كما صرح في مقدمة الكتاب قائلاً: (فهذا مختصر في سيرة محمد رسول الله (ص) وجمعته من كتب في المغازي والسير ...)[٣].

حاول قدر المستطاع أن يكون دقيقاً بذكر أخباره، فاتبع منهجاً واضحاً، وأسلوباً علمياً، حيث أسند معلوماته إلى مصادر مكتوبة فذكر اسم المؤرخ مع اسم كتابه حيناً، أو اسم الكتاب المستخدم فقط حيناً آخر باعتبار أن صاحبه غني عن التعريف، أو اسم المؤرخ من دون كتاب، لأنه بدوره مشهور، ونادراً ما أورد خبراً من دون أن يسنده إلى مصدر ومن الأمثلة على ذلك:

(قال ابن دحيه[٤] في كتابه المستوفى في أسماء المصطفى)[٥]، (ابن عبد البر في كتابه الدرر في اختصار المغازي والسير)[٦]، (وفي صحيح البخاري)[٧]، (وفي صحيح مسلم)[٨].

١- الواقدي: هو محمد بن عمر بن واقد، الإمام، المحدث، النسابة، أبو عبد الله المدني، قاضي بغداد صاحب المغازي والسير والحوادث، ولد سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م وتوفي سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢م؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج١، ص ٣٥٣.

٢- ابن اسحاق: العلامة، الحافظ الأخباري، أبو بكر، وقيل أبو عبد الله القرشي، المطلبي ولد ابن اسحاق سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥م وهو صاحب السيرة النبوية وهو أول من دون العلم بالمدينة، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٧، ص ٣٠ ــ ٥٥.

٣- ابن جماعة ت ٧٦٧ هـ : المختصر الكبير في سيرة النبي محمد (ص)، ص ٥١.

٤- ابن دحية: الشيخ، العلامة، المحدث، الرحال، المتفنن مجد الدين، أو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن الجميل ابن فرح بن خلف بن قومس بن مزلال بن ملال بن أحمد بن بدر بن دحية بن خليفة الكلبي كان بصيراً بالحديث توفي سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥م؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٢، ص ٤٩٤.

٥- ابن جماعة ت ٧٦٧ هـ: المصدر السالف، ص ٥٤.

٦- ابن جماعة ت ٧٦٧ هـ: المصدر السالف، ص ٩٤.

٧- ابن جماعة ت ٧٦٧ هـ: المصدر السالف، ص ٩٤، ١٤٠، ١٦١.

٨- ابن جماعة ت ٧٦٧ هـ: المصدر السالف، ص ٩٤، ١٢٠، ١٣١، ١٣٢.

تبدو منهجية ابن جماعة في التأريخ متأثرة بثقافته كمحدث، وفقيه إذ عني في أخباره بإسناد رواياته إلى أصحابها في سلسلة متصلة من الرجال حيث اعتمد أسلوب الإسناد في الرواية ومن الأمثلة على ذلك: (وفي سنن أبي داود من حديث أبي الجوزاء عن ابن عباس)، (وفي صحيح مسلم عن طريق قتادة عن أنس)، (روى أبو الشيخ بن حيان من حديث ابن عباس قال مكتوب على راياته (ص) (لا إله إلا الله محمد رسول الله)[١].

وبرز فكره في التعليل والترجيح فلا يقبل الحدث كما هو، بل يذكر الرواية من مصدرها، ثم يقارنها مع مصادر أخرى، ويبين رأيه في أي الروايات أصح، وفي كثير من الأمور الراجحة يقول المؤلف فيها (وهذا هو المشهور) ومن الأمثلة على ذلك:

(توفيت آمنة بنت وهب بالأبواء، وقيل: توفيت آمنة أم رسول الله (ص) بمكة، ودفنت في شعب من شعاب الجحوف بمكة حكاه ابن الأثير، وقيل توفيت وله (ص) ثمان سنين، وقيل سبع وقيل أربع المشهور ما حكيناه أولاً من أنها توفيت بالأبواء ورسول الله (ص) ابن ست سنين وبذلك جزم ابن سعد، وابن فارس والشيخ شرف الدين الدمياطي وغيره)[٢].

(سئل رسول الله (ص) أتذكر موت عبد المطلب؟ قال نعم أنا يومئذ ابن ثمان سنين قال الشيخ شرف الدين الدمياطي وجزم به، وقيل: توفي عبد المطلب ولرسول الله (ص) ست سنين وقيل عشر، وقيل ثلاث، وهو أبعد الأقوال ...)[٣].

ويظهر تحصيله المعرفي من خلال تناوله لبعض الروايات التي كان يوردها سواء بالتصحيح أو المقابلة والترجيح، ومن خلال منهجه هذا تبدو شخصيته العلمية واضحة وهي تستند إلى رصيد ثقافي معرفي غني مكنه من تمحيص النصوص وترجيح الصحيح منها.

دعم القاضي ابن جماعة هذا المصنف بالعديد من أبيات الشعر في مواضع عديدة من الكتاب مثل قول أبي طالب[٤]:

وأبـــيضَ يُســـتقي الغمـــامُ بوجهـــهِ ... ربيـــعُ اليتـــامى عصِـــمةٌ للأرامـــلِ
يَطيـــفُ بـــه الهـــلالُ مـــن آل هاشـــمٍ ... فهـــم عنـــدهُ فـــي نعمـــةٍ وفواضـــلِ
وميـــزانُ حـــقٍّ لا يخـــسُ شـــعيرةً ... وزانُ عـــدلٍ وزنُـــهُ غيـــرُ عائـــلِ

١- ابن جماعة ت ٧٦٧ هـ: المختصر الكبير ، ص ١٤٣، ١٤٤، ١٥٧.
٢- ابن جماعة ت ٧٦٧ هـ : المصدر السالف، ص ٦٣.
٣- ابن جماعة ت ٧٦٧ هـ: المصدر السالف ، ص ٦٤.
٤- ابن جماعة ت ٧٦٧ هـ: المصدر السالف، ص ١٠٦.

ونقل الأحاديث النبوية الشريفة بلفظها، وكذلك بعض العبارات النثرية، كأقوال الصحابة رضي الله عنهم كما في قوله: وفي صحيح مسلم من حديث عائشة قالت: قال رسول الله (ص): (أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً ...)[١].

قول سعد بن معاذ[٢]: (كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام إن لم يؤمنوا بالله ورسوله فآمنوا كلهم ... ذلك اليوم)[٣].

ونظراً لتدوينه السيرة النبوية أورد الآيات القرآنية[٤] ما أمكنه ذلك: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عظيمٍ)[٥]، (إِنَّ شانئكَ هُوَ الأبترُ)[٦]، (كُلُ نفسٍ ذَائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة)[٧].

والواضح إن أسلوب ابن جماعة في تدوين سيرة الرسول لم يخرج عن الأسلوب الإسلامي الذي كتب به المؤرخون الأوائل وهو أسلوب أهل الحديث أي أسلوب المنهج الإسلامي الملتزم في إقامة السند.

١- ابن جماعة: المختصر الكبير ، ص ١٣١.

٢- سعد بن معاذ: هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل أبو عمر الأنصاري الأوسي الأشهلي، البدري، أسلم سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير وشهد بدراً، ورُمي يوم الخندق فعاش شهراً ثم انتفض جرحه فمات، عاش سبعاً وثلاثين سنة؛ الذهبي: النبلاء، ج١، ص ٢٧٩ ــ ٢٩٧.

٣- ابن جماعة: المصدر السالف، ص ٧٩.

٤- ابن جماعة: المصدر السالف ، ص ١٠٧، ١١٤، ١٤٥.

٥- سورة القلم، الآية رقم (٤).

٦- سورة الكوثر: الآية رقم (٣).

٧- سورة آل عمران، الآية رقم (١٨٥).

٣ ــ المؤرخون الوافدون إلى حماه:

كان التبادل العلمي ناشطاً بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه في عصر تمزقت فيه الإمبراطورية العربية الإسلامية شر ممزق، وانتقصت من أطرافها، وطمع فيها المغول فأزالوا الكثير من دولها، واحتلوا عاصمتها بغداد، وتركوها طعمة للنيران، والدمار هذه الظروف السياسية إضافة إلى ظروف أخرى اقتصادية واجتماعية وغيرها، جعلت حماه تستقبل الكثير من العلماء والمفكرين أمثال:

البرزالي ٦٦٥ ــ ٧٣٩ هـ / ١٢٦٦ ــ ١٣٣٨ م

القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي الأصل، الدمشقي، الشافعي، يكنى أبو محمد، ويلقب بـ علم الدين ولد سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م[١] في إشبيلية[٢] من أبوين من البربر كان صاحب أتباع، خيراً، متواضعاً، فصيح القراءة، عالماً بالأسماء والألفاظ، وكان فيه حلم وصبر وتورد، يلاطف الناس، وله ود في القلوب، وحب في الصدور، كان حلو المحاضرة قوي الذاكرة[٣].

وكان ثقة فيما يرويه، مثبتاً، صادقاً، محققاً، حملت شخصيته في طياتها روح العالم الحق، المنتفع بعلمه، الذي هيأه علمه ليكون قدوة للآخرين ومثلاً يحتذونه في حياتهم، فهو محباً للناس والناس محبون له، وهو متسامح مع الآخرين، غامر لأخطائهم، مقبل لعثراتهم، يحاول أن يصلح في مجتمعه ما يعجز أن يصلحه الآخرون، يقرب بين المتخاصمين، ولا يخاصم أحداً، يستقبل الحياة ضاحكاً، ويكظم غيظه، ويبادر الناس بالمعروف، وكأنما كان شعاره، قول الرسول العربي الكريم (ص) (وخالق الناس بخلق حسن)[٤].

وإذا كان (البرزالي) قد غطت شهرته العلمية على سائر أفراد أسرته، فإن لأسرته في بلاد الشام مقاماً معروفاً، ومركزاً مرموقاً، في العلم ، والفقه، واللغة، والقضاء، الحديث فوالده الشيخ بهاء الدين، أبو الفضل، محمد بن يوسف البرزالي، كان من عدول القضاء أما جده الأعلى أبو عبد الله زكي الدين، محمد بن يوسف بن محمد فقد كان هو أيضاً عالماً رحالة،

---

١ - ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٣، ص ٣٢١ ــ ٣٢٣.

٢ - إشبيلية: مدينة كبيرة عظيمة تقع غربي قرطبة، وإشبيلية قريبة من البحر يطل عليها جبل الشرف وهو جبل كثير الشجر والزيتون، وسائر الفواكه ومما تميزت به عن غيرها من نواحي الأندلس القطن فإنه يحمل منها إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب؛ الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ١٥٩.

٣ - الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص ١٩٦ ــ ١٩٨ - الشوكاني: البدر الطالع، ص ٥٦٩ ــ ٥٧٠.

٤ - البرزالي: المقتفى، ج١، ق١، ص ٥١ ــ ٥٣.

محدثاً، لغوياً، مؤرخاً، سمع عن كثير من الشيوخ من بلدان العالم الإسلامي وقاده تطوافه في البلاد إلى حماه حيث وافاه أجله سنة ٦٣٦ هـ / ١٢٣٨م[١].

وأما جد أبيه لأمه الشيخ علم الدين القاسم بن أحمد اللورقي[٢] الأندلسي، فقد كان هو أيضاً عالماً من علماء عصره، كما كان واحداً من قراء القرآن المشهورين الذين تؤخذ عنهم القراءات السبع[٣].

وبذلك نهج البرزالي منهج آبائه حيث ارتحل منذ سن مبكر من أجل العلم إلى البلاد الشامية والديار المصرية وثغر الإسكندرية، ومكة المشرفة، والمدينة النبوية، وسمع الكثير وقرأ وكتب وحدث وبلغ عدد مشايخه بالسماع ما يزيد على ألفين وبالإجازة أكثر من ألف.

كما أسند إلى البرزالي عدداً من المناصب منها دار الحديث الأشرفية، ثم الظاهرية سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٣م، وتولى أيضاً التدريس في عدد من المدارس منها المدرسة النورية سنة ٧١٠ هـ / ١٣١٠م وقد أجمع المؤرخون على أنه توفي حاجاً محرماً غريباً بخليص بين مكة والمدينة سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م[٤] عن أربع وسبعين سنة ونصف ودفن بها.

أ ــ شيوخه:

عاش البرزالي في عصر حافل بكبار الرجال والعلماء يضاف إلى ذلك اهتمامه مع أسرته بنهل العلوم من مصادر مختلفة، فاقتضى ذلك تعدد شيوخه وتنوعهم، ولكن لا بد من التركيز على أولئك الذين أحدثوا اثراً في نفسه، ووجهوه الوجهة التي اختاروها واختارها لنفسه ومن الطبيعي أن يكون والده أول شيوخه الذين تتلمذ على أيديهم، فكان لتوجيهه وجهة الحديث

١- البرزالي: المقتفى، ج١، ق١، ص ١٠ ــ ١١.

٢- اللورقي من لورقة: هي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم وأرضها جُزُرٌ لا يرويها إلا ما ركد عليها من المياه ؛ الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ٣٠.

٣- القراءات السبع: علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها بغزو الناقلة، ويهدف علم القراءة إلى الحرص على كلام الله تعالى والنطق به على الكيفية الصحيحة الكاملة كما أنزل وصون اللسان عن الخطأ فيه، والاحتراز عن التحريف أو التبديل أو التغيير في القرآن الكريم، صورة بالرسم ونطقاً باللفظ وكتابة بالخط الزحيلي (محمد): مرجع العلوم الإسلامية، دمشق، دار المعرفة، د. ت ، ص ١٤٩.

٤- الذهبي: معجم الشيوخ، ص ٤٣٥ ــ ٤٣٦- الذهبي والحسيني: من ذيول العبر، ص ٢٠٩- الصفدي: أعيان العصر، ج٤، ص ٤٩ ــ ٥٣- الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص ١٩٦ ــ ١٩٨- السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج١، ص ٣٨١ ــ ٣٨٣- ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٣، ص ٣٢١ ــ ٣٢٣- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ٢١٤ ــ ٢١٦- ابن الغزي: ديوان الإسلام، ج١، ص ٢٤٤ ــ ٢٤٥- الشوكاني: البدر الطالع، ص ٥٦٩ ــ ٥٧٠.

الشريف الأثر الفعال في حياته ووالده هو بهاء الدين البرزالي أبو الفضل محمد بن يوسف ولد سنة ٦٣٨ هـ / ١٢٤٠م[١]، وبرع وحدث بمصر، ودمشق، والحجاز، توفي سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩م[٢].

كما أن البرزالي قد تتلمذ على يد فقيه الشام عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفرازي الدمشقي، الشافعي، المصري الأصل، ويكنى أبي محمد، ويلقب بتاج الدين الفركاح لاعوجاجٍ في رجليه، ولد سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦م، كان شيخ البرزالي، الذي فقهه في الدين، وأكثر من صحبته، وسمع الجم الغفير منه، وأكثر من النقل عنه في تاريخه، فكان فقيهاً أصولياً، مفسراً، محدثاً، برع في المذهب، وكان متبحراً في الفقه وأصوله، له مصنفات منها (شرح الورقات) توفي سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١م[٣]، ودفن في مقبرة الصوفية.

ويضاف إليهم أيضاً أستاذه علي بن محمد بن محمود الكازورني الشافعي، البغدادي الذي صنف العديد من الكتب أهمها: (السيرة النبوية)، و(كسر الحساب في الحساب).

وقد اختلف في سنة وفاته حيث ذكر البرزالي وفاته بعد السبع مئةٍ، بينما آخرون ذكروا بأنها سنة ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧م[٤] والكازروني وجه البرزالي نحو علم التاريخ، وحبب إليه ذلك، وأجازه فيه، كما أن جده لأمه الشيخ علم الدين الأزرقي اللورقي كان أول من وجهه وجهة القرآن وأسمعه قراءاته وأجازه منها[٥].

وهؤلاء المشايخ الأربعة، هم الذين أشعلوا ثقاب عبقرية البرزالي الأولى لكن لم يكونوا وحدهم وإنما ساهم معهم آخرون مثل ابن عبد الدايم[٦]، وابن أبي اليسر[٧].

١- البرزالي: المقتفى، ج١، ق١، ص ١١.

٢- الصفدي: أعيان العصر، ج٥، ص ٣٢١ ــ ٣٢٢- الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٥، ص ١١٥.

٣- الذهبي: العبر في خبر من غير، ج٥، ص ٣٦٧ ــ ٣٦٨- الأسنوي: طبقات الشافعية، ص ١٤١ ــ ١٤٢- ابن قاضي شهبة: طبقات الشافعية، مج٢، ص ٢٩- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٧، ص٧٢١ــ٧٢٢- ابن الغزي: ديوان لإسلام، ج٤، ص ٤٢١ ــ ٤٢٢.

٤- ابن حجر: الدرر، ج٣، ص ١٩٣ ــ ١٩٤.

٥- البرزالي: المصدر السالف، ج١، ق١، ص ١١.

٦- عبد الرحمن بن عمر بن علي بن عبد الدايم بن الغزالي ت سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨م؛ ابن الحنبلي: المصدر السالف، ج٧، ص ٧١٥ ــ ٧١٦.

٧- إسماعيل بن إبراهيم أبي اليسر التنوخي المصري المحدث سنة ٦٧٢ هـ / ١٢٧٣م؛ الذهبي: سير أعلام أعلام النبلاء، ج٢٣، ص ١١٦.

ب ــ تلامذته:

خلف البرزالي عدداً هائلاً من الكتب في مختلف الموضوعات، وتناول جميع أنواع المعارف بالتأليف والدراسة والبحث، وهو بهذا مثل العقلية الموسوعية التي اتسم بها عصره، فجمع في ذهنه مختلف العلوم والفنون النقلية والعقلية فتنوع معارفه جعلت الكثير من علماء عصره يأخذون عنه ومنهم:

زينب بنت عمر بن كندي[١] التي أخذت عنه إضافة إلى **محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن عبد الله الذهبي** يكنى أبو عبد الله، ويلقب بشمس الدين وعرف بالذهبي نسبة إلى صنعة أبيه ولد في سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤م، من أسرة تركمانية الأصل، علمية، متدينة، رحل في طلب العلم تولى العديد من الوظائف منها الخطابة بمسجد كفر بطنا[٢] سنة ٧٠٣ هـ /١٣٠٣م ومشيخة الحديث في عدد من الأماكن في دمشق وغيرها.

كان مؤرخاً فذّاً استطاع استيعاب عصور التاريخ الإسلامي منذ ظهوره حتى زمانه الذي كتب فيه مؤلفاته، وهي مدة تزيد على السبعة قرون

صنف العديد من الكتب منها (تاريخ الإسلام)، (سير أعلام النبلاء)، (طبقات الحفاظ)، (والعبر في خبر من غبر)، و(معاجم الشيوخ).

فقد بصره في آخر حياته بماء نزل في عينيه قبل وفاته بأربع سنين، وتوفي بتربة أم الصالح سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧[٣]، ودفن بمقابر باب الصغير، والذهبي كان واحداً ممن أشادوا بعلم البرزالي وذكر الذهبي في معجم شيوخه أنه سمع من البرزالي في سنة ٦٩٤ هـ /١٢٩٤م[٤].

١- انظر الصفحة ، ص ١٣٦.

٢ كفر بطنا : قرية عند أهل الشام وهي من قرى غوطة دمشق؛ البغدادي : مراصد الاطلاع ، ج٣،ص١١٦٩

٣- الذهبي: معجم الشيوخ، ص ٣ ٥- الذهبي الحسيني: من ذيول العبر، ص ٢٦٧ ــ ٢٦٩- الذهبي: النبلاء ج٢٢، ص ١٢ ــ ٩٠- الكتبي: فوات الوفيات، مج٣، ص ٣١٥ ــ ٣١٧- ابن حجر: الدرر ص ٤٢٦ ــ ٤٢٧- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ٢٦٤ ــ ٢٦٨- ابن العزي ديوان الإسلام، ج٢، ص ٣٠٩ ــ ٣١١.

٤- الذهبي: معجم الشيوخ، ص ٤٣٦.

وخرج تلاميذ كثر أمثال: **محمد بن رافع بن أبي محمد بن شافع بن محمد بن سلام السلامي الحافظ تقي الدين الصميدي**[١]، المصري، المولد، والمنشأ الدمشقي الشافعي، يكنى أبو المعالي الذي ولد سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤م، في عائلة علمية فيها عدد من العلماء والحفاظ، والمحدثين تولى تدريس الحديث بالنورية سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧ كما تنقل في عدد من المدن منها دمشق التي كانت من أعظم مراكز الحركة الفكرية في العصر الأيوبي، وفيها سمع من جماعة من شيوخ عصره، وكان منهم علم الدين القاسم بن يوسف البرزالي[٢].

وجمع ابن رافع كتاباً في الوفيات ذيل فيه على تاريخ البرزالي، وذيل على (تاريخ البخاري)، توفي سنة ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م[٣]، عن سبعين سنة بظاهر دمشق، ودفن بمقابر الصوفيه. وممن أخذ عن البرزالي أيضاً **عماد الدين إسماعيل بن كثير البصروي الأصل**، الدمشقي الشافعي، وهو حافظ مؤرخ، فقيه، ولد بمجدل وهي قرية شرقي بصرى من أعمال دمشق سنة ٧٠١ هـ / ١٣٠١م نشأ ابن كثير منذ نعومة أظفاره على مائدة العلوم ينهل من أصنافها، فبرع في الفقه والتفسير، والنحو، وأمعن النظر في الرجال والملل، وأفتى ودرس.

لديه العديد من الكتب منها (البداية والنهاية) في التاريخ على نسق الكامل لابن الأثير انتهى فيه إلى حوادث سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٥م، (وشرح صحيح البخاري)، (طبقات الفقهاء والشافعيين)، (الاجتهاد في طلب الجهاد)، و(جامع المسانيد)، أضر في أخر عمره وتوفي سنة ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م[٤]، ودفن بمقبرة الصوفية، ومما يدل على أن ابن كثير تتلمذ لدى البرزالي أنه يذكر في آخر حوادث سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨م، فيقول: (هذا آخر ما أرخه شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذي ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين أبي

١- الصميدي: نسبة إلى قرية من قرى حوران من أعمال دمشق ؛ ابن رافع السلامي: الوفيات، تحقيق صالح مهدي عباس، أشرف عليه وراجعه بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٠٢ هـ ١٩٨٤م، مج١، ص ٢٠ الهامش ٢.

٢- ابن رافع السلامي: المصدر السالف ، مج١، ص ٢٧.

٣- الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣، ص ٦٨ ــ ٦٩- ابن رافع: المصدر السالف ، مج١، ص٢٧ ، ابن حجر: أنباء الغمر، ج١، ص ٥٩ ــ ٦٣- ابن حجر: الدرر، ج٤، ص ٥٩ ــ ٦٠- ابن تغري: النجوم الزاهرة، ص ٩٩.

٤- ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ١٣ ــ ١٥- ابن حجر: الدرر، ج٤، ص ٥٧ ــ ٥٨- ابن حجر: أنباء الغمر، ج١، ص ٤٥ ــ ٤٧- ابن تغري" النجوم الزاهرة، ج١١، ص ٩٨ ــ ٩٩- الشوكاني: البدر الطالع، ص ١٦٨ ــ ١٦٩- ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٨، ص ٣٩٧ ــ ٣٩٩- البغدادي: هدية العارفين، ص ٢١٥- الزركلي: الأعلام، ج١، ص ٣٢٠.

شامة المقدسي، وقد ذيلت على تاريخه إلى زماننا هذا، وقد فرغت من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأخرى من سنة إحدى وخمسين وسبعمائه)[١].

ج ــ مؤلفاته:

كان البرزالي موسوعي الثقافة، والإطلاع وانعكس ذلك في مجموعة من مؤلفاته المتنوعة التي كانت تضم جميع المعارف في عصره، فذكرت مصادر ترجمته عدداً من آثاره النفيسة موزعة على الموضوعات التي تميز فيها ومن أهمها:

(١) المنتقى[٢] من كتاب البخلاء للخطيب البغدادي[٣].

(٢) الوفيات[٤]:

وهذا الكتاب يتناول وفيات ما بين سنة مولد البرزالي ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦م إلى ٧٣٨هـ ١٣٣٧م غير أنه مفقود والذي يوجد منه عشر سنوات ما بين ٧٠٩-٧١٨هـ/ ١٣٠٩-١٣١٨م، ويمتاز هذا الكتاب بالدقة المتناهية في ذكر التراجم حيث حوت هذه السنوات العشر على ٧٥٣ ترجمة، منها حوالي (٦٠) ترجمة للنساء.

دون بهذه التراجم من عاصرهم من محدثين، رواة، مصنفين، قضاة، أمراء، قادة وسواهم من أهل عصره مشاهير ومغمورين، كما امتاز بذكر طبقة واسعة من الشباب ممن لم يبلغوا الأربعين والثلاثين وحتى العشرين أو دونها، وهذا ما انفرد به دون غيره ممن يدون التراجم عادة، فدونهم مسجلاً لهم ذكراً في التاريخ[٥].

١- ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ٦.

٢- يوجد منه نسخة مخطوطة في جامعة برنستون، مجموعة يهودا، رقم ٣٨٧٩، بخط البرزالي نفسه في ٨ ورقات؛ مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون،ج٤، ص ٤٥.

٣- مصطفى: المرجع السالف، ج٤، ص ٤٥.

٤- حققه أبو يحيى عبد الله الكندري توجد منه مخطوطة هي عبارة عن قطعة فريدة من أصل الكتاب وتقع النسخة في مجلدين وهي من ضمن محفوظات مكتبة جامعة ليدن بهولندا تحت رقمين (٣٠٩٨ ــ ٣٠٩٩) تحتوي النسخة الأولى على (٢٣٢) ورقة، والثاني على (٨١٠) أوراق ومن كل صفحة منها ١٤ سطراً؛ البرزالي: الوفيات، ص٥ ــ ٣٠ .

٥- البرزالي: المصدر السالف، ص ٥٠ ــ ٤٦٠.

(٣) معجم الشيوخ الكبير في ٢٤ مجلداً، وهو مفقود الآن.

(٤) مشيخة قاضي[١] القضاة بدر الدين بن جماعة ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م.

(٥) المقتفى على كتاب الروضتين.

ويحظى الكتاب بأهمية كبيرة، بحيث نال صيتاً ذائعاً ليس بين المؤرخين فحسب بل وحتى بين الفقهاء والوعاظ فحقق بذلك البرزالي شهرته به وبدأه من تاريخ ولادته سنة ٦٦٥ هـ /١٢٦٦ م وهو العام نفسه الذي توفي به أبو شامه[٢].

وهذا الكتاب يتألف من جزئين وكل جزء يحتوي قسمين:

فالجزء الأول ــ ق١ يضم حوادث سنوات من ٦٦٥ ــ ٦٨٠ هـ / ١٢٦٦ ــ ١٢٨١م.

الجزء الأول ــ ق٢ يضم حوادث سنوات من ٦٨١ ــ ٦٩٨ هـ / ١٢٨٢ ــ ١٢٩٨م.

الجزء الثاني ــ ق١ يحتوي حوادث سنوات من ٦٩٩ ــ ٧١٠ هـ / ١٢٩٩ ــ ١٣١٠م.

الجزء الثاني ــ ق٢ يحتوي حوادث سنوات من ٧١١ ــ ٧٢٠ هـ / ١٣١١ ــ ١٣٢٠م.

أرخ البرزالي فيه لحوادث سياسية واجتماعية، طبيعة، أما الجوانب السياسية فقد صور جرائم المغول في حلب وقتلهم للكثير من أهلها والنهب والسبي الذي قاموا به، وإحراق الجوامع والمدارس، ودار السلطة، ودور الأمراء، والأكابر ثم بعد ذلك عودتهم إلى بلادهم، وسوغ المؤرخ سبب عودتهم بأنه كان اتفاق كلمة المسلمين[٣].

من خلال الكتاب يظهر واضحاً اهتمام المؤرخ بذكر أخبار المغول، حيث كان دائماً يذكر جرائمهم وما يفعلوه بالمسلمين، ففي سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢م. يصف خوف الناس من قدوم المغول فيذكر هرب أهل بعلبك إلى دمشق وذلك ربما لحصانة قلعتها[٤].

١- وهذا الكتاب محقق نشره موفق بن عبد الله بن عبد القادر في مجلدين؛مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ج٤، ص٤٥.

٢- أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشيخ، الإمام، العلامة، الحبر، المقرئ، شهاب الدين المقدسي الدمشقي ولد سنة ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢م، له مؤلفات كثيرة منها: (شرح الشاطبية)، توفي سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦م؛ ابن الغزي: ديوان الإسلام، ج٣، ص ١٥٠.

٣- البرزالي: المقتفى، ج١، ق١، ص ٤٨٦، ج٢، ق٢، ص ٨٣.

٤- البرزالي: المصدر السالف، ج٢، ق٢، ص ٨٣.

وكان هناك أيضاً إشارات عابرة لغلاء الأرزاق في بعض السنوات بسبب القحط والجفاف مثل سنة ٦٩٥ هـ / ١٢٩٥م[١]، سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨م[٢]، وبالمقابل ذكر المؤرخ رخص الغلال عند حدوث الأمطار.

وتحدث البرزالي أيضاً عن عادات الزواج والزواج السياسي بشكل عام الذي كان ظاهرة واضحة في القرنين السادس والسابع الهجريين /الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ومن الأمثلة على ذلك إجراء عقد زواج السلطان الملك الناصر على المرأة التي حملت إليه من بلاد القبجاق وهي من بنات الملوك[٣].

وبما أن المؤرخ كان من موظفي الحكومة، فربما لذلك يعد كتابه سجلاً لأصحاب المناصب والوظائف من قضاة وحكام، وعاظ، ومدرسين، وكلاء ومحتسبين ونظار وغيرهم، وأماكن عملهم من مدارس، ودور حديث، وبيمارستان، وديوان الزكاة بيت المال، كما أنه كثيراً ما أشار في كتابه إلى تولي القضاة، والفقهاء، والمتعممين للوظائف الدينية كالقضاء والحسبة، ونظر الأوقاف، والتدريس والأيتام[٤] وغيرها.

ومن الأهمية بمكان الدور الذي يقوم به المؤرخ في رصد الطبيعة وتقلباتها وحالة المناخ، فهو يقدم معلومات على درجة من الأهمية عن حال الطبيعة في ذلك الوقت وحركة القشرة الأرضية، فقد رصد الزلازل التي أصابت المنطقة مشيراً إلى الزلازل المدمرة التي تعرضت لها بلاد الشام في سنوات ٦٧٥ هـ / ١٢٧٦م[٥]، ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢م وما نشرته من خراب ودمار وضحايا في المنطقة متطرقاً أيضاً إلى الحديث عن الفيضانات في المنطقة والسيول التي اجتاحتها راصداً برودة الجو، كما أنه رصد الحرائق في أسواق دمشق[٦].

وتأتي أهمية هذا الكتاب من خلال:

(١) صدق مؤلفه، فهو محدث قبل أن يكون مؤرخاً، وبذلك فهو عارف بالحديث ورواته، وعالم بعلم الجرح والتعديل، الذي يضع المقاييس لصدق الرواة، ورواياتهم، أو ضعفهم

١- البرزالي:المقتفى ، ج١، ق٢، ص ٤٢٧ ــ ٤٤٧.

٢- البرزالي: المصدر السالف، ج٢، ق٢، ص ٣٠٣.

٣- البرزالي: المصدر السالف، ج٢، ق٢، ص ٤٢٢.

٤- البرزالي: المصدر السالف، ج٢، ق١، ص ٦٠، ٥٧، ٢٢٥، ج٢، ق١، ص١٢، ج١، ق١، ص ١٤، ج٢، ق٢، ص ١٦، ٢٠ ــ ٣٠.

٥- البرزالي: المصدر السالف، ج١، ق١، ص ٣٦٠، ج١، ق٢، ص ٣١٨.

٦- البرزالي: المصدر السالف، ج٢، ق٢، ص ١٩٢.

وتدليسهم، وبما أن البرزالي مشهود له بالصدق والثقة عند جميع علماء عصره، وإجماعهم في النقل عنه واعتماد روايته فهذا يكفي أن يضفي الأهمية لكتابه، إضافة إلى أن الكثير من المؤرخين المعاصرين له، والمتأخرين يقتبسون عنه، مصرحين باسمه، وعلى رأسهم " شهاب الدين النويري "[١] المتوفى سنة ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢م، الذي أخذ عنه نصوص في كتابه (نهاية الأرب)، وكمثال عليها خبر غرق مدينة بغداد في سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤م[٢].

ونص الكتاب الوارد من عجلون بشأن حادثة السيل بها في سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٧م، كما نقل عنه (الإسنوي)[٣]، (السبكي)[٤]، و(الأدفوي)[٥] وغيرهم كثر.

(٢) لا ريب أن معاصرة المؤرخ لأحداث زمانه طبعت روايته التاريخية بطابع الصدق والدقة وذلك لأن الكتابة التاريخية المعاصرة لزمن الأحداث تعتمد كثيراً على المعاينة والمشاهدة والسماع من مصادر متنوعة، أضف لذلك معاصرته لأحداث الكتاب، فهو دون أحداث العصر الذي نشأ فيه.

(٣) ومما زاد من أهمية كتابه أنه جعله تاريخاً عاماً بدليل ما أورده من تراجم العديد من العلماء، والفقهاء والصالحين، فضلاً عن الخلفاء، والسلاطين، والأسر الحاكمة من غير نظر لمكانة اقتصادية أو اجتماعية، أو أدبية أو سياسية، كما أن ترجمته للعديد من العلماء، ومعرفة

١- النويري: محمد بن محمد بن محمد الإمام العلامة محب الدين أبو القاسم الميموني، القاهري، المالكي، وكان فقيهاً، أصولياً، نحوياً، ولد سنة ٨٠١ هـ / ١٣٩٨م بالميمون من قرى مصر، له مؤلفات كثيرة منها (شرحان على مختصر ابن الحاجب)، و(قصيدة في علم الفلك)، توفي بمكة سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م. السخاوي: الضوء اللامع، ج٩، ص ٢٤٦ ــ ٢٤٨.

٢- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت٧٣٢هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠، ج٣٣، ص ١٩٢ ــ ١٩٤.

٣- الأسنوي: عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الأموى الاسنوي نزيل القاهرة ولد سنة ٧٠٤ هـ / ١٣٠٤م، ومن مصنفاته (الفتاوى)، و(طبقات الشافعية) توفي سنة ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠م ودفن قرب مقابر الصوفية بالقاهرة؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، ج٢، ص ٤٦٣ ــ ٤٦٥.

٤- السبكي: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي أبو نصر تاج الدين ولد سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦م، من مصنفاته (شرح مختصر ابن الحاجب) و(طبقات الشافعية الكبرى)، درس في أغلب مدارس دمشق وتولى خطابة الجامع، وانتهت إليه رياسة القضاء، والمناصب بالشام توفي سنة ٧٧١ هـ / ١٣٦٩م؛ ابن حجر: المصدر السالف، ج٣، ص ٣٩ ــ ٤١.

٥- الأدفوي: جعفر بن ثعلب بن جعفر، الشيخ، الإمام، الفقيه، الأديب، كمال الدين أبو الفضل الشافعي، صنف كتباً منها (الأمتاع في أحكام السماع)، و(الطالع السعيد الجامع لأسماء فضلاء الصعيد): ولد سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م وتوفي سنة ٨٤٨ هـ / ١٤٤٤م؛ ابن حجر: المصدر السالف، ج٢، ص ٧٢.

أنسابهم وشيوخهم قد ألقى أضواء جديدة على الحياة العلمية في العالم الإسلامي، وأظهر مراكز الثقافة الإسلامية ودورها في ازدهار الفكر الإسلامي، فبذلك هو كشف عن جانب لامع من حياة المجتمع العربي الإسلامي.

(٤) امتاز كتابه أيضاً بعشرات الأخبار والحوادث التي انفرد بها عن غيره من كتب التواريخ فجاء بمعلومات نادرة، ومهمة متنوعة وعلى الرغم من كثرة المؤرخين الدمشقيين والشاميين الذين عاصروا البرزالي، إلا أنه انفرد عنهم جميعاً بذكر أخبار لم يذكروها مطلقاً ليس فقط عن دمشق والشام فحسب بل عن أماكن كثيرة من العالم الإسلامي فهو يذكر الوباء بالقاهرة سنة ٦٩٠ هـ / ١٢٩١م[١]، ونظارة الأحباس بمصر سنة ٧١١ هـ / ١٣١١ م.

(٥) ذكر الآثار التي شاهدها، وعاصر إنشاءها، فوصف كثيراً من الحقائق المتعلقة بها مثل بناء الملك المظفر الخانكاه بالقاهرة[٢]، وذكر أيضا الشروع في بناء دار العقيقي تربة للملك الظاهر[٣].

(٦) عكس الصور الإجتماعية، والإقتصادية المتباينة في المجتمع حيث تلمس الجوانب الإقتصادية والإجتماعية من خلال الأخطار الناجمة عن الحرائق، والفيضانات، والأوبئة وهذه ميزة امتاز بها على نظائره من الكتب التاريخية[٤].

(٧) يعد هذا الكتاب مصنفاً راقياً للمجتمع في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي في مصر وبلاد الشام، فهو يدون أسماء عدد ضخم من معالم الحياة اليومية مثل المدارس ويذكر ما كان يدرس فيها من فنون العلوم الإسلامية، فقه وحديث، لغة، أدب ، حساب، طب، وذكر من كان يقوم عليها من واقفين، مدرسين، معيدين، وذكر المساجد، الجوامع، الأسواق إضافة إلى مرافق الحياة العامة من حمامات ، وخانات، مقابر، ترب، دواوين، دروب، زوايا، أربطة، قصور، قلاع، مارستانات، ليدل على ما كانت تتميز به المجتمعات الإسلامية في تلك الحقبة من حضارة ورقي.

١- البرزالي: المقتفى، ج١، ق٢، ص ٢٤٩.

٢- البرزالي: المصدر السالف، ج٢، ق١، ص ٤٣٢.

٣- البرزالي: المصدر السالف، ج١، ق١، ص ٤٠٤.

٤- البرزالي: المصدر السالف، ج٢، ق١، ص ١٥٨، ص ٢٣٠، ٣٥٣، ٤٣٢، ج١، ق٢، ص ٤٨٢.

د ــ منهجه في التأريخ:

اعتمد البرزالي في تدوين كتابه الطريقة التقليدية التي اتبعها كثير من المؤرخين قبله وهي طريقة التأريخ الحولي، أي سرد الحوادث متتابعة سنة بعد سنة، وشهراً بعد شهر، فتنوعت مصادره، حيث أخذ بعضها عن الكتب المؤلفة في عصره، وعن الرواة الذين كان يلتقي ويسمع منهم مباشرة، ومن المراسلين له من مختلف البلاد الذين يعنون بالأخبار، والوفيات فأقام معهم شبكة مراسلات واسعة، حيث يكتبون إليه ما يجري في بلدانهم من حوادث وتراجم الوفيات عندهم مثل: (وفاة سعد الدين مسعود الشافعي، كتب إلي بذلك الشيخ أبو بكر السمنودي)[١]، (وفاة كمال الدين ابن فضائل الكناني، وكتب الشيخ أبو بكر الكتاني إلي من القاهرة يذكر أن هذا الشيخ اختل عقله قبل موته بنحو أربعة أشهر ...)[٢].

كما اعتمد في تأريخه على عدد من المصادر الشفوية، المكتوبة، الوثائقية، وقد مثل في تدوينه أسلوب العصر، حيث اعتمد في كتابة تاريخه على عدد من المصادر، وذلك من أجل رفع قيمة مؤلفه بسبب أهمية المصادر التي اعتمد عليها.

فقد اعتمد على كتاب/الروضتين في أخبار الدولتين/، النورية والصلاحية، لأبي شامة المقدسي الذي جاء (المقتفى) متابعاً له، فنقل (البرزالي) مقتطفات من الأخبار والوفيات لسنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦م وهي سنة وفاة أبي شامة، ومولد البرزالي، ويعد أبو شامة من كبار المؤرخين في بلاد الشام وكتاباته لا تقارن مع كتابات معظم مؤرخي الشام لما لها من مكانة وقيمة علمية.

وإذا كان قسم من أخباره من مصادر شفوية، فإن أخباره كانت من أشخاص وأعلام عاصروه، فقد التقى بهؤلاء الأعلام من مختلف الطبقات، وتلقى منهم الأخبار والأحاديث وكان يدونها بقول: (قال لي ...)[٣]، (ذكر لي ...)[٤]، (حدثني ...)[٥]، وأحياناً يذكر الشخص لمنصبه في الدولة فيقول : (ذكر لي قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي ...)[٦]، (ذكر لي قاضي القضاة بدر بدر الدين بن جماعة ...)، (حكى لنا نجم الدين قاضي الرحبة ...)[٧].

١- البرزالي: المقتفى، ج٢، ق٢، ص ٤١٠.
٢- البرزالي: المصدر السالف، ج٢، ق٢، ص ٤٢٣.
٣- البرزالي: المصدر السالف ، ج٢، ق٢، ص ٣٢٣.
٤- البرزالي: المصدر السالف، ج١، ق٢، ص ٣١٢، ج٢، ق٢، ص ٣٩٣.
٥- البرزالي: المصدر السالف، ج١، ق٢، ص ٣١١.
٦- البرزالي: المصر السالف، ج٢، ق١، ص ١٤٤.
٧- البرزالي: المصدر السالف، ج٢، ق٢، ص ٣١٩.

كما سمع بعض الأخبار عن طريق الشيوخ، ومن بعض ما سمعه يقول: (سمعت عليه الأول من (الثقفيات) بحماه ....)[١].

ويتضح مما تقدم مكانة هؤلاء الأشخاص السياسية والإدارية فهم قضاة وكتاب وصلتهم وثيقة بمن يروون أخباره.

أيضاً شغلت الوثائق والرسائل الرسمية مكانة مهمة بين المصادر المستخدمة عند البرزالي كالرسائل، وكتب التعيين، العزل التي صدرت مراسيم من السلطان وتزداد القيمة التاريخية للوثيقة كلما كانت معاصرة للمؤرخ، أو قريبة من عصره واستطاع البرزالي أن يحصل على الوثائق منها. (مرسوم السلطان بتولية الخطيب صائن الدين بن حسان خطيب المصلى نظر المارستان النوري ...)[٢].

نتيجة معاصرة المؤلف لأحداث الكتاب، يلاحظ استخدامه لضمير المتكلم فيقول: (سافرت ... إلى بعلبك[٣]، وسمعت بها نحو عشرين جزءاً على عشرين شيخاً ...)[٤] (وولد لي ولد سمي أحمد ...)[٥]، و(سافرت إلى القاهرة ... لأجل سماع الحديث وتحصيل الشيوخ والروايات العالية)[٦].

أما بالنسبة للتراجم فهو ينظم الوفيات ضمن سياق واحد حيث يذكر الحوادث والوفيات معاً فالوفيات عنده حدث لا يقل أهمية عن الخبر والواقعة، بل إن الوفيات تأخذ القسم الأكبر من تأريخه وترجمته للمتوفين تعتمد على العناصر التالية: منها البدء بتأريخ يوم الوفاة تحديد الوقت من اليوم إن كان صباحاً أو ظهراً أو بعد العصر، أو عشاء، أو في الليل، أو عند الفجر ثم يذكر صفته الوظيفية أو منصبه مثل القاضي أو الإمام، أو الشريف أو الأمير، أو الصاحب، أو الصدر أو الأديب ... ثم يذكر لقبه وكنيته، اسمه، أبيه وجده ثم يذكر نسبه، ثم مذهبه، مكان وفاته، والمكان الذي دفن فيه.

١- البرزالي: المقتفى، ج٢، ق١، ص ٤٤.

٢- البرزالي: المصدر السالف، ج٢، ق٢، ص ٧.

٣- بعلبك: من الإقليم الرابع من أعمال دمشق في الجبل، وهي بلدة قديمة ذات أسوار ولها قلعة حصينة عظيمة البناء وهي ذات أشجار وأنهار وأعين وهي كثيرة الخير؛أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٣٢٥.

٤- البرزالي:المصدر السالف ، ج٢، ق١، ص ١٤٤.

٥- البرزالي: المصدر السالف، ج٢، ق١، ص ١٥٢.

٦- البرزالي: المصدر السالف، ج١، ق٢، ص ٩٥.

وبعد ذلك يذكر تاريخ مولده، ومكان ولادته، ثم يذكر شيوخه، وأماكن سماعه إن كان محدثاً، ووظائفه، ومن روى عنه.

وقد ينقص عنصرٌ أو عنصران، أو يزيد عنصراً، أو يتقدم عنصر على آخر، وذلك حسب توفر المعلومات أو نقصها من ترجمة إلى أخرى، على اعتبار أن المترجم لهم في الكتاب ليسوا من مستوى واحد في المكانة والأهمية، فمنهم الأمير والوضيع، العالم والجاهل، المشهور والمغمور، الكبير والصغير، ومن الأمثلة على ذلك: (وفي يوم الجمعة الثالث من صفر توفي الشيخ تاج الدين، أبو منصور، مظفر بن الشهاب عبد الكريم بن نجم بن شرف الإسلام عبد الوهاب بن الشيخ أبي الفرج عبد الواحد الشيرازي الحنبلي، ودفن بالصالحية، روى عن ... وكان عمره ثماني وسبعين سنة ومولده في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وثمانين وخمس ماية بدمشق، وكان موته فجأة وكان مدرس المدرسة الحنبلية...)[١].

(وفي يوم الجمعة عاشر رجب صلي بجامع دمشق على الشيخ الصالح علي، المعروف بالبكاء وكانت وفاته ببلد الخليل عليه السلام في أول الشهر وكان شيخاً مشهوراً بالصلاح وله الولاية...)[٢].

وهنا يمكن التساؤل عند تناوله للشخصية التي يؤرخ لها هل يطنب في الحديث عنها أم يوجز وما هي العناصر التي يذكرها عادةً؟

يلاحظ الاختصار في تراجمه وعدم الإطالة بالمقارنة مع تراجم معاصريه من المؤرخين مثل الذهبي، الصفدي وغيرهم.

وأخيراً يمكن الاستنتاج أن مؤلفات المؤرخين الحمويين:

(١) تميزت بالاهتمام بالقضايا الدينية من أحداث، رجال وصحابة حيث خصصوا لهم في كتبهم المساحات الكبيرة، واهتموا بتاريخ الإسلام بوصفه الخلفية التاريخية للجميع، والعهد المرجعي للجميع وخاصة في السيرة النبوية وأخبار الصحابة، ويظهر ذلك بشكل خاص في كتب التراجم، حيث أعطت المصادر الحموية جل الاهتمام لتراجم علماء الدين، وأدخلتها ضمن النسيج العام للنص (كما لدى البرزالي) حيث كان الدين هو المقياس المرجعي للرجال، والأحداث، وعلى مقدار ارتباط الرجل بالمثل الأعلى الديني يكون تقويمه لأن المؤرخين يقتصر ذكرهم على أن الملك الفلاني له صدقات، وكان له عدل، أو ظالم، أو جبروت، وكتب

١- البرزالي: المقتفى، ج١، ق١، ص ١٨٧.

٢- البرزالي: المصدر السالف، ج١، ق١، ص ٢٥١.

تعليم السياسة كلها من نسيج ديني واحد. ويقوم هيكلها الأساسي على أساس الموعظة والردع الديني بالآية الكريمة أو الحديث الشريف أو المثل الصالح ... هذا إضافة إلى أن المؤرخين هم في كثرتهم الكثيرة من العاملين في إطار العلوم الدينية أولاً، ثم من الموظفين الحكوميين بديوان الإنشاء وظاهرة التدين أساسية في الطرفين.

(٢) الاعتناء بالتذييل على المؤلفات السابقة البارزة أو في اختصارها لتمكين الناس من الإطلاع عليها.

(٣) الضبط في تسجيل الحوادث وصحة الأخبار التي أوردوها ولاسيما الأحداث الإسلامية، وقد جاءت هذه الصحة من الطريقة التي عالجوا فيها الأخبار، واعتمادهم على مبدأ النقد، وعدم أخذهم إلا عن الثقات، متبعين في ذلك علماء الحديث في نقدهم لسلسلة الرواة، وتطبيق مبدأ الجرح والتعديل عليهم. وقد أتت صحة الأخبار لديهم من ابتكارهم للتوقيت الكامل من حيث ذكر الأيام والشهور، والسنين الأمر الذي يدعو إلى التدقيق في الأخبار وصحتها.

(٤) أصبحت المؤلفات الحموية اليوم ثروة تاريخية كشفت جوانب كثيرة من مشاكل العصر في الأسعار، والأوبئة، والمكوس، والحرائق وغير ذلك حيث تمتع المؤرخون ببراعة طيبة، وسداداً في تخيُّر المعلومات وعيناً ذكية تعرف كيف تسوغها وتربطها وحساً تاريخياً يهديهم إلى ما يجب أن يضيفوا إليه من المعلومات والتفاصيل الضرورية.

(٥) أسهمت المؤلفات في النشاط الاجتماعي وخاصة الفكري، فقد أسهمت الآراء والمناقشات التي كانت تجري بين المؤرخين إلى الإرتقاء بالعلم وتطوره وتقدمه وعلى هذا بنى فيما بعد العلماء في العصر المملوكي. فقد أصبحت بلاد الشام عامة يضاف إليها مصر منارةً علمية ومركزاً إشعاعياً، حضارياً قصده المفكرون من الشرق ومن الغرب العربي الإسلامي أيضاً.